وَرُبَّ قُبْحٍ وَحُلًى ثِقَالِ أَحْسَنُ مِنْهَا الْحُسْنُ فِى الْمِعْطَالِ (١)
فَخْرُ الْفَتَى بِالنَّفْسِ وَالأَفْعَالِ مِنْ قَبْلِهِ بِالْعَمِّ وَالأَخْوَالِ (٢)

قافيـــة المـــيم

وقال يمدح سيف الدولة أبا الحسن على بن عبدالله بن حمدان العدوى وهى أوّل ما أنشده سنة سبع وثلاثين وثلثمائة عند نزوله انطاكية من ظفره بحصن بَرْزُوَيْهِ وكان جالسا تحت فازة من الديباج عليها صورة ملك الروم وصور وحش وحيوان

وَفَاؤُكُمَا كَالرَّبْعِ أَشْجَاهُ طَاسِمُهْ بِأَنْ تُسْعِدَا وَالدَّمْعُ أَشْفَاهُ سَاجِمُهْ (٣)

بأبيك لا بما تتزين به النساء من حليهن وذلك الحلى الذى هو نسبك تزين منك بالجمال، يعنى أن أباك يزينك وأنت جماله تزينه أيضا (١) المعطال التى لا حلى عليها يقول : ان الحلى لا تكسب الحسن إذا كان لا بسها قبيحا فيكون الحسن فيمن لا حلى عليه أحسن من الحلى فيمن لاحسن فيه ؛ يعنى أن من لا فضيلة له فى نفسه لا تجديه فضيلة النسب كالقبيح إذا تحلى (٢) فخر مبتدا خبره من قبله والضمير فى قبله للفخر يقول : إنما يفتخر الفتى بشرف نفسه وحسن أفعاله من قبل أن يفتخر بعمه وخاله ، قال البحترى

فما الفَخْرُ بالعَظْمِ الرميمِ وَإِنما فخارُ الذى يبغِى الفَخَارَ بنَفْسه

(٣) وفاؤكما كالربع مبتدأ وخبر . وأشجاه أى أشده شجوا من قولك شجانى هذا الأمر أى احزننى والطاسم الطامس الدارس . وبأن تسعدا ـ أى تساعدا وتعاونا ـ متعلق بوفاء وذلك من الضرورات القبيحة لأنه لايجوز ان يتعلق با لمبتدا بعد الأخبار عنه شىء . وسجم الدمع سال وهطل. يخاطب خليليه اللذين عاهداه على أن يساعداه على البكاء عند ربع الأحبة . يقول : ـ لهما ـ أن وفاءكما بأن تساعدانى على البكاء كهذا الربع فان الربع كلما تقادم عهده كان اشجى لزائره وأشد لحزنه لأنه لايتسلى بالمحب وكذلك وفاؤكما كلما ضعف وقل اسعادكما لى على البكاء اشتد حزنى اذ لاأجد من اتسلى به

وما أنا إلاَّ عاشقٌ كلُّ عاشقٍ أعقُّ خليليهِ الصفيَّيْنِ لائمُهْ (١)

وقدْ يتزيَّا بالهوى غيرُ أهلِهِ ويستصحبُ الإنسانُ من لا يلائمُهْ (٢)

ثم قال والدمع اشفاه ساجه كأنه يقول ان لى العذر فى البكاء أما أنتما فخليان اذ لو كنتما محزونين مثلى لاستشفيتما بالدمع كما هو شأن المحزون مثلى ، يريد : ابكيا معى بدمع في غاية السجوم فهو أشفى للوجد فان الربع فى غاية الطسوم وهو أشجى للصب وقال ابن جنى : المعنى : كنت أبكى الربع وحده فصرت أبكى وفاء كما معه ولذلك قال وفاؤكما كالربع أى كلما ازددت بالربع وبوفائكما وجدا ازددت بكاء ، ويروى والدمع بالجر عطفا على الربع وعلى هذا يكون المعنى : وفاؤكما كالربع الدارس في الأدواء اذا لم تجريا عليه الدمع الساجم وفى الشفاء إذا أجريتما عليه (١) قوله وما أنا الا عاشق اخبار عن نفسه بالعشق بلفظ مؤكد ثم استأنف فقال : كل عاشق له خليلان صفيان فأعقهما في الخلة — الصداقة والود — من لامه فى هواه ، وفى هذا تعريض بالنهى عن اللوم ، يقول : ان من لامنى منكما على البكاء والجزع اعتقدت فيه العقوق فكأن لائمكما أعقكما ، قال الواحدى : ومعنى الأعق ههنا العاق كقول الفرزدق

إنَّ الذى سَمَكَ السماءَ بنى لنا بيتاً دعائمُهُ أعزُّ وأطولُ

وكما قال الآخر

خالى بنو أوْسٍ وخالُ سُرَاتِهِمْ أوْسٌ فأيهما أدَقُّ وألأمُ

أى فأيهما الدقيق واللئيم ؟ وليس يريد أن الدقة واللؤم اشتملا عليهما معا ثم زاد أحدهما على صاحبه ؛ وقد يطلق هذا اللفظ ولا يراد به الاشتراك كقوله تعالى أصحاب الجنة خير مستقرا وأحسن مقيلا ؛ ولا خير فى مستقر أهل النار ولا حسن ، كذلك جاز أن يقول أعق خليليه وإن لم يكن المعسك عن اللوم صفة عقوق ، هذا ويروى كل عاشق بنصب كل على أنه مفعول عاشق يريد انى عاشق كل عاشق مصف بعد خليله العاق من لامه فى هواه (٢) التزيى تكلف الزى وهو اللباس والهيئة ، قال الواحدى : وفى هذا البيت تعريض بصاحبيه أنهما ليسا من أهل الهوى وان تكلفاه واتسما به ، يقول : قد يتكلف الانسان الهوى وليس من أهله وفيه تعريض أيضا بأنهما ليسا من أهل الصحبة حيث قال قد يسأل الانسان الصحبة من لا يكون موافقا له فى أحواله ، وهذا يدل على أن صاحبيه لم يفيا بما عاهدا من الاسعاد

بَلِيتُ بِلَى الأَطْلَالِ إِنْ لَمْ أَقِفْ بِهَا
وُقُوفَ شَحِيحٍ ضَاعَ فِى التُّرْبِ خَاتَمُهْ(١)

كَئِيباً تَوَقَّانِى العَوَاذِلُ فِى الهَوَى كَمَا يَتَوَقَّى رَيِّضَ الخَيْلِ حَازِمُهْ(٢)
فَفِى تَغْرِمِ الأُولَى مِنَ اللَّحْظِ مُهْجَتِى بِثَانِيَةٍ وَالمُتْلِفُ الشَّىْءَ غَارِمُهْ(٣)
سَقَاكِ وَحَيَّانَا بِكِ اللهُ إِنَّمَا عَلَى العِيْسِ نَوْرُ الخُدُورِ كَمَائِمُهْ(٤)

(١) الأطلال آثار الديار . يدعو على نفسه بأن يبلى بلى الأطلال ان لم يقف بأطلال الأحبة متوجعا لها منحنيا كما يفعل الشحيح اذا فقد خاتمه ووقف يتلمسه فى التراب ، قال ابن وكيع وهذا مأخوذ من قول أبى نواس

كأنى مُرِيغٌ فى الديارِ طَرِيدةً أراها أمامى مرَّةً وورَائى

(٢) كئيبا أى حزينا حال من قوله أقف بها فى البيت السابق . وتوقانى تباعدنى واجتنبنى . والريض من الخيل الصعب الذى لم يرض وقد يكون الريض الذى قد ذال فهو من الأضداد والحازم الذى يسوسه ويشده بالحزام . يقول : ان العواذل اللائى يعذلنني — يعنى — فى الهوى يحذرن جانبي وإياى عليهن كما يحذر حازم الريض من الخيل جماحه أو يرمحه — يضربه برجله — (٣) الأولى فاعل تغرم ومن اللحظ بيان للأولى ومهجتى مفعول تغرم وغرم ماأتلفه لزمه أداؤه يقول: إنه نظر إليها نظرة أتلفت مهجته فهو يقول لها فنى لأنظرك نظرة أخرى ترد مهجتى وتحيينى فان فعلت كانت النظرة الثانية غرما لما أتلفته النظرة الاولى وقد أخذ بعضهم هذا المعنى فقال

يا مُسْقِما جسمى بأوَّلِ نَظْرَةٍ فى النظْرة الأخْرى إليكَ شِفَائى

وروى الخوارزمى تغرمى بالياء وأصله تغرمين فحذف النون للجزم والخطاب للمحبوبة والمهجة هى المحبوبة فمهجتى فى موضع نصب بالنداء والأولى مفعول ويكون المعنى ففى يامهجتى تغرمى النظرة الأولى التى حرمتنيها بنظرة ثانية إليك . ثم قال ومن أتلف شيأ غرمه أى أنت أتلفت على النظرة الأولى التى رميتها منك أولا فاغرميها بنظرة ثانية والرواية الأولى هى الأوجه (٤) العيس الأبل البيض . والنور الزهر . والكمائم أغلفة الزهر قبل أن تتفتق . جعل هؤلاء النسوة زهرا فى حسنهن وصفاء

وَمَا حَاجَةُ الأَظْعَانِ حَوْلَكِ فِي الدُّجَى
إِلَى قَمَرٍ مَا وَاجِدٌ لَكِ عَادِمُهْ(١)
إِذَا ظَفِرَتْ مِنْكِ العُيُونُ بِنَظْرَةٍ أَنَابَ بِهَا مُعْيِي المَطِيِّ وَرَازِمُهْ(٢)
حَبِيبٌ كَأَنَّ الحُسْنَ كَانَ يُحِبُّهُ فَآثَرَهُ أَوْ جَارَ فِي الحُسْنِ قَاسِمُهْ(٣)

ألوانهن وطيب روائحهن وجعل الخدور لهن بمنزلة الكمائم للزهر ولما جعلهن زهرا بنى على هذا اللفظ السقى والتحية فان الزهر نضرته بالماء وجرت العادة بأن يحيي الناس بعضهم بعضا بالأزهار والرياحين فيتناولوا شيأ منها ومعنى حياناك الله لقاناك وحيانابك وقد كشف السرى الرفاء عن هذا المعنى بقوله

حَيَّا بِهِ اللهُ عاشقيه فَقَدْ أَصْبَحَ رَيحانَ لَمْنْ عشقا

(١) الأظعان النساء فى الهوادج . يقول : أى حاجة لهؤلاء النسوة المسافرات معك إلى القمر بالليل ؟ فان من وجدك لم يعدم القمر ، يعنى أنها فى الدجى تقوم مقام القمر ، قال البحترى

أَضَرَّتْ بِضَوءِ البَدْرِ والبَدْرُ طالِعٌ وقامت مقَام البدْر لَمَّا تَغيَّبا

وقال الآخر

إِنَّ بَيتاً أَنتَ سَاكِنُهُ غيرُ محتَاجٍ إِلى السُّرُج

(٢) يقال أناب فلان إذا ثاب — رجع — اليه جسمه وصلح بدنه والمعي الكليل والمطى جمع مطية وهى الدابة تمتطى وتركب . وذكر المطى على اللفظ كتذكير النخل والسحاب وما اشبههما من الجمع ، والرازم كالرازح الذي سقط من الاعياء فلا يبرح يقول : إن الابل الرازحة التى كلت وعجزت عن المشى إذا نظرت إليك عاشت أنفسها وعادت قوتها وصلحت حالها مع أنها لاتعقل فما الظن بنا وحياتنا برؤيتك ؟ وقال ابن فورجه إنما يعنى بالمطى أصحابها

(٣) يقول : ان هذا الحبيب قد استبد بالحسن وانفرد به فليس لغيره فيه حظ فكأن الحسن أحبه فاستخلصه لنفسه دون غيره أو كأن الذى قسم الحسن بين الناس جار — لم يعدل — فاعطاه جميع الحسن ولم يبق لأحد منه نصيبا

تَحُولُ رِمَاحُ الخَطِّ دُونَ سِبَائِهِ وَتُسْبَى لَهُ مِنْ كُلِّ حَيٍّ كَرَائِمُهْ (١)

وَيُضْحِي غُبَارُ الخَيْلِ أَدْنَى سُتُورِهِ وَآخِرُهَا نَشْرُ الكِبَاءِ المُلَازِمُهْ (٢)

وَمَا اسْتَغْرَبَتْ عَيْنِي فِرَاقًا رَأَيْتُهُ وَلا عَلَّمَتْنِي غَيْرَ مَا القَلْبُ عَالِمُهْ (٣)

فَلَا يَتَّهِمْنِي الكَاشِحُونَ فَإِنَّنِي

رَعَيْتُ الرَّدَى حَتَّى حَلَأْتُ عَلَاقِمُهْ (٤)

---

(١) الخط موضع باليمامة تقوم فيه الرماح وهى الرماح الخطية والحى الجماعة من الناس ينزلون بالبادية يقول : هو حبيب عزيز منيع يحفظ بالرماح فلا يقع عليه سباء لأن رماح قومه تحول دون ذلك كما قال

بصُمِّ القَنَا يُحْفَظْنَ لا بالتمائم

وكرائم الأحياء تسبى برماح قومه فيؤتى بها اليه ليخدمنه

(٢) الكباء العود الذى يتبخر به ونشره رائحته . يقول : أدنى — أقرب — ستوره اليك أيها الطالب الوصول اليه غبار خيول قومه وأبعدها عنك وأقربها منه — من الحبيب — دخان بخوره ، يصف هذا الحبيب بأنها فى غاية المنعة وغاية النعمة

(٣) يريد كثرة ما لقى من صروف الدهر وما منى به من فراق الأحبة حتى لا يستغرب فراقا رآه ولا تريه عينه شيأ لم يعلمه قلبه ، والمصراع الثانى من قول عدى ابن الرقاع

وَعلمت حتى لستُ أسألُ واحدا عَنْ حَرْفِ واحِدَةٍ لِكَيْ أزْدَادَها

ومثله لأبى الطيب

عرَفتُ اللياَلى قَبْلَ ما صَنَعَتْ بِنا فلمَّا دَهَتْنى لَمْ تَزِدْنى بها عِلْما

وقال الأعور الشنى

لَقَدْ أَصْبَحْتُ لا أحتاجُ فيما يَكُونُ مِنَ الأُمُورِ إلى السؤالِ

وقال ابن الرومى

وَمَا أَحْدَثَ العصرانِ شيأً نَكِرْتُهُ هما السَّالبان الواهبان هُما هُما

(٤) الكاشح الذى يضمر لك العداوة . والعلاقم جمع علقم وهو الحنظل . قال ابن

مُشِبُّ الَّذِي يَبْكِي الشَّبَابَ مُشِيبُهُ فَكَيْفَ تَوَقِّيهِ وَبَانِيهِ هَادِمُهْ(١)

وَتَكْمِلَةُ العَيْشِ الصِّبَا وَعَقِيبُهُ وَغَائِبُ لَوْنِ العَارِضَيْنِ وَقَادِمُهْ(٢)

حتى سألته — أى المتنبى — وقت القراءة عليه ما وجه التهمة فى هذا الموضع قال أن يظنوا بى جزعا . يقول : لا يتهمنى الأعداء بالخوف من الردى والجزع من الفراق فانى قد ذقت المرارات حتى المت ذوقها فلا أستمرها ، والعلقم أشد الأشياء مرارة وهو لا يحلو لأحد ولكن من اعتاد ذوقه سهلت عليه مرارته فكأنه قد حلاله ، ومعنى رعيت الردي رعيت أسباب الردي من المخارف والمهالك ، وكنى بالعلاقم عن المرارات ولهذا قال رعيت لأن العلقم مما يرعى ، يعنى انى لا أجزع من الفراق وان عظم أمره واشتدت مرارته لاعتيادى ذلك كما قال الآخر

وفَارَقتُ حتى لا أبالى مِنَ النَوَى وَإنْ بانَ جيرانٌ علىَّ كِرامُ

وقال المؤرج

رُوِّعْتُ بالبَيْنِ حتى لاَ أُرَاعُ لهُ وَبالمَصَائبِ فى أهْلى وَجيرانى

وهذا المعنى ظاهر فى قول الخريمى

لَقَدْ وقَرَتنى الحَادِثاتُ فما أُرَى لِنَازِلَةٍ منْ رَيبها أَتَوَجَّعُ

(١) مشب مبتدا ومشيبه خبره ولك أن تعكس وتوقاه حذره . يقول : ان الذى يجزع على فقد الشباب انما اشابه من أشبه والشيب حصل من لدن من حصل منه الشباب فلا سبيل إلى التوقى من المشيب لان أمره بيد غيره ، ولعل هذا المعنى ينظر إلى قول ابن الرومى

تُضَعضِعُهُ الأوقَاتُ وَهْى بَقَاؤُهُ وتَغْتَالُه الأقْوَاتُ وَهْىَ لَه طُعْمُ

إذَا مَا رَأيتَ الشَىء يُبْلِيه عمْرُهُ وَيَفْنِيه ان يَبْقَ فَفِى دَائِهِ عُقم

(٢) العارضان جانبا الوجه . يقول : تمام العيش هو الصبا وما يتلوه من بلوغ الاشد حتى يكون يافعا مترعرعا إلى أن يختلف إلى عارضيه لونا بياض وسواد ، قال الواحدى وغائب لون العارضين هو البياض والقادم هو السواد السابق إلى العارض ، ويجوز أن يريد بالقادم الشيب من قدم يقدم اذا ورد وبالغائب السواد الذى غاب بقدوم البياض ويجوز أن يكون غائب لون العارضين لون البشرة حين يغيب عنها الشعر وبياضه والقادم هو لون الشعر من سواد وبياض ، ويجوز أن يريد بالغائب لون جلد العارض المستتر

وَمَا خَضَبَ النَّاسُ البَيَاضَ لِأَنَّهُ قَبِيحٌ وَلَكِنْ أَحْسَنُ الشَّعْرِ فَاحِمُهْ (١)

وَأَحْسَنُ مِنْ مَاءِ الشَّبِيبَةِ كُلِّهِ حَيَا بَارِقٍ فِي فَازَةٍ أَنَا شَائِمُهْ (٢)

عَلَيْهَا رِيَاضٌ لَمْ تَحُكْهَا سَحَابَةٌ وَأَغْصَانُ دَوْحٍ لَمْ تَغَنَّ حَمَائِمُهْ (٣)

وَفَوْقَ حَوَاشِي كُلِّ ثَوْبٍ مُوَجَّهٍ مِنَ الدُّرِّ سِمْطٌ لَمْ يُثَقِّبْهُ نَاظِمُهْ (٤)

بالشعر وبالقادم سواد الشعر النابت ، وهذا هو الأولى لأنه يجعل تمام العيش أن يكون الانسان صبيا ثم يافعا مترعرعا ثم ينبت شعره فيكون شابا ولم يجعل الشيب من تكملة العيش لأن

مَن شَابَ فِي النَاسِ مَاتَ حَيًّا يَمشِي عَلَى الأَرْضِ مَشْيَ هَالِك

لَوْ كَانَ عُمر الفَتى حِسَابًا لَكَان فِي شَيبِه فَذَالِك

وبيت المتنبي من قول ابن الرومى

سُلِبت سَوَادَ العارِضَين وَقَبلَه بَيَاضَهُمَا المَحْمُودَ إِذ أَنَا أَمْرَد

(١) الفاحم الأسود الشديد السواد . يقول : ان البياض فى الشعر حسن فليس يخضب البياض لأنه مستقبح ولكن لأن السواد أحسن منه فالخاضب انما يطلب الأحسن من لونى الشعر (٢) أراد بماء الشبيبة نضارتها وحسنها . والحيا المطر . والبارق السحاب ذو البرق . والفازة قبة أو خيمة أو مظلة بعمودين نصبت لسيف الدولة وكانت من ديباج والشائم الناظر إلى البرق يرجو المطر . يقول : أحسن من الشباب الذى فقدته مطر سحاب بارق أنا أنظر اليه ، يعنى سيف الدولة ، جعله مطر سحاب لجوده وعموم نفعه وكنى بالشيم عن تعليق رجائه به بانتظار جوده وقد جمع له فى هذا البيت بين ضروب من المدح ـ الحسن والجود واستحقاق التأميل (٣) الدوح جمع دوحة وهى الشجرة العظيمة من أى الأشجار كانت . وتغن بحذف احدى التاءين . يصف تلك الفازة بأنها مصورة بصور رياض وأشجار بيد أنها ليست مما أنبته السحاب وحاكه ـ نسجه وصنعه ـ وأغصان تلك الاشجار لاتتغنى حمائمها ولا تتجاوب طيورها لأنها صور غير ذات روح (٤) الموجه ذو الوجهين والسمط السلك ويطلق على القلادة وأراد بسمط الدر الدوائر البيض على حاشية تلك الاثواب التي اتخذت منها الفازة شبهها بالدر لبياضها غير أن من نظمه لم يثقبه لأنه ليس بدر حقيقى

تَرَى حَيَوَانَ البَرِّ مُصْطَلِحًا بِهَا ... يُحَارِبُ ضِدٌّ ضِدَّهُ وَيُسَالِمُهْ (١)

إِذَا ضَرَبَتْهُ الرِّيحُ مَاجَ كَأَنَّهُ ... تَجُولُ مُذَاكِيهِ وَتَدْأَى ضَرَاغِمُهْ (٢)

وَفِي صُورَةِ الرُّومِيِّ ذِي التَّاجِ ذِلَّةٌ ... لِأَبْلَجَ لَا تِيجَانَ إِلَّا عَمَائِمُهْ (٣)

تُقَبِّلُ أَفْوَاهُ المُلُوكِ بِسَاطَهُ ... وَيَكْبُرُ عَنْهَا كُمُّهُ وَبَرَاجِمُهْ (٤)

قِيَامًا لِمَنْ يَشْفِي مِنَ الدَّاءِ كَيُّهُ ... وَمَنْ بَيْنَ أُذْنَيْ كُلِّ قَرْمٍ مَوَاسِمُهْ (٥)

قَبَائِعُهَا تَحْتَ المَرَافِقِ هَيْبَةً ... وَأَنْفَذُ مِمَّا فِي الجُفُونِ عَزَائِمُهْ (٦)

---

(١) كانت هذه الفازة مصورة بأنواع الحيوان . يقول : ترى هذه الحيوانات مصطلحة بهذه الفازة مع أن ديدنها التفارس والتهارش ، وجعلها متحاربة لأنها نقشت على هذه الصورة صورة المحارب وأراد بالمسالمة أنها جماد لا روح فيها فتقاتل

(٢) المذاكى المسنة من الخيل . وتدأى تختل يقال دأيت الصيد ودأوت له أى ختلته وروى بالذال المعجمة يقال ذأى الأبل اذا طردها وسافها والضراغم الأسود . يقول : اذا ضربت الريح هذا الثوب تحرك حتى كأنه يموج وكأن الخيل التى صورت عليه جائلة وكأن أسوده تختل الظباء لتصيدها وتطردها لتدركها (٣) الأبلج المشرق والمنقطع شعر الحاجبين وهو من صفات السادة وروى لأبلخ وهو المتكبر العظيم فى نفسه بلخ بالكسر وتبلخ أى تكبر فهو أبلخ . وكان قد صور ملك الروم على هذه الفازة ساجدا وهو ما عناه بالذلة وعنى بالابلج أو الأبلخ سيف الدولة وجعله لا تاج له لأنه عربى وتيجان العرب عمائمها (٤) البراجم مفاصل الأصابع واحدتها برجمة يقول : ان الملوك حين يلقونه يقبلون بساطه ولا يبلغون أن يقبلوا كمه أو يده لأنه أعظم شأنا من ذلك (٥) قياما مصدر لم يذكر فعله كأنه قال قاموا — أى الملوك — قياما يريد أنهم قاموا بين يديه اجلالا وهيبة : وكنى بالكى عن ضربه وطعنه ولذعة حربه وبالداء عن غوائل الاعداء يعنى أنه يرد بالطعن والضرب من عصاه إلى طاعته كما يرد من به داء الى الصحة بالكى . والقرم السيد والمواسم جمع ميسم وهو ما يوسم به — المكواة — ويقال أيضا المياسم على لفظ الميسم وهذا مثل يضرب به يريد أن كل ملك عظيم قد ذل له وبان عليه أثر قهره اياه (٦) القبائع جمع قبيعة وهى ما على طرف مقبض السيف من فضة أو حديد يريد قبائع سيوف الملوك . والجفون جمع جفن

لَهُ عَسْكَرا خَيْلٍ وَطَيْرٍ إِذَا رَمَى ... بِهَا عَسْكَرًا لَمْ يَبْقَ إِلَّا جَمَاجِمُهْ (١)

أَجَلَّتُهَا مِنْ كُلِّ طَاغٍ ثِيَابُهُ ... وَمَوْطِئُهَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ مَلَاغِمُهْ (٢)

فَقَدْ مَلَّ ضَوْءَ الصُّبْحِ مِمَّا تُغِيرُهُ ... وَمَلَّ سَوَادُ اللَّيْلِ مِمَّا تُزَاحِمُهْ (٣)

وَمَلَّ الْقَنَا مِمَّا تَدُقُّ صُدُورَهُ ... وَمَلَّ حَدِيدُ الْهِنْدِ مِمَّا تُلَاطِمُهْ (٤)

الغمد . يقول : قاموا بين يديه متكئين على قبائع سيوفهم هيبة له وتعظيما . ثم قال وعزائمه أنفذ وأمضى من السيوف — وهي ما فى الجفون

(١) يقول : ان له عسكرين خيله والطير التى اعتادت أن تصحبه لكثرة وقائعه حتى تأكل من لحوم القتلى فكأنها من عديد جيشه فاذا رمى بهما عسكر العدو لم يبق الا عظام الجماجم لان عسكر الخيل يقتلهم وعسكر الطير يأكل لحومهم ، والضمير فى بها للخيل والطير فلما جعلهما جماعة كنى عنهما بلفظ الجمع ولم يكن بالتثنية للعسكرين (٢) الاجلة جمع جل ما يجعل على ظهر الدابة والملاغم ما حول الفم . يقول : ان أجلة خيله ثياب كل طاغ من ملوك الروم وموطىء حوافرها وجه كل باغ منهم .قال العكبرى : وهذا مبالغة ولا تتم هذه الصفة إلا بعد الامعان فى قتلهم وبلوغ الغاية من الظهور عليهم . (٣) التاء فى تغيره وتزاحمه إما للخطاب وإما للخيل وتغيره أي تغيرفيه فحذف الجار ونصب الضمير على حد قولهم أقمت ثلاثا ما أذوقهن طعاماً أى ما أذوق فيهن ؛ وقد كان العرب يغيرون وقت الصبح ليتغفلوا القوم ولذلك كانوا يقولون عند الغارة واصباحاه . يقول : لكثرة غاراتك وقت الصبح قد مل الصبح منها وضجر ، ومل الليل من مزاحمتك اياه وهو انك تبلغ كل موضع يبلغه الليل وقيل فى معنى البيت : مما تغيره أى تحمله على الغيرة اذ يزيد على بياضه بريق اسلحتك وتزاحم الليل فتذهب ظلمته بضوء أسلحتك ، وقال بعضهم تزاحم الليل بغبار خيلك فكأنه ليل آخر (٤) القنا الرماح . وتدق تكسر . وصدر الرمح أعلاه قال الواحدى : أى ملت رماح الأعداء من دقك أعاليها وملت سيوفهم من ملاطمتك اياها وأراد بالملاطمة مقابلتها بالتروس والمجان فذلك ملاطمة بينهما ، ويجوز ان يريد المتنبي رماح جيشه وسيوفه على أن ترفع صدوره يقول ملت رماحك من كثرة ماتدق صدورها أعداءك وملت سيوفك من الشيء الذى تلاطمه لكثرة وقعها عليه

سَحَابٌ مِنَ العِقْبَانِ يَزْحَفُ تَحْتَهَا
سَحَابٌ إِذَا اسْتَسْقَتْ سَقَتْهَا صَوَارِمُهْ (١)

سَلَكْتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ حَتَّى لَقِيتُهُ عَلَى ظَهْرِ عَزْمٍ مُؤْيَدَاتٍ قَوَائِمُهْ (٢)

(١) أى هناك سحاب من العقبان الخ والعقبان جمع عقاب طائر من الجوارح قوى المخالب له منقار اعقف . واستسقت طلبت السقيا والضمير للسحاب الأول وضمير صوارمه للسحاب الثانى والتأنيث فى الاول على معنى الجماعة والتذكير فى الثانى على اللفظ : جعل العقبان التى فوق جيشه سحابا وجعل جيشه كذلك سحابا لما فيه من ريق الاسلحة وصب الدماء وصوت الابطال ، وجعل الاسفل يسقى الاعلى أغرابا فى الصنعة ، فهو قد شبه العقبان بسحاب يظل الجيوش ، ويزحف تحتها سحاب — يريد الجيوش — اذا استسقت العقبان بطلب الدم سقتها صوارمه — سيوفه — لأنها تقتل الأعداء فتشرب العقبان دماء القتلى ، وهذا المعنى — أى صحبة الطير للجيش — كثير فى كلامهم قال الأفوه الاودى

وَتَرَى الطَيرَ عَلَى آثَارِنَا رَأْىَ عَيْنٍ ثِقَةً أَن سَتُمَارُ

« اى تعطى الميرة بما تجد من لحوم القتلى » وقال النابغة

إِذَا مَا غَزَوْا بِالْجَيْشِ حَلَّقَ فَوْقَهُمْ عَصَائِبُ طَيرٍ تَهْتَدِى بِعَصَائِبِ

وقال أبو نواس

تَتَأَيَّا الطَيْرُ غُدْوَتَهُ ثِقَةً بِالشِّبْعِ مِنْ جَزَرِهِ

وبيت المتنبى من قول أبى تمام

وَقَدْ ظُلِّلَتْ عِقْبَانُ أَعْلَامِهِ ضُحًى بِعِقْبَانِ طَيرٍ فِى الدِّمَاءِ نَوَاهِلِ
أَقَامَتْ مَعَ الرَّايَاتِ حَتَّى كَأَنَّهَا مِنَ الْجَيْشِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تُقَاتِلِ

(٢) المؤيد القوى قال تعالى ذا الأيد انه أواب أى ذا القوة . يقول : خضت حوادث الدهر حتى لقيت سيف الدولة ، يصف كثرة ما عانى من الأهوال وحوادث الدهر

مَهَالِكَ لَمْ تَصْحَبْ بِهَا الذِّئْبَ نَفْسُهُ ... وَلَا حَمَلَتْ فِيهَا الغُرَابَ قَوَادِمُهْ (١)

فَأَبْصَرْتُ بَدْرًا لَا يَرَى البَدْرُ مِثْلَهُ ... وَخَاطَبْتُ بَحْرًا لَا يَرَى العِبْرَ عَائِمُهْ (٢)

غَضِبْتُ لَهُ لَمَّا رَأَيْتُ صِفَاتِهِ ... بِلَا وَاصِفٍ وَالشِّعْرُ نَهْذِي طَمَاطِمُهْ (٣)

وَكُنْتُ إِذَا يَمَّمْتُ أَرْضًا بَعِيدَةً ... سَرَيْتُ وَكُنْتُ السِّرَّ وَاللَّيْلُ كَاتِمُهْ (٤)

لَقَدْ سَلَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ المَجْدُ مُعْلِمًا ... فَلَا المَجْدُ مُخْفِيهِ وَلَا الضَّرْبُ ثَالِمُهْ (٥)

حتى بلغ سيف الدولة وجعل عزمه مركوبه لانه يعزمه يسافر و يجتاز الصعاب ولما جعله مركوبا استعار له ظهرا وقوائم وجعلها مؤيدات قويات (١) القوادم صدور ريش الجناح من الطائر والمهالك المفاوز ونصب مهالك كأنه أبدلها من الصروف وليس نصبها على البدل لانها لاتكون من صروف الدهر فى شىء ولكنها منصوبة بفعل دل عليه معنى الكلام كأنه قال قطعت مهالك لو سلكها الذئب لما صحبته روحه لأنه يموت فيها جوعا ولو سلكها الغراب لم تصحبه قوادمه ولم يقدر على الطيران — وخص هذين لأنهما يألفان القفار والمواضع البعيدة من الناس ولهذا يقال لهما الأصرمان — وإذا عجزا عن قطع هذه المهالك فغيرهما أعجز عن قطعها (٢) عبر البحر شطه . يقول : فأبصرت من سيف الدولة بدرا فى الصباحة والطلاقة لايرى بدر السماء مثله بين الناس مع اطلاعه على الدنيا كلها ، وخاطبت منه بحرا فى العلم والسخاء لايرى السابح فيه ساحله لبعده (٣) هذى يهذى هذيا وهذيانا تكلم بغير معقول لمرض أو لغيره . والطماطم جمع طمطم يقال رجل طمطم اذا كان فى لسانه عجمة لايفصح . يقول : لما رأيت صفات الممدوح لا واصف لها مع كثرة طماطم الشعر — يعنى الشعراء الذين مدحوه قبلى — غضبت لأجله لقصور هؤلاء الشعراء عن بلوغ وصفه (٤) يممت قصدت . والسرى سير الليل . يقول : كنت اذا قصدت أرضا بعيدة سريت بالليل مشتملا بالظلام كأنى سر والليل يكتم ذلك السر ، وهذا من قول البحترى

وَطَيَّكَ سِرًّا لَوْ تَسَكَّفَ طَيَّهُ ... دُجَى اللَّيْلِ عَنَّا لَمْ تَسَعْهُ ضَمَائِرُهْ

وقد نقله البحترى من قول قعنب

سَرَيْنَا بِهِ وَاللَّيْلُ دَاجٍ ظَلَامُهُ ... فَكَانَ لَنَا قَلْبًا وَكُنَّا لَهُ سِرًّا

(٥) قال الواحدى : يقول : هو سيف سله المجد، يعنى أن الشرف ومعالى الأمور

عَلَى عَاتِقِ المَلْكِ الأَغَرِّ نَجَادُهُ ... وفِي يَدِ جَبَّارِ السَّمَوَاتِ قَائِمُهُ(١)

تُحَارِبُهُ الأَعْدَاءُ وَهْيَ عَبِيدُهُ ... وتَدَّخِرُ الأَمْوَالَ وَهْيَ غَنَائِمُهُ(٢)

وَيَسْتَكْبِرُونَ الدَّهْرَ والدَّهْرُ دُونَهُ

وَيَسْتَعْظِمُونَ المَوْتَ وَالمَوْتُ خَادِمُهُ(٣)

وَإِنَّ الَّذِي سَمَّى عَلِيًّا لَمُنْصِفٌ ... وَإِنَّ الَّذِي سَمَّاهُ سَيْفًا لَظَالِمُهُ(٤)

وَمَا كُلُّ سَيْفٍ يَقْطَعُ الهَامَ حَدُّهُ ... وتَقْطَعُ لَزْبَاتِ الزَّمَانِ مَكَارِمُهُ(٥)

تستعمله وتحمله على قتال الأعداء فلا يغمده المجد، ولا يثلمه الضرب لأنه ليس سيفا من حديد يتثلم بالضرب ، ونقل العكبرى هذا الكلام وقال ان معلما حال من المجد أى أعلم به الناس وأظهره ، وقال آخرون : معلما بفتح اللام وهو الذى يميز نفسه بعلامة فى الحرب قالوا : يعنى هو سيف سله المجد ومنع به حوزته من غارة اللئام ولما جعل المجد مقاتلا جعله معلما اشارة الى قوة امتناعه به وعزته على الطالبين (١) الملك روى بفتح الميم فيكون المراد به الخليفة وروى بالضم فيكون المراد المملكة . والعاتق موضع الرداء من المنكب . والأغر الأبيض الكريم — ضد اللئيم — ونجاد السيف حمالته وقائمه مقبضه . يقول : هو سيف يتقلده الخليفة — على احدى الروايتين — ويضرب الله به أعداءه فهو زين للخليفة ناصر لدين الله ، وعلى الرواية الثانية هو سيف على عاتق المملكة نجاده يتزين به الملك فهو من الملك فى أرفع مواضعه ، ومن تأييد الله بالحد الذى يمضيه فيه فى أعلى مواقعه ، واذا كان ذلك اكتنفه نصره وساعدته أقداره واذن يبلغ مراده من أعدائه ، وفيه نظر إلى قول أبى تمام

لَقَدْ خَابَ مَنْ أَهْدَى سُوَيْدَاءَ قَلْبِهِ ... لِحَدِّ سِنَانٍ فِى يَدِ اللَّهِ عَامِلُهْ

وقد كرره المتنبى فى سيف الدولة بقوله

فَأَنْتَ حُسَامُ المُلْكِ وَاللَّهُ ضَارِبٌ ... وَأَنْتَ لِوَاءُ الدِّينِ وَاللَّهُ عَاقِدُ

(٢) يقول : ان اعداءه يحاربونه وهم عبيده لأنه يسبيهم فيسترقهم و يملك رقابهم ويدخرون الأموال وهى غنائم له لأنه يحتويها بالاغارة عليها (٣) يقول : هم يعدون الدهر كبير الأمر عظيم الشأن لما يفعله من اسعاد قوم واشقاء آخرين والدهر دونه لأنه طوع له لا يفعل من ذلك إلا ما كان على هواه ، ويستعظمون الموت لأنه أعظم حادث والموت خادمه لأنه انما ينفذ مراده فى اعدائه (٤) و (٥) على اسم سيف الدولة

وقال يمدحه وقد عزم على الرحيل عن أنطاكية

أَيْنَ أَزْمَعْتَ أَيُّهَذَا الْهُمَامُ نَحْنُ نَبْتُ الرُّبَى وَأَنْتَ الْغَمَامُ (١)

نَحْنُ مَنْ ضَايَقَ الزَّمَانُ لَهُ فِيـ*ـكَ وَخَاتَنْهُ قُرْبَكَ الأَيَّامُ (٢)

فِى سَبِيلِ الْعُلَى قِتَالُكَ وَالسِّلْـ*ـمُ وَهـذا الْمُقَامُ وَالإِجْذَامُ (٣)

والهام الرؤس . ولزبات لزمان شدائده جمع لزبة وجمعها بسكون الزاى قال الجوهرى أصابتهم لزبة أى شدة وقحط والجمع لزبات بالتسكين لأنه صفة . يقول : ان الذى سماه عليا قد انصفه اذ قد سماه بما يستحقه من الوصف بالعلو والذى سماه سيفا قد ظلمه لأن السيف وإن عظم أثره فهو جماد وقد ينبو حد السيف عن قطع الهام أما الممدوح فان مكارمه تذهب بشدائد الزمان وتنفيها عن العباد فمن أين يشبه فعله فعل السيف حتى يطلق عليه اسمه ؟ (١) الازماع العزم على الأمر ، والهمام الملك العظيم . والربى جمع ربوة . يقول : أين أزمعت أن تسير أيها الملك ونحن الذين لاعيش لنا إلا بك وإذا فارقتنا لم نعش كنبت الربى لابقاء له إلا بالغمام إذ لاشرب له إلا من مائه أما نبت غير الربى فيمكن أن يشرب من الماء الجارى ، وهذا من قول الآخر

نَحْنُ زَهْرُ الرُّبَى وَجُودُكَ غَيْثٌ هَلْ بِغَيْرِ الْغُيُوثِ يُورِقُ زَهْرُ

(٢) يقول : نحن الذين ضايقتهم الأيام فى قربك فبخلت عليهم بك فحرمتهم لقاءك وباعدت بينهم وبينك وخانتهم فى القرب منك ، يريد أن الزمان يحبه ويعشقه ويغار على قربه ويريد أن ينفرد به دون الناس وهو معنى معروف قد تعاورته الشعراء قال محمد ابن وهب

وَحَارَبَنِى فِيهِ رَيْبُ الزَّمَانِ كَأَنَّ الزَّمَانَ لَهُ عَاشِقُ

وقوله ضايق الزمان له فيك قال ابن جنى اللام فى له زائدة للتأكيد كقوله تعالى ردف لكم أى ردفكم وقوله جل شأنه ان كنتم للرؤيا تعبرون ، وقال ابن فورجه يريد نحن من ضايقه الزمان فحذف الراجع إلى الموصول والهاء فى قوله له راجعة الى الزمان. يقول : نحن الذين ضايقهم الزمان لنفسه ولأجله فيك أى لتكون له دونهم كما تقول هم الذين رضيهم عمرو له أى لنفسه والحاق اللام بالمفعول قبيح جدا (٣) الأجذام الاسراع فى السير وهو أيضا الاقلاع عن الشىء قال الربيع بن زياد

لَيْتَ أَنَّا إِذَا ارْتَحَلْتَ لَكَ الخَـــيْلُ وَأَنَّا إِذَا نَزَلْتَ الْخِيَامُ (٤)

كُلَّ يَوْمٍ لَكَ احْتِمَالٌ جَدِيدٌ وَمَسِيرٌ لِلْمَجْدِ فِيهِ مُقَامُ (٢)

وَإِذَا كَانَتِ النُّفُوسُ كِبَارًا تَعِبَتْ فِي مُرَادِهَا الأَجْسَامُ (٣)

وَحَرَّقَ قَيْسٌ عَلَيَّ الْبِلَادَ حَتَّى إِذَا اضْطَرَمَتْ أَجْذَمَا

يقول : ان أفعالك كلها مقصورة على العلى قاتلت أوسالمت أقمت أم سرت فقصدك فى جميع ذلك طلب العلى (١) قال الواحدى : أي ليتنامعك نتحمل عنك المشقة فى مسيرك ونزولك فى سفرك ، هذا معنى البيت ولكنه أساء حيث تمنى أن يكون بهيمة أو جمادا ولا يحسن بالشاعر أن يمدح غيره بما هو وضع منه فلا يحسن أن تقول ليتنى امرأتك فأخدمك ؟ (٢) الاحتمال التحمل للسير ويروى ارتحال . والمقام مصدر ميمى بمعنى الأقامة . يقول : يحدث لك كل يوم سفر جديد وذلك آية بعد الهمة كما قال تأبط شرا

كثيرُ الهوَى شَتَّى النَّوَى وَالمسَالِكِ

وفى كل يوم لك سير يقيم المجد عندك فى ذلك السير لأن ذلك السير لطلب المجد أولا أن المجد مقيم معك حيثما كنت كما قال أبو تمام

كُلَّمَا زُرْتَهُ وَجَدْتَ لَدَيْهِ نَشَبًا ظَاعِنًا وَمَجْدًا مُقِيمَا

وكما قال الأزدى

المجدُ صاحِبُكَ الذى حَالَفْتَهُ أَبَدًا فَرَوضَتُهُ الْمَرِيعَةُ مَرْتَعُكْ

فَإِذَا رَحَلْتَ سَرَيْتَ تَحْتَ ظِلَالِهِ وَإِذَا رَبَعْتَ فَفِى ذُرَاهُ مَرْبَعُكْ

« المريعة المخصبة . وربعت أقمت . وذراه أعاليه ولك أن تقرأ ذراه بفتح الذال أى كنفه » (٣) يقول : إذا عظمت الهمة وكبرت النفس تعب الجسم فى تحصيل مرادها وذلك أن الهمة تعنى الجسم فى طلب معالى الأمور ولا ترضى بالمنزلة الدون ولا تستريح أو تحصل على الرتب العالية كما قال العتابى

وَإِنَّ عَلِيَّاتِ الأُمُورِ مَشُوبَةٌ بِمُسْتَوْدَعَاتٍ فِى بُطُونِ الأَسَاوِدِ

قال العكبرى وبيت المتنبى من كلام أرسطو : إذا كانت الشهوة فوق القدرة كان هلاك الجسم دون بلوغ الشهوة ، قال ابن وكيع لم يأخذ من الحكيم وانما أخذ من أهل

وكَذَا تَطْلُعُ البُدُورُ عَلَيْنَا ... وَكَذَا تَقْلَقُ البُحُورُ العِظَامُ (١)

وَلَنَا عادَةُ الجَمِيلِ مِنَ الصَّبْـ ... ـرِ لَوَ انَّا سِوَى نَوَاكَ نُسَامُ (٢)

كُلُّ عَيْشٍ مَا لَمْ تُطِبْهُ حِمامٌ ... كُلُّ شَمْسٍ مَالَمْ تَكُنْهَا ظَلَامُ (٣)

صناعته فأخذ قوله من قول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

فَقَالُوا أَلاَ تَلْهُو لِتُدْرِكَ لَذَّةً ... فقُلْتُ وَكَيْفَ اللَّهْوُ وَالْهَمُّ حَاجِزُ

وَنفسى تُعانى أَنْ تُقِيمَ مُروءَتى ... عَلَى غايَتى فى المَجْدِ والجَهْدُ عاجِزُ

ومن قول أبى زرعة

أَهْل مَجْدٍ لا يَحْفِلونَ إذا نا ... لُوا جسيماً أَن تُنْهِكَ الأَجْسَامُ

ومن قول الحصنى

نَفسى مُوَكَّلَةٌ بالمَجْدِ تَطْلُبُهُ ... وَمَطْلَبُ المَجْدِ مَقرونٌ بِهِ التلفُ

ومن قول ابن جابر

إذا ما عَلا المَرء رَامَ العُلى ... وَيَقْنَعُ بالدُونِ مَنْ كانَ دُونَا

ومن قول أبى تمام

فَعَلِمْنَا أَنْ لَيْسَ إلاَّ بشِقِّ النفْـ ... ـسِ صَارَ الكَرِيمُ يُدْعى كريمَا

طَلَبُ المَجْدِ يورِثُ النفْسَ خَبْلاً ... وَهُمُوماً تُقَضْقِضُ الحَيْزَ وَمَا

وقد أخذ هذا المعنى أبو القاسم بن الحريش فقال

فَيامَنْ يَكُدُّ النفْسَ فى طَلَبِ العُلى ... إذَا كَبُرَتْ نَفْسُ الفَتى طالَ شُغْلُهُ

(١) يقول : كذا ديدن البدر يغرب تارة ويطلع تارة وكذا البحر يموج ويضطرب ويتحرك وكذلك أنت لا تستقر أو تتحرك وتسير . يعنى أنك بدر وبحر فعادتك عادتهما

(٢) النوى البعد . وسامه الأمر جشمه إياه . يقول : لو كلفنا غير فراقك لصبرنا صبراً جميلا كما هي عادتنا فى الصبر على المحن بيد أنه لا صبر لنا فى بعدك ولا طاقة لنا باحتمال نواك كما قال أبو تمام

وَالصبْرُ يَحْسُنُ فى المَوَاطِنِ كلِّها ... إلاَّ عَلَيك فَإِنَّه مَذْمُومُ

(٣) يقول : كل عيش لم تطبه وتؤنسه بقربك هو والحمام — الموت — سواء ، وكل

أَزِلِ الوَحْشَةَ الَّتِي عِنْدَنَا يَا ... مَنْ بِهِ يَأْنَسُ الخَمِيسُ اللُّهَامُ (١)

وَالَّذِي يَشْهَدُ الوَغَى سَاكِنَ القَلْـ ... ـبِ كَأَنَّ القِتَالَ فِيهَا ذِمَامُ (٢)

وَالَّذِي يَضْرِبُ الكَتَائِبَ حَتَّى ... تَتَلَاقَى الفِهَاقُ وَالأَقْدَامُ (٣)

وإِذَا حَلَّ سَاعَةً بِمَكَانٍ ... فَأَذَاهُ عَلَى الزَّمَانِ حَرَامُ (٤)

وَالَّذِي تُنْبِتُ البِلَادُ سُرُورٌ ... وَالَّذِي تَمْطُرُ السَّحَابُ مُدَامُ (٥)

شمس ظلمة إذا لم تكن أنت تلك الشمس ، يريد تنغص عيشه بعده واظلام أيامه بفراقه ، هذا وقوله مالم تكنها على حد بيت أبى الأسود

دَعِ الخَمْرَ يَشْرَبْهَا الغُوَاةُ فَإِنَّنِي ... رَأَيتُ أَخَاهَا مُغْنِياً بِمَكَانِهَا

فَإِلَّا يَكُنْهَا أَوْ تَكُنْهُ فَإِنَّهُ ... أَخُوهَا غَذَتْهُ أُمُّهُ بِلَبَانِهَا

والاجود تكن إياها (١) الخميس الجيش . واللهام الكثير الذى يلتهم كل شىء فيهلكه ويذهب به . يقول : أقم عندنا لتنفى الوحشة عنا يامن يأنس بوجوده الجيش العظيم لقوة الجيوش بمكانه فهم وإن كثروا يأنسون بك ثقة بشجاعتك

(٢) الوغى الحرب . والذمام العهد . يقول : هو يحضر الحرب رابط القلب غير مضطرب الجأش كأن القتال عاهده على أن لا يقتل فهو يسكن إلى القتال سكونه إلى الذمام وهذا من قول أبى تمام

مُتَسَرِّعِينَ إِلَى الحُتُوفِ كَأَنَّمَا ... بَيْنَ الحُتُوفِ وَبَيْنَهُمْ أَرْحَامُ

(٣) الكتيبة الفرقة من الجيش . والفهاق جمع فهقة وهى العظم الذى يكون على اللهاة وهو مركب الرأس في العنق . والاقدام جمع قدم . يقول : والذى يضرب الجيوش بسيفه ويقطع أعناقهم حتى تتلاقى مع الأقدام (٤) يقول : واذا ألم بمكان ونزل به ساعة صار ذلك المكان فى ذمته فلا تلم به الحوادث ولا يصيبه الزمان بأذى من جدب وقحط (٥) والذى مبتدا وسرور خبره والجملة عطف على الشطر الثانى من البيت السابق . يقول : والذى تنبته بلاد ذلك المكان الذى تحل به سرور والذى تمطره سماؤها مدام — خمر — أى يقيم السرور والطرب بذلك المكان حين تحل به ، ولعله ينظر إلى قول البحترى

وَيَوْمٍ بِالمَطِيرَةِ أَمْطَرَتْنَا ... سَمَاءٌ صَوْبُ وَابِلِهَا العُقَارُ

كُلَّمَا قِيلَ قَدْ تَنَاهَى أَرَانَا كَرَمًا مَا اهْتَدَتْ إِلَيْهِ الْكِرَامُ (١)
وَكِفَاحًا تَكِعُّ عَنْهُ الأَعَادِى وارْتِيَاحًا يَحَارُ فِيهِ الأَنَامُ (٢)
إِنَّمَا هَيْبَةُ الْمُؤَمَّلِ سَيْفَ الدَّ وْلَةِ الْمَلْكِ فِى الْقُلُوبِ حُسَامُ (٣)
فَكَثِيرٌ مِنَ الشُّجَاعِ التَّوَقِّى وَكَثِيرٌ مِنَ الْبَلِيغِ السَّلَامُ (٤)

وقال يمدحه أيضاً

أَنَا مِنْكَ بَيْنَ فَضَائِلٍ وَمَكَارِمٍ وَمِنِ ارْتِيَاحِكَ فِى غَمَامٍ دَائِمِ (٥)
وَمِنِ احْتِقَارِكَ كُلَّ مَا تَحْبُوبِهِ فِيمَا أُلَاحِظُهُ بِعَيْنَ حَالِمِ (٦)

(١) يقول : كلما قال الناس قد بلغ النهاية فى الكرم أبدع كرما لم يهتد إليه من قبله من الكرام وهو من قول البحترى

طَلَوبٌ لأقصى غايةٍ بَعْدَ غايةٍ إذا قيلَ يَوْمًا قد تَنَاهى تَزَيَّدَا

(٢) تكع تجبن وتضعف وتعجز .والارتياح الاهتزاز للبذل واصطناع المعروف . يقول : وأرانا قتالا يجبن عنه الأعداء ويعجزون،واهتزازا للجود يحار فيه الخلق

(٣) يقول : ان هيبته فى القلوب تقوم مقام السيف فليس يحتاج إلى اللجوء الى السيف لأنه مهيب تهابه الاعداء فلا يقدمون عليه فيحتاج إلى دفعهم عن نفسه بالسيف ، قال ابن وكيع وهذا من قول أبى دلف

وَيَصُولُ الامامُ فى حَيْثُما صا لَ وَفى صَوْلَةِ الامامِ الحِمَامُ

(٤) يقول : ان توقاه الشجاع وحفظ نفسه منه فى الحرب فذلك منه كثير ، والبليغ ان أمكنه أن يسلم عليه فذلك غاية بلاغته لأن هيبته توجب أن لاينطق أحد بين يديه

(٥) الارتياح الانبساط والاهتزاز للعطاء . يقول : أنا منك بين فضائل ذاتية وهي أوصاف ذاتك ومكارم فعلية هي صفات فعلك ومن اهتزازك للعطاء فى غمام لايقلع مطره

(٦) تحبو به تسخو به . وما فى قوله فيما ألاحظه نكرة وليست موصولة كانه قال فى شىء ألاحظه والظرف معطوف على الخبر فى البيت السابق . يقول : انى أستعظم احتقارك ما تعطيه وتجود به ومن ثم أرى نفسى كأنى لا أعاينه فى اليقظة وانما أراه حلما

إِنَّ الْخَلِيفَةَ لَمْ يُسَمِّكَ سَيْفَهَا ... حَتَّى بَلَاكَ فَكُنْتَ عَيْنَ الصَّارِمِ (١)

وَإِذَا تَتَوَّجَ كُنْتَ دُرَّةَ تَاجِهِ ... وَإِذَا تَخَتَّمَ كُنْتَ فَصَّ الْخَاتَمِ (٢)

وَإِذَا انْتَضَاكَ عَلَى الْعِدَى فِي مَعْرَكٍ ... هَلَكُوا وَضَاقَتْ كَفُّهُ بِالْقَائِمِ (٣)

أَبْدَى سَخَاؤُكَ عَجْزَ كُلِّ مُشَمِّرٍ ... فِي وَصْفِهِ وَأَضَاقَ ذَرْعَ الْكَاتِمِ (٤)

وقال يمدحه وكان سيف الدولة قد أمر غلمانه أن يلبسوا وقصد ميافارقين في خمسة آلاف من الجند وألفين من غلمانه ليزور قبر والدته وذلك سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة

إِذَا كَانَ مَدْحٌ فَالنَّسِيبُ الْمُقَدَّمُ ... أَكُلُّ فَصِيحٍ قَالَ شِعْرًا مُتَيَّمُ (٥)

لَحُبُّ ابْنِ عَبْدِ اللهِ أَوْلَى فَإِنَّهُ ... بِهِ يُبْدَأُ الذِّكْرُ الْجَمِيلُ وَيُخْتَمُ (٦)

---

(١) الهاء في سيفها للدولة وأضمر للعلم . وبلاك اختبرك . والصارم القاطع . يقول: لم يسمك الخليفة سيف الدولة الا بعد أن جربك فكنت صارما حقيقة (٢) تتوج لبس التاج وكذلك تختم أي لبس الخاتم والخاتم بكسر التاء وفتحها . يقول : ان الخليفة يتجمل بك تجمل التاج بالدر والخاتم بالفص (٣) انتضاك استلك وقائم السيف مقبضه: يقول : اذا جردك الخليفة على عدو هلك ذلك العدو وعجزهو عن حملك وضاقت كفه عن قائم سيف أنت حقيقته ، يعني انه انما يجردك بأن يدعوك للنضح عن الخلافة لا بأن يتصرف فيك كيف يشاء (٤) المشمر المجتهد . يقول: من شمر لوصف جودك أظهر جودك عجزه عن وصفك فهو لكثرته يعجز الواصف استيعابه كما قال

وَكُلُّ مَنْ أَبْدَعَ فِي وَصْفِهِ ... أَصْبَحَ مَنْسُوبًا إِلَى الْعِيِّ

ومن كتم وصف جودك ضاق ذرعه لانه يريد أن يصف جودك ويعلم عجزه فيضيق صدره لذلك (٥) النسيب التشبب بالنساء . والمتيم الذي استعبده الهوى . يقول : اعتاد الشعراء أن يقدموا النسيب في أشعارهم كلما مدحوا فأنكر هذه العادة وقال : أكل فصيح يقول الشعر متيم بالحب حتى يبدأ بالنسيب ؟ يعني ليس الامر على هذا فلا تجارهم في هذه العادة (٦) يقول : ان حب سيف الدولة أولى من حب غيره

أَطَعْتُ الْغَوَانِي قَبْلَ مَطْمَحِ نَاظِرِي ... إِلَى مَنْظَرٍ يَصْغُرْنَ عَنْهُ وَيَعْظُمُ (١)

تَعَرَّضَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الدَّهْرَ كُلَّهُ ... يُطَبِّقُ فِي أَوْصَالِهِ وَيُصَمِّمُ (٢)

فَجَازَ لَهُ حَتَّى عَلَى الشَّمْسِ حُكْمُهُ ... وَبَانَ لَهُ حَتَّى عَلَى الْبَدْرِ مِيسَمُ (٣)

كَأَنَّ الْعِدَا فِي أَرْضِهِمْ خُلَفَاؤُهُ ... فَإِنْ شَاءَ حَازُوهَا وَإِنْ شَاءَ سَلَّمُوا (٤)

وَلَا كُتُبَ إِلَّا الْمَشْرَفِيَّةُ عِنْدَهُ ... وَلَا رُسُلٌ إِلَّا الْخَمِيسُ الْعَرَمْرَمُ (٥)

فانه اذا جرى الذكر الجميل يكون به بدؤه وختامه ، يعنى لا يذكر غيره بما يذكر هو به من الجميل ومن كان بهذه الصفة كان أولى بالحب من النساء اللائى ينسب بهن الشعراء (١) الغوانى جمع غانية وهى التى غنيت بحسنها عن الزينة . وطمح بصره اليه ارتفع ونظره شديدا . وقوله ويعظم أى ويعظم عنهن فحذف للعلم . يقول : كنت أرغب في النساء قبل التقائى بسيف الدولة وتطمح عينى إلى منظره الذى حين نظرت اليه نظرت إلى منظر يصغر منظرهن عنه ويعظم هذا المنظر عن منظرهن لأن هذا ملك وسلطان وهن لهو وغزل . وقال ابن جنى : المعنى : كنت متيما بالنساء وحبهن قبل أن أتعرض للأمور العالية فلما قصدتها تركتهن وقوله الى منظر يعني الى معالى الامور، وروايته على هذا التفسير وأعظم أى أنا أعظم عنه جعل نفسه تعظم عن المعالى

(٢) تعرض الدهر وتعرض له أتاه عن عرض — جانب — والتطبيق أن يصيب المفصل فى الضرب والتصميم أن يمضى السيف فى الضريبة . يقول : أتى الدهر عن عرض فذلله بالتطبيق والتصميم وانما وصفه بهما لانه جعله سيفا ويقال سيف مطبق وهو الذى اذا أصاب المفصل قطعه وسيف مصمم اذا كان ماضيا فى الضريبة وحاصل المعنى انه أخضع الدهر فلا يعسر عليه ما أراد كما قال فى البيت التالي

(٣) يقول : فحكمه جائز حتى على الشمس وحسنه ظاهر حتى على البدر أى أنه أحسن منه فالميسم الحسن وهذا ما ذهب اليه ابن جنى وقال العروضى : ان جاز أخذ الميسم من الوسامة فاخذه من الوسم أولى ليكون المعنى موافقا للمصراع الأول يقول كل شيء موسوم بأنه له وتحت قهره وأمره حتى البدر وأشار بالميسم على البدر الى السواد الذى هو أثر المحو (٤) يقول : ان أعداءه من الملوك كأنهم خلفاؤه حيثما كانوا من الأرض استخلفهم على حفظ ممالكهم فان شاء تركهم عليها وان شاء أجلاهم عنها فسلموا ممالكهم اليه ، والمعنى أن أعاديه من الروم وغيرهم يتصرف فيهم كيف شاء (٤) المشرفية السيوف .

فَلَمْ يَخْلُ مِنْ نَصْرٍ لَهُ مَنْ لَهُ يَدٌ ... وَلَمْ يَخْلُ مِنْ شُكْرٍ لَهُ مَنْ لَهُ فَمُ (١)

وَلَمْ يَخْلُ مِنْ أَسْمَائِهِ عُودُ مِنْبَرٍ ... وَلَمْ يَخْلُ دِينَارٌ وَلَمْ يَخْلُ دِرْهَمُ (٢)

ضَرُوبٌ وَمَا بَيْنَ الْحُسَامَيْنِ ضَيِّقٌ ... بَصِيرٌ وَمَا بَيْنَ الشُّجَاعَيْنِ مُظْلِمُ (٣)

تُبَارِي نُجُومَ الْقَذْفِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ ... نُجُومٌ لَهُ مِنْهُنَّ وَرْدٌ وَأَدْهَمُ (٤)

يَطَأْنَ مِنَ الْأَبْطَالِ مَنْ لَا حَمَلْنَهُ ... وَمِنْ قِصَدِ الْمُرَّانِ مَالَا يُقَوَّمُ (٥)

والخميس الجيش . والعرمرم الكثير . يقول : انه لا يرسل الى مخالفيه رسلا غير الجيوش ولا كتب له الا السيوف ، يعنى انه لاقتداره لا يعمد فى اخضاعهم الى الملاينة ولكن الى القتال لانهم أعجز من أن يقاتلوه ولعل فى هذا نظرا الى قول أبى تمام

السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءً مِنَ الْكُتُبِ ... فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ

(١) يريد عظم ملكه وعموم احسانه . يقول : كل من له يد يقوم بنصره لوقوعهم تحت طاعته ولأن نصره نصر دين الله ، وكل من له فم ينطق بشكره لما شملهم من انعامه

(٢) يقول : ان سلطانه عم الدنيا حتى خطب له على منابرها وضرب باسمه الدينار والدرهم (٣) يقول : انه شجاع ذو بصر وحذق بالحرب والنزال فيضرب قرنه مكافحة وقد دنا ما بينهما حتى يضيق مضرب سيفيهما ، وإذا ستر الغبار — غبار الحرب — نور الشمس فأظلم ما بين الشجاعين وزاغت الأبصار فان بصره يبقى ثابتاً فلا يخطئ مقتل قرنه ، و يجوز أن يكون معنى وما بين الشجاعين مظلم أنهما وقعا فى أمر عظيم وتمثل الموت لهما ، ومن شأن الناس أن يقولوا أظلمت الدنيا مابينى وبين فلان إذا كلمه بكلمة تشق عليه وإن لم يكن ثم ظلام (٤) نجوم القذف هي التى ترمى بها الشياطين قال تعالى ويقذفون من كل جانب دحورا ونجوم الممدوح خيله . والورد من الخيل ما بين الكميت والأشقر يقول : إن خيله تنقض على الاعداء كالشهب المنقضة فى الهواء فى السرعة والشدة ، وجعلها نجوما لانها تتلألأ فى الظلام ببريق الحديد ولانها تستغرق الارض بسيرها استغراق الكواكب فهى تسير فى الارض كما تسير الكواكب فى السماء

(٥) القصد قطع الرماح اذا انكسرت الواحدة قصدة . والمران جمع مارن مالان من الرماح . يقول : إن خيله تطأ القتلى من الابطال الذين لم تحملهم ، يعنى ابطال

فَهُنَّ مَعَ السِّيدانِ فى البَرِّ عُسَّلٌ ... وهُنَّ مَعَ النِّينانِ فى المَاءِ عُوَّمُ (١)

وهُنَّ مَعَ الغِزْلانِ فى الوَادِ كُمَّنٌ ... وَهُنَّ مَعَ العِقْبانِ فى النِّيقِ حُوَّمُ (٢)

إِذَا جَلَبَ النَّاسُ الوَشِيجَ فإِنَّهُ ... بِهِنَّ وفى لَبَّاتِهِنَّ يُحَطَّمُ (٣)

بِغُرَّتِهِ فى الحَرْبِ وَالسِّلْمِ والحِجَا ... وَبَذْلِ اللُّهَا وَالحَمْدِ وَالمَجْدِ مُعْلَمُ (٤)

العدو، وتطأ ما تكسر من قطع الرماح التى لا تقوم لتكسرها، وهذا من قول الحصين ابن الحمام المرى

يطأْنَ مِنَ القَتْلَى ومنْ قِصَدِ القَنَا ... خَبَاراً فما يَجْرِينَ إلاَّ تَجَشُّما

« الخبار الارض الرخوة تتعتع فيها الدواب وفى المثل من تجنب الخبار أمن العثار » هذا وقوله من لاحملنه أراد من ماحملنه لان لا لاتدخل على الماضى الامكررة ولكنه أبدلها فرارا من ثقل اللفظ (١) السيدان جمع سيد وهو الذئب. وعسل جمع عاسل من عسلان الذئب وهو الاسراع والاضطراب فى الجرى. والنينان جمع نون وهو الحوت. يقول: ان خيله لكثرة غزواته عمت البر والبحر فهى تعدو مع الذئاب في البر وتعوم مع الحيتان فى البحر حين تقصد أعاديه (٢) فى الواد يريد فى الوادى فاجتزأ عن الياء بالكسرة. وكمن جمع كامن من كمن إذا اختفى. والعقبان جمع عقاب وهو الطائر المعروف. والنيق أعلى موضع في الجبل. والحوم جمع حائم من حومان الطير وهو دورانها. يقول: ان خيله تكمن مع الغزلان فى الاودية التى فيها كناسها، يعنى إذا كمنت للعدو أو هبطت فى الاودية فكمنت فلم تظهر، وتقتحم على الاعداء رؤس الجبال مع العقبان التى فيها وكورها، والحاصل ان الممدوح قد استوى لدى خيله وفرسان جيشه البر والبحر والسهل والوعر فلا يبعد عنه مطلب ولا يمتنع عليه موضع وذلك لقوة عزائمه ونفاذه فى مقاصده (٣) الوشيج عروق القنا ثم صار اسما له. واللبات جمع لبة أعلى الصدر. يقول: إذا جلب الناس الوشيج من منابته ليجمعوه استعدادا لما يطرأ يتكسر تارة بخيله أى بأيدى فرسانها فى الطعن ويتكسر تارة فى صدورها إذا طعنتها الأعداء. يريد وصف وقائع الممدوح بالشدة والاستبسال (٤) بغرته متعلق بمعلم آخر البيت والمراد بغرته وجهه. والحجى العقل. واللهى العطايا جمع لهية. والمعلم الذى جعل لنفسه في الحرب علامة يعرف بها. يقول: هو معلم بوجهه فى هذه الأشياء أى

يُقِرُّ لَهُ بِالْفَضْلِ مَنْ لا يَوَدُّهُ ... وَيَقْضِي لَهُ بِالسَّعْدِ مَنْ لا يُنَجِّمُ (١)

أَجَارَ عَلَى الأَيَّامِ حَتَّى طَنَنْتُهُ ... تُطَالِبُهُ بِالرَّدِّ عَادٌ وَجُرْهُمُ (٢)

ضَلالاً لِهَذِي الرِّيحِ مَاذَا تُرِيدُهُ ... وَهَدْيًا لِهَذَا السَّيْلِ مَاذَا يُؤَمِّمُ (٣)

أَلَمْ يَسْأَلِ الوَبْلُ الذي رَامَ ثَنْيَنَا ... فَيُخْبِرَهُ عَنْكَ الحَدِيدُ المُثَلَّمُ (٤)

انه معروف يعرف بوجهه فكأنه معلم به عند الحرب إذا حارب وعند السلم وعند العقل والسخاء قال الواحدى : وهذا على رواية معلم بفتح اللام ومن روى بكسر اللام قال انه لشدته وشهرته لا يحتاج أن يعلم نفسه فانه معلم بوجهه يعنى أن وجهه كعلامة له لشهرته والجيد رواية من روى للحرب معلم يقول : بوجهه علامة لهذه الاشياء أى اذا نظرت إليه عرفت أنه أهل لهذه الأشياء موصوف بها يحارب إذا رأى الحزم فى الحرب ويسالم إذا رأى السلم خيرا من الحرب ويعرف فى وجهه أنه عاقل جواد محمود ماجد

(١) يقول : ان عدوه يشهد له بالفضل لظهوره ووضوحه بحيث لا يمكن أن ينكر فضله كما قيل

والفَضْلُ ماشَهِدَتْ بِهِ الأعداء

ولظهور آثار السعادة عليه يحكم له بالسعادة من لا يعرف أحكام النجوم من السعادة والنحوسة (٢) عاد وجرهم قبيلتان من العرب القديمة البائدة . يقول : أجار الناس من الأيام وحفظهم منها فلا تقدر أن تصيبهم بمكروه حتى أطمع ذلك قبائل عاد وجرهم — على قدمهم وانعدامهم وهلاكهم فى الزمان الأول — فى أن يستنقذهم من يد العدم فتطالبه بردهم إلى الدنيا بعد أن أفنتهم الايام (٣) يدعو على الريح بالضلال لأنها آذتهم فى طريقهم كما قال

بَكَرْنَ ضُرًّا وَبَكَرْتَ تَنْفَع

ودعا للسيل بالهداية لأنه حكى الممدوح بالجود، وقال ابن فورجه أراد الدعاء على الريح لضررها والدعاء للمطر لنفعه وقوله ماذا يؤمم أى ماذا يقصد ؟ هل يقصد أن يصد سيف الدولة عن طريقه وهو لا يستطيع ذلك ؟ (٤) الوبل المطر الغزير . وثنينا أى صرفنا ويخبره بالنصب لأنه جواب الاستفهام . يقول : هلا سأل المطر الذى قصد

وَلَمَّا تَلَقَّاكَ السَّحَابُ بِصَوْبِهِ ... تَلَقَّاهُ أَعْلَى مِنْهُ كَعْبًا وَأَكْرَمُ (١)

فَبَاشَرَ وَجْهًا طَالَمَا بَاشَرَ القَنَا ... وَبَلَّ ثِيَابًا طَالَمَا بَلَّهَا الدَّمُ (٢)

تَلَاكَ وَمَحْضُ الْغَيْثِ يَتْبَعُ بَعْضُهُ ... مِنَ الشَّأْمِ يَتْلُو الحَاذِقَ المُتَعَلِّمُ (٣)

فَزَارَ الَّتِي زَارَتْ بِكَ الْخَيْلُ قَبْرَهَا ... وَجَشَّمَهُ الشَّوْقُ الَّذِي تَتَجَشَّمُ (٤)

وَلَمَّا عَرَضْتَ الْجَيْشَ كَانَ بَهَاؤُهُ ... عَلَى الْفَارِسِ الْمُرْخَى الذُّؤَابَةِ مِنْهُمُ (٥)

حَوَالَيْهِ بَحْرٌ لِلتَّجَافِيفِ مَائِجٌ ... يَسِيرُ بِهِ طَوْدٌ مِنَ الْخَيْلِ أَيْهَمُ (٦)

صرفك عن مقصدك بسكبه فتخبره السيوف التى ثلمتها وقائمك انها لم تقدر على صرفك عن وجهك فيعلم المطر أنه لا يقدر أيضا على صرفك (١) بصوبه أى بما ينسكب منه. ويقال فلان أعلى كعبا من فلان أى أرفع منه قدرا وأصله فى المتصارعين يكون كعب الغالب أعلى من كعب المغلوب يقول: لما استقبلك السحاب بالمطر استقبله منك من هو أعلى منه شرفا وأوسع كرما (٢) القنا الرماح. يقول: ان هذا المطر باشر منك وجها طالما باشر الرماح فلم تنل منه وبل ثيابا طالما بلتها دماء القتلى فلم يثنه بللها فكيف يهاب وقع المطر من لا يهاب وقع الرماح ويخشى الماء من لم يخش الدماء؟ (٣) تلاك تبعك. ومن الشام متعلق بتلاك. يقول: تبعك الغيث وأنت غيث فلا جرم أن يتبع بعضه بعضا، وأنت أستاذ حاذق فى الجود فهو يتبعك ليتعلم منك الجود كما أن المتعلم للشىء يتبع من حذقه

(٤) جشمه الشىء كلفه إياه فتجشمه. يقول: ان السحاب زار قبر والدتك معك وكلفه الشوق ما كلفك من المسير نحوها، أى هو يشتاق قبرها كما تشتاقه (٥) الذؤابة فى الأصل الضفيرة من شعر الرأس والمراد بها هنا ما أرسل من طرف العمامة بعد تكويرها وأراد بالفارس المرخى الذؤابة سيف الدولة وارخاء الذؤابة كناية عن كونه معتما لأن سائر الجيش بالمغافر. يقول: لما عرضت الجيش وتصفحته كنت أنت بهاءه وجماله على عظم شأنه وتكاثر شجعانه (٦) التجافيف جمع تجفاف ما جلل به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح وقد يلبسه الانسان أيضا. والطود الجبل. والأيهم الذى لا يهتدي فيه يقال ركب أيهم وفلاة يهماء. جعل كثرة التجافيف حوله بحرا مائجا وجعل خيله التى تسير بهذه التجافيف طودا عظيما، يعنى أن حوله من بريق الأسلحة ولمعان

تَسَاوَتْ بِهِ الأَقْطَارُ حَتَّى كَأَنَّهُ ... يُجَمِّعُ أَشْتَاتَ الجِبَالِ وَيَنْظِمُ (١)

وَكُلُّ فَتًى لِلْحَرْبِ فَوْقَ جَبِينِهِ ... مِنَ الضَّرْبِ سَطْرٌ بِالأَسِنَّةِ مُعْجَمُ (٢)

يَمُدُّ يَدَيْهِ فِى الْمُفَاضَةِ ضَيْغَمٌ ... وَعَيْنَيْهِ مِنْ تَحْتِ التَّرِيكَةِ أَرْقَمُ (٣)

كَأَجْنَاسِهَا رَايَاتُهَا وَشِعَارُهَا ... وَمَا لَبِسَتْهُ وَالسِّلَاحُ الْمُسَمَّمُ (٤)

التجافيف ما يشبه البحر بكثرته ويحكيه ببريق جملته ، يشير بذلك إلى موكب من خيله وهو تخيل بديع جعله التجافيف بحرا يسير به من الخيل جبل عظيم لا يهتدى فيه

(١) الأشتات المتفرقة يقول — كما قال ابن جنى — : تحيط خيله بالجبال وهى كالجبل فكأن جيشه يؤلف بينها لسعته وكثافته كقول النابغة

تَغِيبُ الشَّوَاهِقُ فى جيشِهِ ... وَتَبْدُو صِغَاراً إِذَا لَمْ تَغِبْ

وقال الواحدى : أى عم الأرض بكثرة خيله فنظم بعمومه متفرق الجبال ونواحى الأرض (٢) وكل فتى عطف على قوله بحر أى وحواليه كل فتى . والأسنة أطراف الرماح . والاعجام التنقيط . يقول : وحوله فتيان على وجوههم آثار الضرب والطعن يريد أنهم رجال حرب . وجعل أثر الضرب كالسطر لطوله وأثر الطعن اعجاما لذلك السطر لندور جراحته فهى كالنقطة وهذا المعنى ينظر إلى قول أبى تمام

كتبتَ أوجههُمْ مشقا ونمنمة ... ضرباً وطعناً يُقاتُ الهامَ والصلفا

كتابة لا تنى مقروءةً أبداً ... وما خططتَ بها لاما ولا ألفا

(٣) المفاضة الدرع الواسعة والضيغم الأسد والتريكة البيضة من الحديد تشبيها بالتريكة وهى بيضة النعامة إذا انفلقت وخرج الفرخ فتركت والأرقم الحية الذكر والضمير فى يديه وعينيه للفتى وضيغم فاعل يمد وأراد يمد يديه منه ضيغم كما تقول أن لقيت فلانا لقيت منه الأسد وقوله وعينيه أي ويفتح عينيه منه ارقم وهذا من باب علفتها تبنا وماء باردا . يقول : ان هذا الفتى فى الشجاعة كالأسد وفى حدة النظر وتوقد العينين كالأرقم فاذا مد يديه فى الدرع فقد مدها أسد وإذا مد عينيه من تحت الخوذة فقد مدها أرقم (٤) الضمير فى كأجناسها للخيل والشعار العلامة فى الحرب . والمسمم الذى سقى السم . يقول : إن هذه الخيل عربية وكل ما معها من الرايات والسلاح والملابس عربى كذلك

وَأَدَّبَهَا طُولُ القِتَالِ فَطَرْفُهُ ... يُشِيرُ إِلَيْهَا مِنْ بَعِيدٍ فَتَفْهَمُ (١)

تُجَاوِبُهُ فِعْلاً وَمَا تَعْرِفُ الوَحَى ... وَيُسْمِعُهَا لَحْظًا وَمَا يَتَكَلَّمُ (٢)

تَجَانَفُ عَنْ ذَاتِ الْيَمِينِ كَأَنَّهَا ... تَرِقُّ لِمَيَّا فَارِقِينَ وَتَرْحَمُ (٣)

وَلَوْ زَحَمَتْهَا بِالْمَنَاكِبِ زَحْمَةً ... دَرَتْ أَيُّ سُورَيْهَا الضَّعِيفُ الْمُهَدَّمُ (٤)

عَلَى كُلِّ طَاوٍ تَحْتَ طَاوٍ كَأَنَّهُ ... مِنَ الدَّمِ يُسْقَى أَوْ مِنَ اللَّحْمِ يُطْعَمُ (٥)

---

(١) : أدب هذه الخيل طول تمرسها بالقتال والتقلب فى شدائد الحرب حتى إن فارسها إذا أشار اليها من بعد فهمت اشارته (٢) الوحى الصوت الخفى . يقول : إن هذه الخيل لأدبها تجاوبه بفعلها من غير أن تسمع صوته ويفهمها مراده باللحظ من غير أن يتكلم وهذا المعنى ينظر الى قول القائل

هَلْ تَذْكُرِينَ إِذَا الرِّكَابُ مُنَاخَةٌ ... بِرِحَالِهَا لِوَدَاعِ أَهْلِ الْمَوْسِمِ

إِذْ نَحْنُ تُخْبِرُنَا الْحَوَاجِبُ بَيْنَنَا ... مَافِي النُّفُوسِ وَنَحْنُ لَمْ نَتَكَلَّمِ

(٣) التجانف الميل وميافارقين بلد من أعمال ديار بكر . يقول : إن خيلك تميل عن ميا فارقين رحمة لها لأن فيها قبر والدته وخشية أن تدوسها بحوافرها لوهى سارت بجانبها (٤) يقول : لوان هذه الخيل زحمت ميافارقين بمناكبها أو لو زحمت ميافارقين الخيل بجدرها ــ وسماها مناكب لأن الزحام يكون بالمناكب ــ يعنى لو جرت بينهما مزاحمة لدرت ــ علمت ــ ميا فارقين أى السورين يكون الضعيف المهدم ، يعنى أن الخيل أقوى من هذه البلدة فهى لو قصدتها لهدمت سورها فكانت تعلم أن سورها ضعيف لايقوى على دفع خيل سيف الدولة ، واستعار للخيل سورا لأنه ذكرها مع البلدة وجمعهما فى المزاحمة ولما كانت البلدة قوية بالسور استعار لقوة الخيل سورا ، قال ابن جنى من أعجب ماجرى أن أبا الطيب أنشد هذه القصيدة عصرا وسقط سور المدينة تلك الليلة ، وكان جاهليا ــ قديما ــ (١) على كل طاو من صلة قوله وكل فتى . والطاوى الخميص الجوف أى الضامر جوعا . يقول : وكل فتى على فرس ضامر تحت فارس ضامر كأن شرابه الدم وطعامه اللحم فهو أبدا مستميت فى طلب الأعداء مقتحم عليهم موغل فى طلبهم ليأكل لحومهم ويشرب دماءهم ، ووجه آخر وهو : وكل فتى

لَهَا فِى الْوَغَى زِىُّ الفَوَارِسِ فَوْقَهَا ... فَكُلٌّ حِصَانٍ دَارِعٌ مُتَلَثِّمُ (١)

وَمَا ذَاكَ بُخْلاً بِالنُّفُوسِ عَلَى القَنَا ... وَلَكِنَّ صَدْمَ الشَّرِّ بِالشَّرِّ أَحْزَمُ (٢)

أَتَحْسِبُ بِيضُ الهِنْدِ أَصْلَكَ أَصْلَهَا ... وَأَنَّكَ مِنْهَا سَاءَ مَا تَتَوَهَّمُ (٣)

إِذَا نَحْنُ سَمَّيْنَاكَ خِلْنَا سُيُوفَنَا ... مِنَ التِّيهِ فِى أَغْمَادِهَا تَتَبَسَّمُ (٤)

ضامر على فرس ضامر كأنه — أى الفرس — يسقى من دمه ويطعم من لحمه أى لضمره كأنه ليس له غذاء ولا شرب إلا من جسمه فهو يزداد كل يوم ضمرا (١) الوغى الحرب . والحصان الذكر من الخيل . والدارع ذو الدرع . يقول : ان لهذه الخيل فى الحرب زى فوارسها لأنها قد ألبست التجافيف صونا لها فكل فرس منها ذو دروع من التجافيف وذو لثام بما أرسل على وجهه من الحديد (٢) يقول : لم يتحصنوا هم بالدروع ولم يحصنوا خيلهم بها ضنا بنفوسهم أن تنالها أسنة الرماح فانهم شجعان لا يبالون بالقتل غير أنهم يقابلون شر الأعداء بمثله وذلك فعل الحازم اللبيب ومن شهد الحرب غير مستعد ولا متسلح كان ذلك خرقا وهوجا ، روى أن كثيراً أنشد عبد الملك بن مروان

عَلِىُّ بْنُ أَبِى العَاصِى دِلاصٌ حَصِينَةٌ ... أَجَادَ المُسَدِّى سَرْدَهَا وَأَذَالَهَا

فقال له عبد الملك هلا مدحتنى كما مدح الأعشى صاحبه فقال

وَإِذَا تَكُونُ كَتِيبَةٌ مَلْمُومَةٌ ... شَهْبَاءُ يَخْشَى الرَّائِدُونَ نِهَالَهَا

كُنْتَ المُقَدَّمَ غَيْرَ لابِسِ جُنَّةٍ ... بِالسَّيْفِ تَقْتُلُ مُعْلِماً أَبْطَالَهَا

فقال له كثير إنه وصف صاحبه بالحرق وأنا وصفتك بالحزامة ، ويريد المتنبى بالشر الأول شر الاعداء وما جاؤا به من العدد والاسلحة وبالثانى ما عارضوهم بمثله وسماه شرا للمقابلة كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها (٣) يقول : أتظن السيوف لأنك سميت سيفا أنها تشاركك فى الأصل وأنك من جملتها ، ساء هذا الوهم وها ، يعنى أنك وإن سميت سيفا فانك أشرف من سيوف الهند وأجل منها شأنا وأعظم أصلا رغم جلالتها ورفعتها ونفاذها وهيبتها فهى بعض آلاتك تصرفها ولا تصرفك (٤) يقول : إذا نحن سميناك سيفا خلنا — حسبنا — سيوفنا تتكبر وتعجب بأن صرت لها سميا فهى تتبسم فى أغمادها تيها — كبرا وفخرا — وهذا ينظر إلى قول أبى نواس

تَنِيهُ الشَّمْسُ وَالقَمَرُ المُنِيرُ ... اذَا قُلْنَا كَأَنَّهُمَا الأَمِيرُ

وَلَمْ نَرَ مَلِكاً قَطُّ يُدْعَى بِدُونِهِ ... فَيَرْضَى وَلَكِنْ يَجْهَلُونَ وَنَحْلُمُ (١)

أَخَذْتَ عَلَى الأَعْدَاءِ كُلَّ ثَنِيَّةٍ ... مِنَ العَيْشِ تُعْطِي مَنْ تَشَاءُ وَتَحْرِمُ (٢)

فَلَا مَوْتَ إِلَّا مِنْ سِنَانِكَ يُتَّقَى ... وَلَا رِزْقَ إِلَّا مِنْ يَمِينِكَ يُقْسَمُ (٣)

وقال يعاتب سيف الدولة وأنشدها فى محفل من العرب وكان سيف الدولة إذا تأخر عنه مدحه شق عليه وأحضر من لاخير فيه وتقدم إليه بالتعرض له فى مجلسه بما لايحب وأكثر عليه مرة بعد مرة فقال يعاتبه

وَا حَرَّ قَلْبَاهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَبِمُ ... وَمَنْ بِجِسْمِي وَحَالِي عِنْدَهُ سَقَمُ (٤)

---

(١) بدونه أى بدون قدره واستحقاقه . يقول : لم نر ملكا يلقب بدون مايستحق فيرضى بذلك ومحله فوق أن يسمى سيفا ولكن الناس يجهلون قدرك وأنت تحلم عنهم فلا تؤاخذهم بجهلهم (٢) الثنية طريق العقبة . يقول : أخذت على أرواح أعدائك طريق عيشهم فليس يعيشون لأنك فرقت بينهم وبين أرواحهم بالقتل وأنت تعطى من تشاء وتحرم من تشاء لأنك ملك فى يدك البسط والقبض (٣) هذا من قول أبى العتاهية

فَمَا آفَةُ الآجَالِ غَيْرُكَ فِي الوَغَى ... وَمَا آفَةُ الأَمْوَالِ غَيْرُ حِبَائِكَا

(٤) الشبم البارد . يقول : واحر قلبى واحتراقه حبا وهياما بمن قلبه بارد لا يحفل بى ولا يقبل على ، وأنا عنده عليل الجسم لفرط ما أعانى وأقاسى فيه سقيم الحال لفساد اعتقاده فى . هذا وقوله وا حر قلباه أصلهوا حر قلبى فأبدل من الياء ألفا طلبا للخفة والعرب تفعل ذلك فى النداء واستجلب هاء السكت وأثبتها فى الوصل كما تثبت فى الوقف وحرك الهاء لسكونها وسكون الألف قبلها وللعرب فى ذلك أمران منهم من حركها بالضم تشبيها بهاء الضمير وأنشدوا

وَقَدْ رَابَنِي قَوْلُهَا يَا هَنَاهُ ... وَيْحَكَ أَلْحَقْتَ شَرًّا بِشَرْ

ومنهم من يحرك بالكسر على ما يوجد كثيرا عند التقاء الساكنين

مَالِي أُكَتِّمُ حُبًّا قَدْ بَرَى جَسَدِي ... وَتَدَّعِي حُبَّ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الأُمَمُ (١)

إِنْ كَانَ يَجْمَعُنَا حُبٌّ لِغُرَّتِهِ ... فَلَيْتَ أَنَّا بِقَدْرِ الْحُبِّ نَقْتَسِمُ (٢)

قَدْ زُرْتُهُ وَسُيُوفُ الْهِنْدِ مُغْمَدَةٌ ... وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَالسُّيُوفُ دَمُ (٣)

فَكَانَ أَحْسَنَ خَلْقِ اللهِ كُلِّهِمِ ... وَكَانَ أَحْسَنَ مَا فِي الأَحْسَنِ الشِّيَمُ (٤)

فَوْتُ الْعَدُوِّ الَّذِي يَمَّمْتَهُ ظَفَرٌ ... فِي طَيِّهِ أَسَفٌ فِي طَيِّهِ نِعَمُ (٥)

قَدْ نَابَ عَنْكَ شَدِيدُ الْخَوْفِ وَاصْطَنَعَتْ
لَكَ الْمَهَابَةُ مَا لَا تَصْنَعُ الْبُهَمُ (٦)

أَلْزَمْتَ نَفْسَكَ شَيْئًا لَيْسَ يَلْزَمُهَا ... أَنْ لَا يُوَارِيَهُمْ أَرْضٌ وَلَا عَلَمُ (٧)

---

(١) براه أنحله وأضناه . يقول : اذا كان الناس يدعون حبه ويظهرون خلاف مايضمرون فلم أخفى أنا حبه الذى برح بى وأسقمنى وأعين على نفسى بهذا الكتمان ؟

(٢) الغرة الطلعة . يقول : ان كان يجمعنى وغيرى أن نكون محبين له أى ان حصلت الشركة فى حبه فليتنا نقتسم فواضله وعطاياه بمقدار ذلك الحب حتى أكون أوفر نصيبا من غيرى لأنى أوفر حبا من غيرى وقال ابن جنى أى ان كان يجمعنا من آفاق البلاد المتباعدة حب لغرته فليت أنا نقتسم بره كما نقتسم حبه (٣) يقول : انه خدمه فى حالى السلم والحرب (٤) الشيم جمع شيمة وهى الخليقة والخلق . يقول : انه كان فى الحالين أحسن الخلق وكانت أخلاقه أحسن مافيه وإنما المرء خلقه (٥) يممته قصدته . والأسف الحزن . يقول : — وكان سيف الدولة اتبع بعض ملوك الروم ففاته — : فوت العدو الذى قصدته ففاتك بأن فر منك لاستحكام جزعه ظفر حيث فر منك فكأنك ظفرت به وإن كان فى طى هذا الظفر أسف حين لم تدركه فتقتله وفى طى ذلك الأسف نعم اذ صرف الله عنك مؤنة الحرب وحفظ جيشك مما قد يلم به من قتل وجراح (٦) البهم الأبطال الذين تناهت شجاعتهم جمع بهمة ويقال للجيش بهمة ومنه قولهم فلان فارس بهمة . يقول : ان خوف أعدائك منك ناب عنك فى شدة تأثيره فيهم فصنع لك مالا تصنعه عساكرك الشجعان ، يعنى أن مهابتك فى قلوب أعدائك ابلغ من رجالك وأبطالك الذين معك (٧) يواريهم يسترهم ويكنهم . والعلم

أَكُلَّمَا رُمْتَ جَيْشًا فَانْثَنَى هَرَبًا تَصَرَّفَتْ بِكَ فِى آثَارِهِ الْهِمَمُ (١)

عَلَيْكَ هَزْمُهُمُ فِى كُلِّ مُعْتَرَكٍ وَمَا عَلَيْكَ بِهِمْ عَارٌ إِذَا انْهَزَمُوا (٢)

أَمَا تَرَى ظَفَرًا حُلْوًا سِوَى ظَفَرٍ تَصَافَحَتْ فِيهِ بِيضُ الْهِنْدِ وَاللِّمَمُ (٣)

يَا أَعْدَلَ النَّاسِ إِلَّا فِى مُعَامَلَتِى

فِيكَ الْخِصَامُ وَأَنْتَ الْخَصْمُ وَالْحَكَمُ (٤)

أُعِيذُهَا نَظَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً

أَنْ تَحْسَبَ الشَّحْمَ فِيمَنْ شَحْمُهُ وَرَمُ (٥)

الجبل الطويل الوعر المسلك . يقول : ألزمت نفسك شيأ لم يكن ليلزمها وذلك رغبتك فى أن لا يوارى أعداءك أرض تشتمل عليهم أو جبل يحول بينك وبينهم وإباؤك إلا أن تقتلهم حتى بعد هربهم وهذا لا يلزمك لأنه يكفيك أن تكون قد هزمتهم (١) يقول : أكلما طلبت جيشا فارتد هاربا منك وهزمته حفزتك همتك إلى اقتفائه واقتفاء آثاره حتى تعمل فيهم سيفك ؟ وهذا استفهام انكار أى ليس عليك أن تفعل وحسبك انهزامهم (٢) المعترك ملتقى الحرب ، يقول : عليك ان تهزمهم اذا التقوا معك فى مجال الحرب والقتال ولا عار عليك اذا انهزموا فتحصنوا بالهرب اشفاقا منك وخوفا من لقائك فلم تظفر بهم (٣) بيض الهند السيوف . واللمم جمع لمة وهى الشعر اذا ألم بالمنكب . يقول : ليس يحلو لك الظفر إلا اذا ضربت رؤسهم بالسيف وتلاقت سيوفك وشعورهم (٤) يقول : أنت أعدل الناس إلا اذا عاملتنى فان عدلك لا يشملنى وفيك خصامى وأنت الخصم والحكم لأنك ملك لا أحاكمك الى غيرك وانما استعدى عليك حكمك والخصام وقع فيك ، وأذن كيف ينتصف منك قال ابن جنى : هذه شكوى مفرطة لأنه قال فى موضع آخر

ومَا يُوجِعُ الحِرْمَانُ مِنْ كَفِّ حَارِمٍ كَمَا يُوجِعُ الحِرْمَانُ مِن كَفِّ رَازِقِ

وإذا كان عدلا فى الناس كلهم إلا فى معاملته فقد وصفه بأقبح الجور (٥) قال ابن جني . سألته ـ أى المتنبى ـ عن الهاء ـ فى أعيذها ـ على أى شىء تعود فقال على النظرات وقد أجاز مثله أبو الحسن الأخفش فى قوله تعالى فانها لا تعمى الأبصار

وَمَا انْتِفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَاظِرِهِ ... إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الأَنْوَارُ وَالظُّلَمُ (١)

أَنَا الَّذِي نَظَرَ الأَعْمَى إِلَى أَدَبِي ... وَأَسْمَعَتْ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمُ (٢)

أَنَامُ مِلْءَ جُفُونِي عَنْ شَوَارِدِهَا ... وَيَسْهَرُ الْخَلْقُ جَرَّاهَا وَيَخْتَصِمُ (٣)

وَجَاهِلٍ مَدَّهُ فِي جَهْلِهِ ضَحِكِي ... حَتَّى أَتَتْهُ يَدٌ فَرَّاسَةٌ وَفَمُ (٤)

فقال الهاء راجعة إلى الأبصار وغيره من النحويين يقول انها اضمار على شريطة التفسير كأنه فسر الهاء بالنظرات ونظرات ــ كما قال التبريزى ــ فى موضع نصب على التمييز اى من نظرات . يقول : انك اذا نظرت إلى شيء عرفته على ماهو عليه فنظراتك صادقة تصدقك فلا تغلط فيما تراه فلا تحسب الورم شحما ، وهذا مثل يقول لاتظن المتشاعر شاعرا كما يحسب الورم سمنا (١) الناظر العين . يقول : اذا لم يميز الانسان البصير بين النور والظلمة فأى نفع له فى بصره ؟ يعنى : يجب أن تميز بينى وبين غيرى ممن لم يبلغ درجتى كما تميز بين النور والظلمة لأن الفرق بينى وبين غيرى ظاهر ظهور الفرق بين النور والظلمة فلا ينبغى أن يستويا في عين البصير (٢) يقول : ان الأعمى على فساد حاسة بصره أبصر أدبى وكذلك الأصم سمع شعرى ، يعنى أن شعره سار فى آفاق البلاد واشتهر حتى تحقق عند الأعمى والأصم أدبه فكأن الأعمى رآه لتحققه عنده وكأن الأصم سمعه . وكان المعرى اذا أنشد هذا البيت يقول أنا الأعمى

(٣) الشوارد سوائر الأشعار من قولهم شرد البعير إذا نفر والضمير فى شواردها للكلمات قال ابن جنى يحتمل أن يراد بالكلمات جمع كلمة التى هي اللفظة الواحدة وهذا أشد فى المبالغة ويجوز أن يعنى بالكلمات القصائد وهم يسمون القصيدة كلمة . وملء جفونى موضع المصدر أى أنام نوما ملء جفونى . ويقال فعلت ذلك جراك ومن جرائك أى من أجلك . ووحد الضمير فى يختصم على لفظ الخلق لا معناه . يقول : أنا أنام ملء جفونى عن شوارد الشعر لا أحفل بها لأنى أدركها متى شئت بسهولة أما غيرى من الشعراء فانهم يسهرون لاجلها ويتعبون ويختصمون ، قال الواحدى : ومعنى الاختصام اجتذاب الشيء من النواحى والزوايا مأخوذ من الخصم وهو طرف الوعاء يقول : انهم يجتذبون الاشعار احتيالا ويجتلبونها استكراها (٤) مده أمهله وطول له . وأصل الفرس دق العنق ومنه سمى الاسد فراسا يقول : رب جاهل خدعته مجاملتى

إِذَا نَظَرْتَ نُيُوبَ اللَّيْثِ بَارِزَةً فَلَا تَظُنَّنَّ أَنَّ اللَّيْثَ مُبْتَسِمُ (١)

وَمُهْجَةٍ مُهْجَتِي مِنْ هَمِّ صَاحِبِهَا أَدْرَكْتُهَا بِجَوَادٍ ظَهْرُهُ حَرَمُ (٢)

رِجْلَاهُ فِي الرَّكْضِ رِجْلٌ وَالْيَدَانِ يَدٌ وَفِعْلُهُ مَا تُرِيدُ الْكَفُّ وَالْقَدَمُ (٣)

وَمُرْهَفٍ سِرْتُ بَيْنَ الْجَحْفَلَيْنِ بِهِ حَتَّى ضَرَبْتُ وَمَوْجُ الْمَوْتِ يَلْتَطِمُ (٤)

فَالْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي وَالسَّيْفُ وَالرُّمْحُ وَالْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ (٥)

وتركه فى جهله — خرقه — ضحكى منه حتى افترسته وبطشت به بعد زمان ، يعنى أنه يغضى عن الجاهل ويحلم الى أن يجازيه ويعصف به (١) يقول : اذا كشر الاسد عن نابه فليس ذلك تبسما بل قصدا للافتراس . يريد أنه وإن أبدى بشره وتبسمه للجاهل فليس ذلك رضى عنه ، وفى مثل هذا يقول أبو تمام

قَدْ قَلَّصَتْ شَفَتَاهُ مِنْ حَفِيظَتِهِ فَخِيلَ مِنْ شِدَّةِ التَّعْبِيسِ مُبْتَسِمَا

(٢) مهجتى مبتدا ومن هم صاحبها خبر والجملة صفة لمهجة . والهم ما اهتممت به . والحرم ما لا يحل انتهاكه . يقول : رب مهجة همة صاحبها مهجتى أى قتلى واهلاكى أدركت هذه المهجة بفرس من ركبه أمن من أن يلحق فكأن ظهره حرم لايدنو منه أحد (٣) يصف جواده يقول : لحسن مشيه واستواء وقع قوائمه فى الركض كأن رجليه رجل واحدة لأنه يرفعهما معا ويضعهما معا وكذلك يداه — ويسمى هذا الجرى النقال والمناقلة — ثم قال وفعله ماتريد الكف والقدم أى ان جريه يغنيك عن تحريك اليد بالسوط والرجل بالاستحثاث ، وقال ابن الأفليلى : وفعله فى السرعة ماتريد القدم التى بها يستعجل وفى المؤاناة والموافقة ماتريد الكف التى بها يستوقف

(٤) المرهف السيف الرقيق الشفرتين . والجحفل الجيش الكثير . وروى ابن جنى بين الموجتين أراد موجتى الجيشين لأنهما يموج بعضهما فى بعض . يقول : ورب سيف سرت به بين الجيشين العظيمين حتى قاتلت به والموت غالب تلتطم أمواجه وتضطرب

(٥) البيداء الفلاة وتعرفنى يروى تشهدلى ويروى بدل السيف والرمح الضرب والطعن وروى الواحدى والحرب والضرب يصف نفسه بالشجاعة والفصاحة وان هذه الأشياء ليست تنكره لطول صحبته اياها . يقول : الليل يعرفنى لكثرة سراى فيه وطول ادراعى له والخيل تعرفنى لتقدمى فى فروسيتها والبيداء تعرفنى لمداومتى قطعها

صحبتُ فى الفلواتِ الوحشَ منفردًا حتى تعجبَ منى القورُ والأكمُ (١)

يا منْ يعزُّ علينا أنْ نفارقهمْ وجدانُنا كلَّ شىءٍ بعدكمْ عدمُ (٢)

ما كانَ أخلقنا منكمْ بتكرمةٍ لوْ أنَّ أمركمُ منْ أمرنا أممُ (٣)

إنْ كانَ سرَّكمُ ما قالَ حاسدُنا فما لجرحٍ إذا أرضاكمُ ألمُ (٤)

وبيننا لوْ رعيتمْ ذاكَ معرفةٌ إنَّ المعارفَ فى أهلِ النُّهى ذممُ (٥)

واستسهالى صعبها والسيف والرمح يشهدان بحذقى فى الضرب بهما والقراطيس تشهد لى بحاطتى بما فيها والقلم عالم بابداعى فيما أقيده به (١) الفلوات القفار . والقور جمع قارة وهى الأرض ذات الحجارة السوداء ويروى الغور وهو المطمئن من الأرض . والأكم جمع أكمة الجبل الصغير . يقول : سافرت وحدى وصحبت الوحش فى الفلوات منفردا بقطعها مستأنسا بصحبة حيوانها حتى تعجب منى نجدها وغورها لكثرة مانلقانى وحدى (٢) يقول : يامن يشتد علينا فراقه بما أسلف الينا من عوارفه كل شىء وجدناه بعدكم فان وجداننا عدم ، يعنى لايغنى غناءكم أحد ولا يخلفكم عندنا بدل

(٣) ما أخلقه بكذا وأقمنه وأجدره وأحراه وأولاه بمعنى . والأمم القصد وهو أمر بين أمرين لاقريب ولا بعيد يقول : ما كانا أحرانا ببركم وتكرمتكم لو أن أمركم فى الاعتقاد لنا على نحو أمرنا فى الاعتقاد لكم ! يعني لو تقارب مابيننا بالحب لأكرمتمونى

(٤) يقول : ان سررتم بقول حاسدنا وطعنه فينا فقد رضينا بذلك ان كان لكم به سرور فان جرحا يرضيكم لا نجد له ألما لأن كل سرورنا فى سروركم ورضانا فى ارضاكم ، وهذا من قول منصور الفقيه

سُرِرْتُ بهجْرِكَ لمَّا عَلِمْتُ أنَّ لقلْبكَ فيهِ سُرُورَا
ولَوْلاَ سُرُورُكَ ما سَرَّنِى ولاَ كُنتُ يَوْماً عَلَيْهِ صَبُورَا
لأنِّى أرَى كلَّ ما ساءَنِى إذَا كانَ يُرْضِيكَ سَهْلاً كبيرَا

(٥) بيننا خبر مقدم ومعرفة مبتدا مؤخر . وقوله لو رعيتم ذاك اعتراض والأشارة إلى مضمون الجملة أى لو رعيتم أن بيننا معرفة . والنهى العقول . والذمم العهود يقول : ان لم يجمعنا الحب فقد جمعتنا المعرفة وذوو العقول يراعون المعرفة ويقدرونها حق قدرها والمعارف عندهم عهود وذمم لا يضيعونها

كَمْ تَطْلُبُونَ لَنَا عَيْبًا فَيُعْجِزُكُمْ ... وَيَكْرَهُ اللهُ مَا تَأْتُونَ وَالكَرَمُ (١)

مَا أَبْعَدَ العَيْبَ وَالنُّقْصَانَ عَنْ شَرَفِي ... أَنَا الثُّرَيَّا وَذَانِ الشَّيْبُ وَالهَرَمُ (٢)

لَيْتَ الغَمَامَ الَّذِي عِنْدِي صَوَاعِقُهُ ... يُزِيلُهُنَّ إِلَى مَنْ عِنْدَهُ الدِّيَمُ (٣)

أَرَى النَّوَى يَقْتَضِينِي كُلَّ مَرْحَلَةٍ ... لَا تَسْتَقِلُّ بِهَا الوَخَّادَةُ الرُّسُمُ (٤)

---

(١) يقولون : كم تحاولون أن تجدوا لى عيبا تعيبوننا به وتتعلقون عليه وتعتذرون به فى معاملتى فيعجزكم وجوده ، وهذا الذى تفعلونه يكرهه الله ويكرهه الكرم الذى يأبى عليكم الا أن تنصفونى منكم وتكافؤنى بالجميل ، وهذا تعنيف لسيف الدولة على اصغائه إلى الطاعنين عليه والساعين بالوشاية .

(٢) وذان أى العيب والنقصان . يقول : ان بعد ما بينى وبين النقصان والعيب كبعد الثريا من الشيب والهرم فكما لا يلحقها الشيب والهرم لا يلحقنى العيب والنقصان

(٣) الغمام السحاب . والصواعق جمع صاعقة وهى تلك النار التى تسقط أثر الرعد الشديد . والديم جمع ديمة وهى مطر يدوم فى سكون . وهو معلوم أن الصواعق مهلكة وهى التى تكره وتخشى من الغمام والديم نافعة وهى المرجوة من الغمام فهو يقول : ليت الممدوح الذى يشبه الغمام والذى تصيبنى صواعقه — يعنى أذاه وسخطه — ويصيب غيرى مطره — يعنى بره ورضاه — يزيل ذلك الأذى الى من عنده ذلك البر فينتصف الفريقان ، وهذا من قول أبى تمام

فَلَوْ شَاءَ هَذَا الدَّهْرُ أَقْصَرَ شَرَّهُ ... كَمَا قَصُرَتْ عَنَّا لُهَاهُ وَنَائِلُهْ

ومثله قول ابن الرومى

أَعِنْدِيَ تَنْقَضُّ الصَّوَاعِقُ مِنْكُمَا ... وَعِنْدَ ذَوِي الكُفْرِ الحَيَا وَالثَّرَى الجَعْدُ

وقوله أيضا

إِذَا كَانَ حَظُّ النَّاسِ سُقْيَا سَمَائِكُمْ ... فَحَظِّي وَمِيضُ البَرْقِ أَوْ زَجَلُ الرَّعْدِ

وأخذه السرى الرفاء فقال

وَأَنَا الفِدَاءُ لِمَنْ مَخِيلَةُ بَرْقِهِ ... حَظِّي وَحَظُّ سِوَايَ مِنْ أَنْوَائِهِ

(٤) النوى البعد . ويقتضينى أى يطالبنى وقد ضمنه معنى يكلفنى أو يجشمنى ولذلك

لَئِنْ تَرَ كْنَ ضُمَيْرًا عَنْ مَيَامِنِنَا ... لَيَحْدُثَنَّ لِمَنْ وَدَّعْتُهُمْ نَدَمُ (١)

إِذَا تَرَحَّلْتَ عَنْ قَوْمٍ وَقَدْ قَدَرُوا ... أَنْ لَا تُفَارِقَهُمْ فَالرَّاحِلُونَ هُمُ (٢)

شَرُّ الْبِلَادِ مَكَانٌ لَا صَدِيقَ بِهِ ... وَشَرُّ مَا يَكْسِبُ الْإِنْسَانُ مَا يَصِمُ (٣)

وَشَرُّ مَا قَنَصَتْهُ رَاحَتِي قَنَصٌ ... شُهْبُ الْبُزَاةِ سَوَاءٌ فِيهِ وَالرَّخَمُ (٤)

بِأَيِّ لَفْظٍ تَقُولُ الشِّعْرَ زِعْنِفَةٌ ... تَجُوزُ عِنْدَكَ لَا عُرْبٌ وَلَا عَجَمُ (٥)

عداه الى اثنين والوخد والرسم ضربان من السير والوخادة الأبل التى تسير سيرا سريعا . والرسم جمع رسوم وهي الناقة التى تؤثر فى الأرض باخفافها لسيرها الشديد يقول : أرى البعد عنكم يكفنى أن أقطع كل مرحلة لا تقوم بقطعها الأبل السريعة الشديدة لبعدها وشدة أهوالها (١) اللام فى ليحدثن لام جواب القسم وترك جواب الشرط لأنهما اذا اجتمعا كان الجواب للقسم وترك جواب الشرط وضمير تركن للوخادة الرسم . وضمير جبل عن يمين الراحل الى مصر من الشام قريب من دمشق . يقول: لئن لحقت ركابى بمصر لينمن سيف الدولة على فراقى ، وكان كما قال (٢) يقول : اذا سرت عن قوم وهم قادرون على اكرامك حتى لا تحتاج الى مفارقتهم فهم المختارون للارتحال يريد بهذا اقامة عذره فى فراقهم أى أنتم تختارون الفراق اذا ألجأتمونى اليه ، قال التبريزى ان الرجل اذا فارق أناسا وقد ظنوا أنه غير مفارق لهم أسفوا له فكأنهم هم الراحلون . قال العكبرى : هذا من قول الحكيم : من لم يردك لنفسه فهو النائى عنك وان تباعدت أنت عنه (٣) يصم يعيب . يقول : شر البلاد مكان لا يوجد فيه من يستروح إليه ويؤنس بوده وشر ما كسبه الأنسان ماعابه وأذله ، يريد أن هبات سيف الدولة وإن كثرت مع جلالتها وسعتها لا تعادل تقصيره فى حقه وايثاره لحساده (٤) الشهب جمع أشهب وهو مافيه بياض يصدعه سواد . والرخم طائر من الجوارح الكبيرة الجثة الوحشية الطباع الواحدة رخمة يقول : شر صيد صدته ما شاركتنى فيه اللئام . وهذا مثل — يريد أن سيف الدولة يجريه فى رسم العطاء مجرى غيره من خساس الشعراء ؛ أى اذا ساوانى فى أخذ عطائك من لا قدر له فأى فضل لى عليه

(٥) الزعنفة وجمعه زعانف اللئام السقاط من الناس وهو مأخوذ من زعنفة الأديم — الجلد — وهو ما تساقط من زوائده أو من زعانف السمك وهى أجنحته أو من

هٰذَا عِتَابُكَ إِلَّا أَنَّهُ مِقَةٌ قَدْ ضُمِّنَ الدُّرَّ إِلَّا أَنَّهُ كَلِمُ (١)

وقال وقد عوفي سيف الدولة مما كان به

اَلْمَجْدُ عُوفِيَ إِذْ عُوفِيتَ وَالْكَرَمُ وَزَالَ عَنْكَ إِلَى أَعْدَائِكَ الْأَلَمُ (٢)

صَحَّتْ بِصِحَّتِكَ الْغَارَاتُ وَابْتَهَجَتْ بِهَا الْمَكَارِمُ وَانْهَلَّتْ بِهَا الدِّيَمُ (٣)

وَرَاجَعَ الشَّمْسَ نُورٌ كَانَ فَارَقَهَا كَأَنَّمَا فَقْدُهُ فِي جِسْمِهَا سَقَمُ (٤)

وَلَاحَ بَرْقُكَ لِي مِنْ عَارِضَيْ مَلِكٍ مَا يَسْقُطُ الْغَيْثُ إِلَّا حَيْثُ يَبْتَسِمُ (٥)

زعانف القميص وهي ما تخرق من أسافله وكل هذا يشبه به الأوباش ورذال الناس . وتجوز من جواز الدرهم وهو رواجه وروى تخور من خوار البقر وهو تصحيف كما قال الواحدى وان كان صحيحا في المعنى وهذا كما يروى أن رجلا قرأ على حماد الراوية شعر عنترة

* إِذْ تَسْتَبِيكَ بِذِي غُرُوبٍ وَاضِحٍ *

فأبدل من الباء فى تستبيك نونا فضحك حماد وقال أحسنت لا أرويه بعد اليوم الا كما قرأت . يقول : مخاطبا سيف الدولة — : هؤلاء الخساس اللئام من الشعراء بأى لفظ يقولون الشعر وليست لهم فصاحة العرب ولا تسليم العجم الفصاحة للعرب فليسوا شيأ (١) المقة المحبة . يقول : هذا الذى أتاك من الشعر عتاب منى اليك الا أنه محبة وود لأن العتاب يجرى بين المحبين ويبقى الود مابقى العتاب ، وهو در — يعنى حسن نظمه ولفظه — الا انه كلمات (٢) قوله وزال الخ انما هو خبر وليس دعاء يريد أن أعداءه تؤلمهم عافيته لعوده بعد ذلك الى غزوهم كما أشار الى ذلك فى البيت التالى

(٣) انهلت سالت . والديم جمع ديمة وهى المطر الدائم فى سكون . كانت الغارات على بلاد الروم قد انقطعت فلما شفى وصح اتصلت الغارات عليها فكأن الغارات كانت عليلة بعلته ثم صحت بصحته وسرت المكارم بصحته لأنه صاحبها وكانت الأمطار منقطعة فلما شفى اتصلت (٤) يقول : ان الشمس كانت قد فقدت نورها أيام مرضه وكأن فقد ذلك النور كان سقما لها وقد عاودها ذلك النور حين صح سيف الدولة ، يعظم الأمر فى علته كعادة الشعراء ومبالغاتهم التى قد تفضى بهم الى مثل هذا الهذيان

(٥) العارض الناب وقيل مايلى الناب من داخل الفم ويريد بالبرق ظهور ثغره

يُسْمَى الْحُسَامَ وَلَيْسَتْ مِنْ مُشَابَهَةٍ ... وَكَيْفَ يَشْتَبِهُ الْمَخْدُومُ وَالْخَدَمُ (١)

تَفَرَّدَ الْعُرْبُ فِى الدُّنْيَا بِمَحْتِدِهِ ... وَشَارَكَ الْعُرْبَ فِى إِحْسَانِهِ الْعَجَمُ (٢)

وَأَخْلَصَ اللهُ لِلْإِسْلَامِ نُصْرَتَهُ ... وَإِنْ تَقَلَّبَ فِى آلَائِهِ الْأُمَمُ (٣)

وَمَا أَخُصُّكَ فِى بُرْءٍ بِتَهْنِئَةٍ ... إِذَا سَلِمْتَ فَكُلُّ النَّاسِ قَدْ سَلِمُوا

وأنفذ شاعر إلى سيف الدولة أبياتاً فيها يشكو الفقر ويذكر أنه رآها فى المنام فقال أبو الطيب *

عند التبسم يقول : تبسمت ولاح لى برق من عارضيك ولا يسقط الغيث الا حيث تبسمت ، يعنى أنه اذا تبسم بذل ماله فيصير ذلك المكان كأن الغيث قد نزل به لأنه أخصب بجوده (١) وليست من مشابهة أى ليست مشابهة بينهما . ويشتبه يتشابه . يقول : ان الممدوح يسمى بالسيف والسيف لا يشبهه فليست التسمية بالسيف لمشابهة بينهما فهو أشرف من السيف وان تساويا اسما لأن السيف يخدمه فهو مخدوم والسيف خادم فكيف يتشابه المخدوم والخادم (٢) المحتد الأصل . يقول : هو عربى الأصل فاختصت العرب بالفخر به لأنه منهم ولكن تشارك العرب والعجم في احسانه وعطائه لأن احسانه شمل الجميع وفي مثل هذا يقول البحترى

غَدَا قِسْمَةً عَدْلاً فَفِيكُمْ نَوَالُهُ ... وفى سَرْوِ نَبْهَانَ بْنِ عَمْرٍو مَآثِرُهْ

(٣) الآلاء النعم . يقول : ان كانت الامم مشتركة فى انعامه فان نصرته خالصة لدين الأسلام لا ينصر غيره من الأديان

* كان هذا الشاعر من بغداد ويسمى ابن المنجم وأبياته هى

كَانَ رَسْمُ الثَّنَاءِ مِنِّىَ شِعْرًا ... فَاقَ حُسْنًا كَلُؤْلُؤٍ فى نِظَامِ

لَمْ يُقَدِّرْ لِقَاؤُكَ الْيَوْمَ فَاسْتَظْهَرْتُ فِيهِ بِالْكُتْبِ وَالْأَقْلَامِ

وَلَىَ الرَّسْمُ مِنْ تَطَوُّلِكَ الْجَمِّ وَذَاكَ الْإِفْضَالِ وَالْإِنْعَامِ

فَتَفَضَّلْ بِهِ وَوَقِّعْ فَإِنِّى ... مُوثِقُ الْحَالِ فى يَدِ الْإِعْدَامِ

قَدْ سَمِعْنَا مَا قُلْتَ فِى الأَحْلاَمِ وَأَنَلْنَاكَ بَدْرَةً فِى المَنَامِ (١)

وَانْتَبَهْنَا كَمَا انْتَبَهْتَ بِلاَ شَىْ ءٍ وَكَانَ النَّوَالُ قَدْرَ الْكَلاَمِ (٢)

كُنْتَ فِيمَا كَتَبْتَهُ نَائِمَ الْعَيْـــنِ فَهَلْ كُنْتَ نَائِمَ الأَقْلاَمِ (٣)

أَيُّهَا الْمُشْتَكِي إِذَا رَقَدَ الإِعْـــدَامَ لاَ رَقْدَةٌ مَعَ الإِعْدَامِ (٤)

إِفْتَحِ الْجَفْنَ وَاتْرُكِ الْقَوْلَ فِى النَّوْ مِ وَمَيِّزْ خِطَابَ سَيْفِ الأَنَامِ (٥)

الَّذِى لَيْسَ عَنْهُ مُغْنٍ وَلاَ مِنْـ هُ بَدِيلٌ وَلاَ لِمَا رَامَ حَامِى (٦)

كُلُّ آبَائِهِ كِرَامُ بَنِى الدُّنْيَـــا وَلَكِنَّهُ كَرِيمُ الْكِرَامِ (٧)

وقال يمدحه ويذكر بناءه ثغر الحدث سنة ثلاث واربعين وثلثمائة *

زَادَكَ اللهُ رِفْعَةً وَعُلُوًّا وَسُرُورًا يَبْقَى عَلَى الأَيَّامِ

فوقع عليها أبو الطيب بهذه الأبيات

(١) البدرة كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم سميت ببدرة السخلة — جلدها —.

(٢) النوال العطاء. يقول: كان مدحك لنا في الحلم وكذلك نحن أجزنا على الحلم بالحلم فكانت الجائزة على نحو مدحك، يريد تسفيه رأيه وتحميقه اذ لم يجعل مدحه لسيف الدولة غرضا يقصده (٣) يقول: ان خطك ولفظك اشتركا في الرداءة واللفظ كان رديئاً لأنك قلته في النوم فهل كنت نائما حين كتبت؟ (٤) يقول: أيها المشتكي الفقر إذا نام كيف أخذك النوم مع الفقر؟ (٥) افتح الجفن أي لا تكن غافلا. يقول: ان القول الذي قلته في النوم لا تذكره لسيف الدولة وميز مخاطبته من مخاطبة غيره أي لا تخاطبه كما تخاطب سائر الناس (٦) يقول: لا يغني عنه أحد ولا يقوم مقامه لعموم فضله ولا يكون منه بدل لجلالة قدره ولا يمنع منه أحد مايطلبه لسعة مقدرته

(٧) يقول: ان عشيرته أكرم أهل الدنيا وهو أكرم عشيرته * كان سيف الدولة قد سار نحو ثغر الحدث لبنائها وكان أهلها قد سلموها إلى الدمستق بالأمان سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ونزلها سيف الدولة يوم الأربعاء ثامن عشر جمادى الأخرى سنة ثلاث وأربعين وبدأ من يومه فوضع الأساس وحفر أوله بيده فلما كان يوم الجمعة

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ (١)

وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ (٢)

يُكَلِّفُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الْجَيْشَ هَمَّهُ

وَقَدْ عَجَزَتْ عَنْهُ الْجُيُوشُ الْخَضَارِمُ (٣)

وَيَطْلُبُ عِنْدَ النَّاسِ مَا عِنْدَ نَفْسِهِ وَذَلِكَ مَالَا تَدَّعِيهِ الضَّرَاغِمُ (٤)

نازله ابن الفقاس الدمستق فى نحو خمسين ألف فارس وراجل ووقع القتال يوم الاثنين سلخ جمادى الأخرى من أول النهار إلى العصر فحمل عليه سيف الدولة بنفسه فى نحو خمس مائة من غلمانه فظفر به وقتل ثلاثة آلاف من رجاله وأسر خلقا كثيرا فقتل بعضهم وأقام حتى بنى الحدث ووضع بيده آخر شرفة منها فى يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب فقال هذه القصيدة يمدحه وأنشده اياها فى ذلك اليوم فى الحدث

(١) العزم الجد عزم على الامر عزما أى أراد فعله وقال الليث العزم ماعقد عليه قلبك من أمر أنك فاعله. والعزائم جمع عزيمة وهي مايعزم عليه من الأمر والمكارم جمع مكرمة فعل الكرم. يقول: ان العزائم انما تكون على قدر أصحاب العزم فمن كان كبير الهمة قوى العزم كان الامر الذى يعزم عليه عظيما وكذلك المكارم انما تكون على قدر أهلها فمن كان أكرم كان مايأتيه من المكرمات أعظم، والمعنى أن الرجال قوالب الاحوال فاذا صغروا صغرت وإذا كبروا كبرت وهذا كقول عبد الله بن طاهر

إِنَّ الفتوحَ عَلَى قَدْرِ الْمُلُوكِ وَهِمَّاتِ الْوُلَاةِ وَإِقْدَامِ الْمَقَادِيمِ

(٢) الضمير فى صغارها للعزائم والمكارم. يقول: ان صغار الامور عظيمة فى عين الصغير القدر وعظامها صغيرة فى عين العظيم القدر (٣) الهم الهمة وهو ماهممت به من أمر لتفعله. والخضارم جمع خضرم وهو الكثير العظيم من كل شىء. يقول: يكلف سيف الدولة جيشه أن يقوم بما تقتضيه همته من الغارات والغزوات وهو أمر لاقبل للجيوش الكثيرة به لان مافى همته ليس فى طاقة البشر تحمله

(٤) الضراغم الاسود يقول: ان سيف الدولة يريد أن يكون الناس مثله شجاعة واقداما وذلك شىء لاتدعيه الاسود فكيف تبلغه البشر

يُفَدِّى أَتَمُّ الطَّيْرِ عُمْرًا سِلَاحَهُ ... نُسُورُ الْمَلَا أَحْدَاثُهَا وَالْقَشَاعِمُ (١)

وَمَا ضَرَّهَا خَلْقٌ بِغَيْرِ مَخَالِبٍ ... وَقَدْ خُلِقَتْ أَسْيَافُهُ وَالْقَوَائِمُ (٢)

هَلِ الْحَدَثُ الْحَمْرَاءُ تَعْرِفُ لَوْنَهَا ... وَتَعْلَمُ أَىُّ السَّاقِيَيْنِ الْغَمَائِمُ (٣)

سَقَتْهَا الْغَمَامُ الْغُرُّ قَبْلَ نُزُولِهِ ... فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا سَقَتْهَا الْجَمَاجِمُ (٤)

بَنَاهَا فَأَعْلَى وَالْقَنَا تَقْرَعُ الْقَنَا ... وَمَوْجُ الْمَنَايَا حَوْلَهَا مُتَلَاطِمُ (٥)

---

(١) نسور بدل من أتم الطير أو عطف بيان واحداثها والقشاعم بدل تفصيل من نسور والملا بمعنى الفلاة ويروى الفلا جمع فلاة وهى الصحراء. والاحداث الشابة جمع حدث. والقشاعم الطويلات العمر. وأراد بأتم الطير عمر النسور وقد بينه بالمصراع الثانى. يقول: ان النسور صغارها وكبارها تقول لاسلحته فديناك بأنفسنا لانها كفتها مؤنة طلب الاقوات

(٢) خلق مصدر خلق يخلق. والمخالب جمع مخلب وهو لسباع الطير كالظفر للانسان. والقوائم جمع قائم وهو قائم السيف أى مقبضه. يقول: ليس يضر الاحداث من النسور — أى الفراخ — والقشاعم — أى المسنه التى ضعفت عن طلب القوت — وخص هذين النوعين لعجزهما عن طلب الرزق — ليس يضر هذين أن لا يكون لهما مخالب قوية مفترسة بعد أن خلقت أسياف سيف الدولة فانها تقوم بكفاية قوتها، ولك أن تقول أن المعنى: وما ضرها لو خلقت بغير مخالب؟ كما تقول ما ضر النهار ظلمته مع حضورك وليس النهار بمظلم لكنك تريد ما ضره لو خلق مظلما (٣) الحدث قلعة معروفة بناها سيف الدولة فى بلاد الروم ووصفها بالحمراء لأنها احمرت بدماء الروم وذلك أن الروم غلبوا عليها وتحصنوا بها فاتاهم سيف الدولة وقتلهم فيها حتى تلطخت بدمائهم: يقول: هل تعرف هذه القلعة لونها؟ يعنى أنه غير ما كان من لونها بالدم — وهل تعلم أى الساقيين لها هو الغمائم أجماجم الروم التى سقتها بالدم أم السحائب التى سقتها بالمطر؟ يعنى أن الجماجم أجرت عليها من الدماء مثل ما أجرت عليها السحائب من الماء فهى لاتدرى أى هذين الفريقين أحق بأن يسمى بالغمائم لانهما استويا فى السقيا، وقد بين هذا المعنى فى البيت التالى فقوله أى الساقيين الغمائم مبتدأ وخبر وتعلم مكفوفة عن العمل (٤) الغر هنا ذوات البرق (٥) فأعلى أى فأعلاها. والقنا الرماح. يقول: بناها ورماح المسلمين تقارع رماح الروم والجيشان يتقاتلان.

وَكَانَ بِهَا مِثْلُ الْجُنُونِ فَأَصْبَحَتْ ... وَمِنْ جُثَثِ الْقَتْلَى عَلَيْهَا تَمَائِمُ (١)

طَرِيدَةُ دَهْرٍ سَاقَهَا فَرَدَدْتَهَا ... عَلَى الدِّينِ بِالْخَطِّيِّ وَالدَّهْرُ رَاغِمُ (٢)

تُفِيتُ اللَّيَالِي كُلَّ شَيْءٍ أَخَذْتَهُ ... وَهُنَّ لِمَا يَأْخُذْنَ مِنْكَ غَوَارِمُ (٣)

إِذَا كَانَ مَا تَنْوِيهِ فِعْلًا مُضَارِعًا ... مَضَى قَبْلَ أَنْ تُلْقَى عَلَيْهِ الْجَوَازِمُ (٤)

والمنايا تسلب الارواح ، واستعار للمنايا موجا متلاطما لكثرتها أى لكثرة القتل فكأن المنايا بحر تتلاطم أمواجه (١) التمائم جمع تميمة وهي العوذة . جعل اضطراب الفتنة فيها جنونا لها وذلك أن الروم كانوا يقصدونها ويحاربون أهلها فلا تزال الفتنة بها قائمة فلما قتل سيف الدولة الروم وعلق القتلى على حيطانها سكنت الفتنة وسلم أهلها فجعل جثث القتلى كالتمائم عليها حيث أذهبت ما بها من الجنون وهو اسكان الفتنة . قال أبو الطيب مارد على أحد شيأ فقبلته إلا سيف الدولة فانى أنشدته ومن حيف القتلى فقال لى مه قل ومن جثث القتلى فقبلت وقلت كما قال لى (٢) الطريدة المطرودة أى ما طردته من صيد أو غيره . والخطى الرماح . وراغم ذليل وأصل الرغم أن يلتصق الأنف بالرغام أى التراب . يقول : ان هذه القلعة كالطريدة طردها الدهر اذ سلط عليها الروم حتى خربوها فأعدت بناءها ورددتها على أهل الدين فذل الدهر حين خالفته فيما قصد وأراد

(٣) تفيت من الفوت وأفاته الشيء حمله على فوته وفاعل تفيت ضمير المخاطب والليالى مفعول أول وسكنه ضرورة أو على لغة وكل شيء مفعول ثان . وغوارم جمع غارمة وغرم الدين والغصب وغير ذلك أداه . يقول : إذا سلبت الليالى شيأ أفته عليها فلم تقدر على استرداده منك وهى إذا أخذت منك شيأ غرمته وروى أخذنه بالنون ضمير الليالى فتكون الليالى فاعل تفيت والمفعول الأول محذوف أى من عادة الليالى إذا أخذت شيأ أن لا ترده على صاحبه فتفيته اياه فان أخذت منك شيأ غرمته ، يعنى أنت أقوى من الدهر فانه لا يقدر على مخالفتك والتمرد عليك ، وهذا من قول بعضهم

فَمَا أَدْرَكَ السَّاعُونَ فِينَا بِوَتْرِهِمْ ... وَلَا فَاتَنَا مِنْ سَائِرِ النَّاسِ وَاتِرُ

وقال الطرماح

إِنْ نَأْخُذِ النَّاسَ لَا تُدْرِكْ أَخِيذَتُنَا ... أَوْ نَطْلُبْ نَتَعَدَّ الْحَقَّ فِي الطَّلَبِ

(٤) النحويون يسمون الفعل المستقبل مضارعا فالمضارع هنا المراد به المستقبل .

وَكَيْفَ تُرَجِّى الرُّومُ وَالرُّوسُ هَدْمَهَا
وَذَا الطَّعْنُ آسَاسٌ لَهَا وَدَعَائِمُ (١)

وَقَدْحَا كَمُوهَا وَالْمَنَايَا حَوَاكِمٌ فَمَامَاتَ مَظْلُومٌ وَلَاعَاشَ ظَالِمُ (٢)

أَتَوْكَ يَجُرُّونَ الْحَدِيدَ كَأَنَّهُمْ سَرَوْا بِجِيَادٍ مَا لَهُنَّ قَوَائِمُ (٣)

إِذَا بَرَقُوا لَمْ تُعْرَفِ الْبِيضُ مِنْهُمُ ثِيَابُهُمُ مِنْ مِثْلِهَا وَالْعَمَائِمُ (٤)

خَمِيسٌ بِشَرْقِ الْأَرْضِ وَالْغَرْبِ زَحْفُهُ
وَفِى أُذُنِ الْجَوْزَاءِ مِنْهُ زَمَازِمُ (٥)

يقول: اذا نويت أن تفعل أمرا فكان ذلك فعلا مستقبلا مضى ذلك الذى نويته قبل أن يجزم ذلك الفعل ـ وأراد بالجوازم لم ولا ولام الأمر ـ أى اذا نوى أن يفعل أمرا مضى قبل أن يقال له لاتفعل لأنه يسبق بما يهم به نهي الناهين وعذل العاذلين ، وقبل أن يؤمر به فيقال ليفعل كذا وليعط فلانا ولينجز ماوعد به ، أي أن ماينوى فعله يعاجله قبل أن يتصور فيه نهى أو طلب (١) الآساس جمع أس . والدعائم جمع دعامة وهى عماد البيت وكل شىء يستند اليه ويتقوى به فهو دعامة يقول : كيف يؤملون هدم هذه القلعة وهي موثقة بطعنك الذى أعملته فيهم فالطعن لها كالآساس والدعائم حيث وثقت به كما يوثق البناء بالآساس والدعائم (٢) جعل القلعة والروم خصمين والمنايا فى الحرب حاكمة بينهما فحكمت للمظلوم ـ وهو القلعة ـ بالسلامة فلم تترك لهم سبيلا إلى هدمها وحكمت على الظالم ـ وهو الروم ـ بالهلاك فأبادتهم (٣) السرى سير الليل والجياد الخيل . يقول : لكثرة الحديد عليهم وعلى خيولهم كانت خيولهم كأنها لاقوائم لها أى لاترى لأنها محجبة بالتجافيف التى على الخيول (٤) البرق اللمعان والبيض السيوف . وبرقوا يعنى الروم يقول : اذا برقوا لكثرة ماعليهم من الحديد لم يفرق بين سيوفهم وبينهم لأن عمائمهم الخوذ وثيابهم الدروع فهم كالسيوف فقوله ثيابهم من مثلها أى من مثل السيوف يعنى من الحديد (٥) الخميس الجيش العظيم سمى بذلك لأن له ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين . والزحف التقدم وأصله المشى مع تثاقل . والجوزاء نجمان معترضان في جوز السماء أى وسطها وهما من البروج . والزمازم الأصوات

تَجَمَّعَ فِيهِ كُلُّ لِسْنٍ وَأُمَّةٍ ... فَمَا تُفْهِمُ الْحُدَّاثَ إِلَّا التَّرَاجِمُ (١)

فَلِلَّهِ وَقْتٌ ذَوَّبَ الْغِشَّ نَارُهُ ... فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صَارِمٌ أَوْ ضُبَارِمُ (٢)

تَقَطَّعَ مَا لَا يَقْطَعُ الدِّرْعَ وَالْقَنَا ... وَفَرَّ مِنَ الْأَبْطَالِ مَنْ لَا يُصَادِمُ (٣)

وَقَفْتَ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لِوَاقِفٍ ... كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهْوَ نَائِمُ (٤)

التى لاتفهم لتداخلها وأصل الزمزمة صوت الرعد يقول : ان هذا الجيش لكثرته عم الشرق والغرب وبلغت أصواته الجوزاء ، قال الواحدى وخصها بالذكر من بين سائر البروج لأنها على صورة انسان ، هذا ومن بديع ماوصف به الجيش قول أبى تمام

مَلَأَ الْمَلَا عَصَبًا فَكَادَ بِأَنْ يُرَى ... لَا خَلْفَ فِيهِ وَلَا لَهُ قُدَّامُ

(١) اللسن اللغة واللسان أيضا . والحداث جمع حادث بمعنى متحدث ومنه قول المجنون

أَتَيْتُ مَعَ الْحُدَّاثِ لَيْلَى فَلَمْ أُبِنْ ... فَأَخْلَيْتُ فَاسْتَعْجَمْتُ عِنْدَ خَلَائِي

ذَهَبْتُ فَلَمْ أَصْبِرْ وَعُدْتُ فَلَمْ أُبِنْ ... جَوَابًا كِلَا الْيَوْمَيْنِ يَوْمُ بَلَائِي

والتراجم جمع ترجمان بفتح التاء وبضمها اتباعا لضم الجيم . يقول : اجتمع فى هذا الجيش كل جيل من الناس وأهل كل لغة من اللغات فاذا كلم جيل منهم من ليس من أهل لغته احتاج إلى مترجم يترجم له ، وكل هذا اشارة إلى عظم الجيش وماقد جمع فيه من المقاتلة (٢) عنى بالغش الضعاف من الرجال والأسلحة . والصارم السيف القاطع . والضبارم الشجاع الجريء وأصله الأسد الشديد الغليظ . يتعجب من ذلك الوقت الذى قامت الحرب فيه بين سيف الدولة وبين الروم . يقول : ما كان بهوها مغشوشا هلك وتلاشى لرداءته كأنه ذاب بنار الحرب ولم يبق من السيوف إلا السيف القاطع ولا من الرجال إلا الضبارم (٣) يقول : تكسر من السيوف مالم يكن ماضيا يقطع الدروع والرماح ، وهرب الجبناء الذين لايقدرون على المصادمة . ومن روى فقطع أراد الوقت يعنى أن الوقت كان صعبا لم يبق معه إلا الخلص من الرجال والأسلحة (٤) الردى الهلاك . يقول : وقفت فى ساحة القتال حين لايشك واقف فى الموت لشدة الموقف وكثرة المصارع فيه حتى كأنك في جفن الردى وهو نائم فلم

تمرُّ بكَ الأبطالُ كَلمى هَزيمةً ووَجهُكَ وَضَّاحٌ وثَغرُكَ باسِمُ (١)

يبصرك وغفل عنك بالنوم فسلمت ، قال الواحدى : سمعت الشيخ أبا معمر الفضل ابن اسماعيل يقول سمعت القاضى أبا الحسين على بن عبد العزيز يقول لما أنشد المتنبى سيف الدولة هذا البيت والذى بعده أنكر عليه سيف الدولة تطبيق عجزى البيتين على صدريهما وقال له كان ينبغى أن تقول

وقفتَ وَما فى المَوْتِ شَكٌّ لِواقِفٍ ووجْهُكَ وَضَّاحٌ وثَغْرُكَ باسِمُ

تمرُّ بكَ الأبطالُ كَلمى هَزيمةً كأنكَ فى جفْنِ الرَّدَى وهْوَ نائمُ

ثم قال وأنت فى هذا مثل امرىء القيس فى قوله

كأنِّيَ لم أرْكَبْ جَوادًا لِلَذَّةٍ ولَمْ أتبَطَّنْ كاعبًا ذَاتَ خَلْخَالِ

وَلَم أَسْبأِ الزِقَّ الرَوِيَّ وَلَم أقُلْ لَخَيْلِى كُرِّى كَرَّةً بَعْدَ إجْفَالِ

قال : ووجه الكلام فى البيتين على ماقاله العلماء بالشعر أن يكون عجز الأول مع الثانى وعجز الثانى مع الاول ليستقيم الكلام فيكون ركوب الخيل مع الأمر للخيل بالكر ويكون سباء الخمر مع تبطن الكاعب ، فقال أبو الطيب أدام الله عز مولانا ان صح ان الذى استدرك هذا على امرىء القيس أعلم منه بالشعر فقد أخطأ امرؤ القيس واخطأت أنا ومولانا يعرف أن الثوب لايعرفه البزاز معرفة الحائك لان البزاز يعرف جملته والحائك يعرف جملته وتفصيله لانه أخرجه من الغزلية الى الثوبية وانما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد وقرن السماحة فى شراء الخمر للاضياف بالشجاعة فى منازلة الاعداء وأنا لما ذكرت الموت فى أول البيت اتبعته بذكر الردى ليجانسه ولما كان وجه المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوسا وعينه من أن تكون باكية قلت ووجهك وضاح وثغرك باسم لأجمع بين الاضداد فى المعنى ، فأعجب سيف الدولة بقوله ووصله بخمسين ديناراً من دنانير الصلات وفيها خمسمائة دينار ، قال الواحدى: ولا تطبيق بين الصدر والعجز أحسن من بيتى المتنبى لان قوله كأنك فى جفن الردى وهو نائم هو معنى قوله وقفت وما فى الموت شك لواقف فلا معدل لهذا العجز عن هذا الصدر لان النائم اذا أطبق جفنه أحاط بما تحته فكأن الموت قد أظله من كل مكان كما يدق الجفن بما يتضمنه من جميع جهاته وقوله تمر بك الابطال هو النهاية فى التطابق المكان الذى تكلم فيه الابطال فتكلح وتعبس وقوله ووجهك وضاح لاحتقار الأمر العظيم (١) كلمى جمع كليم بمعنى جريح . وهزيمة أى منهزمة وهو من باب فعيل

تَجَاوَزْتَ مِقْدَارَ الشَّجَاعَةِ وَالنُّهَى ... إِلَى قَوْلِ قَوْمٍ أَنْتَ بِالْغَيْبِ عَالِمُ (١)

ضَمَمْتَ جَنَاحَيْهِمْ عَلَى الْقَلْبِ ضَمَّةً ... تَمُوتُ الْخَوَافِي فِي تَحْتِهَا وَالْقَوَادِمُ (٢)

بِضَرْبٍ أَتَى الْهَامَاتِ وَالنَّصْرُ غَائِبٌ ... وَصَارَ إِلَى اللَّبَّاتِ وَالنَّصْرُ قَادِمُ (٣)

حَقَرْتَ الرُّدَيْنِيَّاتِ حَتَّى طَرَحْتَهَا ... وَحَتَّى كَأَنَّ السَّيْفَ لِلرُّمْحِ شَاتِمُ (٤)

بمعنى مفعول . ووضاح مشرق ، وهذا كما قال مسلم بن الوليد

يَفْتَرُّ عِنْدَ افْتِرَارِ الْحَرْبِ مُبْتَسِماً ... إِذَا تَغَيَّرَ وَجْهُ الْفَارِسِ الْبَطَلِ

(١) النهى جمع نهية وهى العقل . يقول: أظهرت من أقدامك وعزمك وجلدك على المخاوف ما تجاوزت به حد الشجاعة والعقل إلى ما يقول قوم من أنك تعلم الغيب وتعرف أعقاب الأمور قبل حلولها ، يعنى أن ما اقتحمته من الاهوال لا تثبت أمامه شجاعة وما أظهرته من الصبر ورباطة الجأش لا يكفى فى مثله العقل والرصانة فكأنك قد كوشفت بالغيب وعرفت أن العاقبة لك فلبثت فى تلك الحال وضاحا بساما لا تكترث لما تراه حولك من الاهوال (٢) يريد بالجناحين ميمنة الجيش وميسرته وهما جانبا العسكر ولما سماها جناحين جعل رجالهما خوافى وقوادم والجناح يشتمل على القوادم وهي من الريش ما فوق الخوافى قيل أنها عشر ريشات فى مقدم جناح الطائر وعليها معوله فى طيرانه والخوافى ما تحت القوادم يقول : لففت جناحى العسكر ـ عسكر الروم ـ على القلب فأهلكت الجميع، وقوله تموت الخوافى تحتها أى تموت تحت مثل هذه الضمة

(٣) بضرب متعلق بضممت والهامات الرؤس . واللبات النحور . قال ابن جنى : اذا ضربت عدوا فحصل سيفك فى رأسه لم تعتد ذلك نصرا ولا ظفرا فاذا فلق السيف رأسه فصار إلى لبته فحينئذ يكون ذلك عندك نصرا ولا يرضيك مادونه ، وقال ابن فورجه : انما عنى أبو الطيب سرعة وقوع النصر وانه لم يلبث الاقدر وصول السيف المضروب به من الهامة الى اللبة كأنه يقول نازلت العدو والنصر غائب وضربتهم بالسيف وقد قدم النصر (٤) الرديني الرماح نسبته إلى رديني امرأة باليمامة كانت هى وزوجها يعملان الرماح . يقول : تركت القتال بالرماح وازدريتها لأنها سلاح الجبناء أما سلاح الشجعان فهو السيف لاقتضائه مقاربة ما بين الفريقين فى القتال لهذا عمدت اليه واخترته ولما آثرت السيف على الرمح فى القتال صار كأن السيف يعير الرمح لأنه يطعن من بعيد والسيف من قريب فكأنه يسبه بالضعف وقلة الغناء

وَمَنْ طَلَبَ الْفَتْحَ الْجَلِيلَ فَإِنَّمَا
مَفَاتِيحُهُ الْبِيضُ الْخِفَافُ الصَّوَارِمُ (١)

نَثَرْتَهُمُ فَوْقَ الْأُحَيْدِبِ كُلِّهِ كَمَا نُثِرَتْ فَوْقَ الْعَرُوسِ الدَّرَاهِمُ (٢)

تَدُوسُ بِكَ الْخَيْلُ الْوُكُورَ عَلَى الذُّرَى
وَقَدْ كَثُرَتْ حَوْلَ الْوُكُورِ الْمَطَاعِمُ (٣)

تَظُنُّ فِرَاخُ الْفَتْخِ أَنَّكَ زُرْتَهَا بِأُمَّاتِهَا وَهْيَ الْعِتَاقُ الصَّلَادِمُ (٤)

إِذَا زَلِقَتْ مَشْيَتُهَا بِبُطُونِهَا كَمَا تَتَمَشَّى فِي الصَّعِيدِ الْأَرَاقِمُ (٥)

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ ذَا الدُّمُسْتُقُ مُقْدِمٌ قَفَاهُ عَلَى الْإِقْدَامِ لِلْوَجْهِ لَائِمُ (٦)

---

(١) البيض السيوف والخفاف المرهفة والصوارم القواطع ومفاتيحه أى مفاتيح الفتح

(٢) الاحيدب جبل الحدث. ونثرتهم فرقتهم يقول: نثرت جثثهم فوق هذا الجبل كما تنثر الدراهم على العروس، يعنى تفرقت مصارعهم على هذا الجبل كما تتفرق مواقع الدراهم اذا نثرت

(٣) وكر الطائر موضع مبيته والجمع وكور . والذرى أعالى الجبال . يقول : انك تتبعهم فى رؤس الجبال حيث وكور جوارح الطير فتقتلهم هناك حتى تكثر مطاعم الطير حول وكورها (٤) الفتخ جمع فتخاء أنات العقبان سميت بذلك لطول جناحها ولينه فى الطيران والفتخ لين المفاصل . والامات جمع أم فيما لا يعقل وقد جاء فيه امهات حملا على من يعقل . والعتاق كرام الخيل والصلادم جمع صلدم وهي الفرس الشديدة الصلبة يقول : تظن فراخ العقبان لما صعدت خيلك الجبال وبلغت أوكارها أنها أمهاتها لان خيلك كالعقبان شدة وسرعة وضمرا كما قال

نَظَرُوا إِلَى زُبَرِ الْحَدِيدِ كَأَنَّمَا يَصْعَدْنَ بَيْنَ مَنَاكِبِ الْعِقْبَانِ

وقال ابن الاقليلى تظن فراخ العقبان لكثرة ما صيرت حول وكورها من جثث القتلى أنك زرتها بأماتها فأمددتها بمطاعمها وأقواتها وانما فعل ذلك صلادم خيلك وكثرة كتائب جيشك (٥) الصعيد وجه الارض . والاراقم الحيات فيها سواد وبياض . يقول : اذا زلقت الخيل فى صعودها الجبال جعلتها تمشى على بطونها فى تلك المزالق مشى الحيات على بطونها فى الصعيد ، يصف صعوبة مراقيها فى الجبال (٦) الدمستق صاحب جيش

أَيُنْكِرُ رِيحَ اللَّيْثِ حَتَّى يَذُوقَهُ وَقَدْ عَرَفَتْ رِيحَ اللُّيُوثِ البَهَائِمُ (١)

وَقَدْ فَجَعَتْهُ بِابْنِهِ وَابْنِ صِهْرِهِ

وَبِالصِّهْرِ حَمْلَاتُ الأَمِيرِ الغَوَاشِمُ (٢)

مَضَى يَشْكُرُ الأَصْحَابَ فِي فَوْتِهِ الظُّبَى

بِمَا شَغَلَتْهَا هَامُهُمْ وَالمَعَاصِمُ (٣)

وَيَفْهَمُ صَوْتَ المَشْرَفِيَّةِ فِيهِمِ

عَلَى أَنَّ أَصْوَاتَ السُّيُوفِ أَعَاجِمُ (٤)

الروم وقوله قفاه الى آخر البيت حال من الضمير فى مقدم . يقول : أكل يوم يقدم عليك الدمستق ثم يفر فيلوم قفاه وجهه على أقدامه قائلا له لم أقدمت حتى عرضتنى للضرب بهزيمتك ؟ وذلك أن أقدامه سبب هزيمته والضرب فى قفاه

(١) الليث الاسد . ويذوقه معناه يجربه ويختبره يقال ذق ما عند فلان أى جربه والضمير لليث يشير الى أن الدمستق أجهل من البهائم لأن البهائم اذا شمت ريح الاسد وقفت ولم تتقدم . وهذا على طريق التمثيل والمعنى أنه يسمع خبر سيف الدولة ومبلغ شجاعته فيأتيه مقاتلا ثم ينهزم ولو هو انهزم من غير قتال لكان أحزم

(٢) جمع فعلة فعلات بفتح العين فى الصحيح وانما أسكن الميم من حملات ضرورة . والصهر أهل بيت المرأة ومن العرب من يجعل الصهر من الاحماء والاختان جميعا . والغواشم التى لا تبالى من أخذت يقول : ان حملاتك عليهم الذى تغشاهم وتدقهم وتكسرهم قد فجعتهم — وزأتهم — بأقاربه فهلا اعتبر بهم حتى لا يقدم ؟

(٣) الظبى جمع ظبة حد السيف . والهام الرؤس . والمعاصم جمع معصم الزند . يقول : انهزم وهو يشكر أصحابه لان السيوف اشتغلت بهم عنه فكأنهم وقوه السيوف برؤسهم وأيديهم حتى سبق وفات السيوف (٤) المشرفية السيوف . يقول : اذا سمع الدمستق صوت وقع السيوف فى أصحابه فهم أنها تقتلهم فجد فى الهرب مع أن أصوات السيوف عجماء أى ليست ذات لفظ يفهم ، والمعنى اذا سمع صليل السيوف علم انهم مقتولون

يُسَرُّ بِمَا أَعْطَاكَ لَا عَنْ جَهَالَةٍ ... وَلَكِنَّ مَغْنُومًا نَجَا مِنْكَ غَانِمُ (١)

وَلَسْتَ مَلِيكًا هَازِمًا لِنَظِيرِهِ ... وَلَكِنَّكَ التَّوْحِيدُ لِلشِّرْكِ هَازِمُ (٢)

تَشَرَّفُ عَدْنَانٌ بِهِ لَا رَبِيعَةٌ ... وَتَفْتَخِرُ الدُّنْيَا بِهِ لَا العَوَاصِمُ (٣)

لَكَ الحَمْدُ فِي الدُّرِّ الَّذِي لِيَ لَفْظُهُ ... فَإِنَّكَ مُعْطِيهِ وَإِنِّيَ نَاظِمُ (٤)

وَإِنِّي لَتَعْدُو بِي عَطَايَاكَ فِي الوَغَى ... فَلَا أَنَا مَذْمُومٌ وَلَا أَنْتَ نَادِمُ (٥)

عَلَى كُلِّ طَيَّارٍ إِلَيْهَا بِرِجْلِهِ ... إِذَا وَقَعَتْ فِي مَسْمَعَيْهِ الغَمَائِمُ (٦)

---

(١) يقول : ان الدمستق يسر بما أخذته من أصحابه وأمتعته وأسلحته وعدته لأن هذه الاشياء كانت كالفداء له اذ نجا هو واشتغل عسكرك بها عنه وليس سروره جهلا بحالته وان الذى انتهبت أمواله ليس من شأنه أن يسر ولكنه حين نجا برأسه غانم وان كان مغنوما أى لا يبالى بغيره اذا نجا هو لان المسلوب اذا سلم منك بسلبه فهو سالب

(٢) التوحيد خبر أول للكن وهازم خبر ثان . يقول : لست فى هزمك الدمستق ملكا هزم ملكا مثله ولكنك التوحيد قد هزم الشرك لانك سيف الاسلام وزعيمه والدمستق عماد أهل الشرك وقوامه وكلا كما زعيم ملته (٣) الضمير فى به للمليك . وعدنان أبو العرب وربيعة بطن من عدنان و هى قبيلة سيف الدولة . والعواصم بلاد قصبتها انطاكية . يقول : ان جميع العرب يفتخرون بك لرجوعك بالنسب اليهم وليس يفتخر بك رهطك فقط ، وأنت فخر لجميع الدنيا لا لبلاد مخصوصة — بلاده — لانك أشرف أهل الدنيا (٤) يريد بالدر شعره . يقول : المعانى لك واللفظ لى فانت تعطينى المعانى بأفعالك ومناقبك وأنا أنظمها بتقييدها فيه ، وفى مثل هذا يقول ابن الرومى

وَدُونَكَ مِن أَقَاوِيلِي مَدِيحًا ... غَدَا لَكَ دُرُّهُ وَلِيَ النِّظَامُ

(٥) تعدو تجرى وتسرع . والوغى الحرب . يقول : انى امتطى فى الغزو خيلك التى أعطيتنيها فلست مذموما فى أخذ يها لانى شاكر اياديك ناشر ذكرك ولست أنت نادما على ما أعطيتنى لقيامى بحق ما أوليتنى (٦) لك أن تجعل على من صلة نادما أى لست نادما على هبتك لى كل فرس طيار وأن تجعلها من صلة محذوف دل عليه ما تقدم كأنه قال أقصد الوغى على كل فرس اذا سمع صوت الأبطال فى الحرب

أَلاَ أَيُّهَا السَّيْفُ الَّذِى لَيْسَ مُغْمَدًا
وَلاَ فِيهِ مُرْتَابٌ وَلاَ مِنْهُ عَاصِمُ (١)

هَنِيئًا لِضَرْبِ الْهَامِ وَالْمَجْدِ وَالْعُلَى وَرَاجِيكَ وَالإِسْلاَمِ أَنَّكَ سَالِمُ (٢)

وَلِمَ لاَ يَقِى الرَّحْمَنُ حَدَّيْكَ مَا وَقَى وَتَفْلِيقُهُ هَامَ الْعِدَابِكَ دَائِمُ (٣)

وقال وقد ورد فرسان الثغور ومعهم رسول الروم يطلب الهدنة

وأنشده إياها بحضرتهم وقت دخولهم لثلاث عشرة بقين

من المحرم سنة أربع وأربعين وثلثمائة

أَرَاعَ كَذَا كُلَّ الْمُلُوكِ هُمَامُ وَسَحَّ لَهُ رُسْلَ الْمُلُوكِ غَمَامُ (٤)

طار اليها برجله عوض الجناح ، يريد شدة سرعته فى العدو حتى كأن قوائمه أجنحة، والغمائم الأصوات المختلطة ، وما أبدع قول ابن المعتز ـ ولعل بيت المتنبى ينظر اليه ـ

وليلٍ كَكُحلِ العينِ خُضتُ ظلامَهُ بأَزرَقَ لَمَّاعٍ وَأَخضَرَ صارِمِ
وَطَيَّارَةٍ بالرِّجلِ خوفًا كأَنَّما تُصَافِحُ رَضراضَ الحَصَى بالجماجِمِ

(١) يقول : أنت السيف لا يتضمنه غمد ـ اذ هو دائما مجرد على أعدائه ـ وليس يرتاب ـ يشك ـ فى هذا أحد ، ولا يعصم ـ لا يحمى ولا يمنع ـ منك شىء لا حصن ولاحديد ، ويروى استوفيك ومنك (٢) الهام الرؤس . والعلى المراتب العالية . يقول : لتهنأ هذه المذكورات بسلامتك لانك قوامها فضرب الهام أنت أحذق الناس به والمجد أنت أكسب الناس له والعلى أنت جامع شملها وراجى مكارمك التى لاتعطل بفضلها والاسلام لانك اعززته (٣) يقول : لم لا يحفظك الرحمن مادام يحفظ ـ أى أبدا ـ وهو يفلق بك رؤس الاعداء ؟ وهذا استفهام انكار أى الرحمن يحفظك لانك سيفه (٤) راع افزع وخوف والاستفهام استفهام تعجب وكذا أى كما أرى فى موضع نصب لانه صفة لمصدر محذوف كأنه قال روعا كذا أى مثل ذا. والهمام الملك العظيم الهمة : وسح الماء صبه . يقول : هل راع ملك جميع الانام ـ الحاق ـ كما أرى من روعك اياهم ؟ وهل تقاطرت رسل الملوك على ملك كما تقاطرت

وَدَانَتْ لَهُ الدُّنْيَا فَأَصْبَحَ جَالِسًا ... وَأَيَّامُهَا فِيمَا يُرِيدُ قِيَامُ (١)

إِذَا زَارَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الرُّومَ غَازِيًا ... كَفَاهَا لِمَامٌ لَوْ كَفَاهُ لِمَامُ (٢)

فَتًى تَتْبَعُ الْأَزْمَانُ فِي النَّاسِ خَطْوَهُ

لِكُلِّ زَمَانٍ فِي يَدَيْهِ زِمَامُ (٣)

تَنَامُ لَدَيْكَ الرُّسْلُ أَمْنًا وَغِبْطَةً ... وَأَجْفَانُ رَبِّ الرُّسْلِ لَيْسَ تَنَامُ (٤)

حِذَارًا لِمُعْرَوْرِي الْجِيَادِ فُجَاءَةً ... إِلَى الطَّعْنِ قُبْلًا مَا لَهُنَّ لِجَامُ (٥)

تُعَطَّفُ فِيهِ وَالْأَعِنَّةُ شَعْرُهَا ... وَتُضْرَبُ فِيهِ وَالسِّيَاطُ كَلَامُ (٦)

عليك ؟ وجعل توالى الرسل الى حضرته كسح الغمام ، يعنى هل افزع ملك قبله كل الملوك فزعا دعاهم الى الخضوع له والاستجارة به وتتابع رسلهم عليه حتى كأنها مطر يصبه غمام (١) دانت أطاعت . يقول : هل أطاعت الدنيا أحدا كما أطاعته وخضعت له فأصبح جالسا لايسعى في تحصيل مراد وقامت الأيام تسعى فيما يريد ؟

(٢) اللمام الزيارة القليلة قال جرير

بنفسي مَنْ تَجَنَّبُهُ عَزِيزٌ ... عَلَيَّ وَمَنْ زِيَارَتُهُ لِمَامُ

يقول : اذا غزاهم كفاهم أدنى نزول منه بارضهم لو اكتفى هو بذلك لكنه لايكتفى حتى يبلغ أقاصى بلادهم (٣) يقول : إن الزمان يتبعه ويجرى فى الناس على مراده فمن أحسن هواليه أحسن اليه الزمان ومن أساء اليه أساء اليه الزمان حتى كأن لكل زمان زماما فى يده يقوده به كما يشاء ، يشير الى قوة سعده واقبال جده (٤) الغبطة حسن الحال يقول : انك تحسن اليهم وترعاهم فهم آمنون ما كانوا عندك والذين أرسلوهم اليك يخافونك لانهم ليسوا على أمان منك فلا تنام اجفانهم خوفا منك وقد بين ذلك فى البيت التالى (٥) اعروري الفرس ركبه عريانا وقوله الى الطعن متعلق بمعروري والقبل جمع اقبل وقبلاء وهو الذى أقبلت احدى عينيه على الاخرى تشاوسا وعزة نفس وقيل معنى قبلا ههنا مقبلة تقول أقبلت قبله أى قصدت نحوه يقول : هم لاينامون حذرا من سيف الدولة الذى يركب الخيل عريا الى الحرب يعنى لايتوقف الى أن تسرج وتلجم اذا فجأه أمر (٦) الضمير من فيه في المصرعين للطعن المذكور فى

وَمَا تَنْفَعُ الْخَيْلُ الْكِرَامُ وَلَا الْقَنَا ... إِذَا لَمْ يَكُنْ فَوْقَ الْكِرَامِ كِرَامُ (١)

إِلَى كَمْ تَرُدُّ الرُّسْلَ عَمَّا أَتَوْا لَهُ ... كَأَنَّهُمُ فِيمَا وَهَبْتَ مَلَامُ (٢)

وَإِنْ كُنْتَ لَا تُعْطِي الذِّمَامَ طَوَاعَةً

فَعَوْذُ الْأَعَادِي بِالْكَرِيمِ ذِمَامُ (٣)

وَإِنَّ نُفُوسًا أَمَّمَتْكَ مَنِيعَةٌ ... وَإِنَّ دِمَاءً أَمَّلَتْكَ حَرَامُ (٤)

إِذَا خَافَ مَلْكٌ مِنْ مَلِيكٍ أَجَرْتَهُ ... وَسَيْفُكَ خَافُوا الْجَارَ تُسَامُ (٥)

لَهُمْ عَنْكَ بِالْبِيضِ الْخِفَافِ تَفَرُّقٌ ... وَحَوْلَكَ بِالْكُتْبِ اللِّطَافِ زِحَامُ (٦)

البيت السابق . والأعنة جمع عنان سير اللجام . والسياط جمع سوط مايضرب به الراكب . يقول : ان خيله مؤدبة اذا قيدت بشعرها انقادت كما تنقاد بالعنان . واذا زجرت بالكلام قام ذلك مقام السياط : قال العكبرى أراد أن يقول والأعنة معارفها فما صح له الوزن ولو صح لكان حسنا وانما اكتفى بشعرها ومراده المعارف

(١) القنا الرماح . يقول : لاغناء الا بالرجال والفرسان فليس تنفع كرام الخيل ولاصم الرماح اذا لم يصرفها من الأبطال كرام (٢) فيما وهبت متعلق بملام : يقول: انك تردهم عما يطلبون من الهدنة ردك لوم اللائمين لك فى العطاء ، أى كما أنك لاتصغى إلى ملامة لائم فى سخائك فكذلك لاتقبل الهدنة ، وهذا هو المدح الموجه

(٣) الذمام جمع ذمة وهى العهد . وعاذ به عوذا لجأ . يقول : ان كنت لا تعطى الروم عهدا وصلحا طواعية فليلاذهم بك يوجب لهم الذمام لأن من لاذ بالكريم وجبت له الذمة وان كان عدوا ، أى فقد حصل لهم ماطلبوا وان لم تعطهم ثم أكد هذا بالبيت التالى

(٤) أممتك قصدتك . والحرام الذى لا يستباح . يقول : ان من قصدك راجيا صار منيعا بقصدك وحرمت أرافة دمه لأنها قد دخلت فى حرمتك وراجيك لايضيع

(٥) الملك والمليك واحد . وسيفك مفعول خافوا . وتسام تكلف والجوار مفعول ثانى لتسام . يقول : اذا خاف ملك من ملك أجرت الخائف وهم — الروم — انما خافوا سيفك وسألوك أن تجيرهم منه واذا كنت تجير من غيرك فأنت بأن تجير من نفسك أولى (٦) البيض الخفاف السيوف . يقول : هم لايحاربونك بسيوفهم بل يتفرقون

تَغُرُّ حلاوَاتُ النُّفُوسِ قُلُوبَهَا ... فَتَخْتَارُ بَعْضَ الْعَيْشِ وَهْوَ حِمَامُ (١)

وَشَرُّ الحِمَامَيْنِ الزُّؤَامَيْنِ عِيشَةٌ ... يَذِلُّ الَّذِي يَخْتَارُهَا وَيُضَامُ (٢)

فَلَوْ كَانَ صُلْحًا لَمْ يَكُنْ بِشَفَاعَةٍ ... وَلَكِنَّهُ ذُلٌّ لَهُمْ وَغَرَامُ (٣)

وَمَنٌّ لِفُرْسَانِ الثُّغُورِ عَلَيْهِمِ ... بِتَبْلِيغِهِمْ مَا لَا يَكَادُ يُرَامُ (٤)

كَتَائِبُ جَاؤُا خَاضِعِينَ فَأَقْدَمُوا ... وَلَوْ لَمْ يَكُونُوا خَاضِعِينَ لَخَامُوا (٥)

وَعَزَّتْ قَدِيمًا فِي ذَرَاكَ خُيُولُهُمْ ... وَعَزُّوا وَعَامَتْ فِي نَدَاكَ وَعَامُوا (٦)

بها عنك منهزمين : ويزدحمون عليك بالكتب اللطيفة الأسلوب التى يتلطفون فيها لمسألتك ويتضرعون اليك ، يشير إلى عجزهم عن مقاومته فى الحرب وازدحامهم عليه فى السلم

(١) الحمام الموت . يقول : ان حلاوة النفوس تغر قلوب اربابها وتغريها بحب الحياة حتى تختار عيشا فيه ذل أو تختار الهرب خوف القتل وذلك العيش هو الموت فى الحقيقة بل هو شر من الموت كما ذكر فى البيت التالى (٢) الزؤام العاجل أو السريع الوحى المجهز وقيل الكريه . ويضام يظلم . لما جعل عيش الذليل موتا آخر قال هو شر الموتين لما فيه من الذل والحيف والهوان (٣) الغرام اللازم من العذاب والشر الدائم والبلاء ومالا يستطاع أن يتفصى منه قال الله عز وجل ان عذابها كان غراما أى ملحا دائما ملازما يقول : لو كان ما طلبوه مصالحة لما افتقروا إلى التشفع بفرسان الثغور لأن الصلح أن ترغب فيه أنت أيضا ولكن طلبوا اليك أن تؤخر عنهم الحرب أياما فكان ذلك ذلا لهم وعارا ملازما (٤) المن هنا النعمة . وفرسان الثغور يريد بهم فرسان طرطوس وأذنه والمصيصة وكان الروم قد وسطوهم لدى سيف الدولة فى طلب الهدنة وأن يؤخر عنهم الحرب أياما وذلك مالا يكادون يقدرون على طلبه اليه بأنفسهم فبلغهم ما كانوا لا يظنون أنه يقع بفضل شجاعة هؤلاء الفرسان فلهؤلاء الفرسان المنة اذ بلغوهم ما لم يكونوا ليبلغوه بانفسهم ، فقوله ومن عطف على ذل ويرام يطلب

(٥) الكتائب جمع كتيبة الجماعة من الجيش . وخام عن اللقاء جبن ونكص على عقبيه يقول : هؤلاء الفرسان كتائب جاؤا اليك خاضعين فأقدموا اجتراؤا عليك بهذا الخضوع ولو لم يكونوا كذلك لجبنوا ولم يجسروا على لقائك (٦) تقول هو فى ذراه

عَلَى وَجْهِكَ الْمَيْمُونِ فِي كُلِّ غَارَةٍ ... صَلَاةٌ تَوَالَى مِنْهُمُ وَسَلَامُ (١)

وَكُلُّ أُنَاسٍ يَتْبَعُونَ إِمَامَهُمْ ... وَأَنْتَ لِأَهْلِ الْمَكْرُمَاتِ إِمَامُ (٢)

وَرُبَّ جَوَابٍ عَنْ كِتَابٍ بَعَثْتَهُ ... وَعُنْوَانُهُ لِلنَّاظِرِينَ قَتَامُ (٣)

تَضِيقُ بِهِ الْبَيْدَاءُ مِنْ قَبْلِ نَشْرِهِ ... وَمَا فُضَّ بِالْبَيْدَاءِ عَنْهُ خِتَامُ (٤)

حُرُوفُ هِجَاءِ النَّاسِ فِيهِ ثَلَاثَةٌ ... جَوَادٌ وَرُمْحٌ ذَابِلٌ وَحُسَامُ (٥)

أَذَا الْحَرْبِ قَدْ أَتْعَبْتَهَا فَأَلْهَ سَاعَةً ... لِيُغْمَدَ نَصْلٌ أَوْ يُحَلَّ حِزَامُ (٦)

وَإِنْ طَالَ أَعْمَارُ الرِّمَاحِ بِهُدْنَةٍ ... فَإِنَّ الَّذِي يَعْمُرْنَ عِنْدَكَ عَامُ (٧)

أى فى ظله وكنفه يقول : انهم تعودوا احسانك قديما اذ كانوا في كنفك وظلك وحمايتك تحسن اليهم حتى غرقوا فى برك واحسانك (١) الميمون ذو اليمن والبركة . والغارة الحرب . وتوالى تتابع : يقول : هم لمحبتك اياك واعجابهم بك وبروعتك وبهائك وتعظيمهم إياك يصلون عليك ويسلمون وان كنت تغير عليهم (٢) يقول : ان الكرام يقتدون به لأنه أمامهم (٣) القتام الغبار . يقول : رب جيش اقته مقام جواب كتاب كتب به اليك فصار قتامه — غباره — يدل عليه كما يدل العنوان على الكتاب (٤) البيداء الارض القفرة البعيدة . والنشر خلاف الطى . وختام الكتاب الطين الذى يختم به . وفضه كسره . يقول : تضيق البيداء بهذا الجواب ولم ينشر ولم يفض عنه الختم ، يعنى أنه جيش كثير تضيق به الارض الواسعة قبل انتشاره فكيف اذا انتشر وتفرق للحرب والغارة ، وقد استعار الفض والختم وهما للكتاب والجواب لما جعل الجيش كتابا وجوابا وهو تخييل بديع رائع (٥) الجواد الفرس الكريم . والذابل اللين . والحسام السيف القاطع . لما جعل الجيش جوابا جعل حروف هجائه هذه الاشياء أى أنه ألف من هذه الاشياء كما يؤلف الجواب من حروف الهجاء (٦) اذا الحرب اى ياصاحب الحرب ويروى أخا الحرب . ولهى الرجل عن الشىء من باب علم اشتغل عنه وتركه . يقول : لقد أتعبت الحرب أى أتعبت أهلها بكثرة الغارات وملازمتها فاتركها ساعة حتى تغمد الفرسان سيوفها وتحل حزم الخيل (٧) عمر الرجل يعمر من باب فهم أى طال عمره . يقول : ان سلمت الرماح من التكسر بترك استعمالها فى الحرب بالهدنة

وَمَازِلْتَ تُفْنِي السُّمْرَ وَهْيَ كَثِيرَةٌ
وَتُفْنِي بِهِنَّ الْجَيْشَ وَهْوَ لُهَامُ(١)

مَتَى عَاوَدَ الْجَالُونَ عَاوَدْتَ أَرْضَهُمْ وَفِيهَا رِقَابٌ لِلسُّيُوفِ وَهَامُ(٢)

وَرَبَّوْ لَكَ الْأَوْلَادَ حَتَّى تُصِيبَهَا وَقَدْ كَعَبَتْ بِنْتٌ وَشَبَّ غُلَامُ(٣)

جَرَى مَعَكَ الْجَارُونَ حَتَّى إِذَا انْتَهَوْا
إِلَى الْغَايَةِ الْقُصْوَى جَرَيْتَ وَقَامُوا(٤)

فَلَيْسَ لِشَمْسٍ مُذْ أَنَرْتَ إِنَارَةٌ وَلَيْسَ لِبَدْرٍ مُذْ تَمَمْتَ تَمَامُ(٥)

بين الفريقين فقصاراها أن تبقى عندك عاما واحدا لأنك لا تهادن العدو أكثر من هذه المدة (١) السمر الرماح . واللهام الكثير الذى يلتهم كل شىء . يقول : مازلت تفنى الرماح بكثرة استعمالها فى وقائعك مع كثرتها وتفنى بفنائها الجيش الكثير من الأعداء (٢) الجالون النازحون الذين أخرجوا من ديارهم. والهام الرؤس . يقول : متى عاد الروم الذين تركوا ديارهم خوفا منك — بالهدنة التى أجبتهم اليها — الى أوطانهم عاودت أنت تلك الأوطان بالغزو وقد توفر لسيوفك ما تقطعه من الرقاب والرؤس (٣) الكاعب التى قد بدا ثديها للنهود. يقول: لما هربوا منك وجلوا عن منازلهم ربوا أولادهم لتسبيهم وقد صارت البنت كاعبا والابن شابا أى صارا بحيث يصلحان للسبى. قال العكبرى : يشير الى أن مسالمة سيف الدولة ضرب من التدبير لأنهم يعاودون ما أخلوه من منازلهم فيكون ذلك أقرب لقتلهم وأمكن لسبيهم. هذا وقوله حتى تصيبها أى حتى تكون العاقبة أصابتك اياها على حد قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا (٤) يقول . جاراك الملوك فيما نهجته من المكارم حتى اذا انتهوا الى أقصى غاياتهم ووقفوا من الكلال متخلفين عنك جريت وحدك فسبقت غايتهم. وأصل هذا فى الخيل تجارى فاذا ونى بعضها سبقه الذى لم يلحقه الكلال (٥) . يقول : فليس لشمس منهم — من الملوك — انارة مع ما يبدو من نورك ولا لبدر منهم تمام مع ما أتمه الله لك من الفضل ، يعنى أن الملوك صغير كل كبير منهم عند قدرك وناقص كل من كان يتم منهم بالقياس الى فضلك

وقال يمدحه ويودعه إلى إقطاع قطعه إياه بناحية معرة النعمان

أَيَا رَامِيًا يُصْمِي فُؤَادَ مَرَامِهِ ... تُرَبِّي عِدَاهُ رِيشَهَا لِسِهَامِهِ (١)

أَسِيرُ إِلَى إِقْطَاعِهِ فِي ثِيَابِهِ ... عَلَى طِرْفِهِ مِنْ دَارِهِ بِحُسَامِهِ (٢)

وَمَا مَطَرَتْنِيهِ مِنَ الْبِيضِ وَالْقَنَا ... وَرُومِ الْعِبِدَّى هَاطِلَاتُ غَمَامِهِ (٣)

فَتًى يَهَبُ الْإِقْلِيمَ بِالْمَالِ وَانْقُرَى ... وَمَنْ فِيهِ مِنْ فُرْسَانِهِ وَكِرَامِهِ (٤)

---

(١) الأصماء اصابة المقتل فى الرمى يقال رماه فأصماه اذا أصاب مقتله . والمرام المطلب . يقول : انه اذا طلب شيأ أصاب خالص ما يطلبه كالرامى يصيب فؤاد ما يطلبه برميته وقوله تربى عداه ريشها لسهامه مثل وذلك أن السهام انما تنفذ بريشها فالمعنى أنه يغير على أعدائه فيأخذ أموالهم وعددهم ويستظهر بها على انفاذ بأسه فيهم فكأنهم يربون الريش لسهامه حيث يجمعون المال له فالريش مثل لأموالهم والسهام مثل لبأسه

(٢) يقال اقطعه أرض كذا اذا جعل له غلتها رزقا والاقطاع اسم لتلك الارض . والطرف الفرس الكريم . والحسام السيف القاطع . يقول : ان جميع ما يتصرف فيه ويضاف اليه من ارض وثياب وخيل ومنازل وسلاح له هو من انعامه ، وقد أجمل النابغة هذا المعنى في قوله

وَمَا أَغْفَلْتُ شُكْرَكَ فَانْتَصِحْنِي ... وَكَيْفَ وَمِنْ عَطَائِكَ جُلُّ مَالِي

وقد فصله النابغة أيضا فقال

وَإِنَّ تِلَادِي إِنْ نَظَرْتُ وَشِكَّتِي ... وَمُهْرِي وَمَا ضَمَّتْ إِلَيَّ الْأَنَامِلُ

حِبَاؤُكَ وَالْعِيسُ الْعِتَاقُ كَأَنَّهَا ... هِجَانُ الْمَهَا تُرْدَى عَلَيْهَا الرَّحَائِلُ

وقال أبو نواس

وَكُلُّ خَيْرٍ عِنْدَنَا مِنْ عِنْدِهِ

(٣) البيض السيوف . والقنا الرماح . والعبدى العبيد جمع عبد . والغمام السحاب وهاطلات ساكبات . يقول : وأسير كذلك فيما أمطرنى به سحاب جوده من السيوف والرماح يحملها العبيد الرومية ، يعنى أنه وهبه العبيد بسلاحها (٤) الضمير فى فرسانه وكرامه للاقليم

وَيَجْعَلُ مَا خُوِّلْتُهُ مِنْ نَوَالِهِ جَزَاءً لِمَا خُوِّلْتُهُ مِنْ كَلَامِهِ (١)

فَلَا زَالَتِ الشَّمْسُ الَّتِي فِي سَمَائِهِ مُطَالِعَةَ الشَّمْسِ الَّتِي فِي لِثَامِهِ (٢)

وَلَا زَالَ تَجْتَازُ الْبُدُورُ بِوَجْهِهِ تَعَجُّبُ مِنْ نُقْصَانِهَا وَتَمَامِهِ (٣)

وأنشد سيف الدولة متمثلا بقول النابغة

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ (٤)

(١) خوله كذلك ملكه اياه . والنوال العطاء . يقول : انه يجازيني بنواله اذا مدحته بما استفيده من الأدب من كلامه وهذا أغرب من قول أبي تمام

* نأخذُ من مالهِ ومِنْ أدَبِه *

(٢) أراد بالشمس التي في لثامه وجهه . يقول : لازال باقيا بقاء الشمس فكلما طلعت في السماء كان وجهه طالعا بازائها واضاف السماء إليه مبالغة في المدح كما قال الفرزدق

* لَنا قَمَرَاهَا وَالنُّجُومُ الطَّوَالِعُ *

وقال ابن جني أضاف السماء اليه لأشراقها عليه كما قال الآخر

إِذَا كَوْكَبُ الخَرْقَاءِ لاحَ بِسُحْرَةٍ سُهَيْلٌ أَذَاعَتْ غَزْلَهَا فِي الْقَرَائِبِ

أضاف الكوكب اليها لجدها في عملها عند طلوعه (٣) جمع البدر لأنه أراد بدر كل شهر . وتعجب أي تتعجب . يقول : لازال باقيا على توالي الأشهر تمر بدورها بوجهه فتظنه بدرا آخر لكماله ولكنها تتعجب حين ترى أنها تنقص وهو لايزال تاما

(٤) كان سيف الدولة قد أرسل سرية ففزع الناس لخيل جيش لقيت السرية بلد الروم فركب سيف الدولة وركب معه أبو الطيب فوجد السرية قد ظفرت . وأراه بعض العرب سيفه فنظر إلى الدم عليه وإلى فلول أصابته في ذلك اليوم فأنشد سيف الدولة متمثلا ببيتي النابغة الذبياني

ولا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ

تُخَيَّرْنَ مِنْ أَزْمَانِ يَوْمِ حَلِيمَةٍ إِلَى الْيَوْمِ قَدْ جُرِّبْنَ كُلَّ التَّجَارِبِ

فقال أبو الطيب هذه الأبيات « والفلول الثلوم والكتائب فرق الجيش . وتخيرن أي السيوف . وحليمه امرأة كانت تطيبهم اذا قاتلوا وفيها المثل المشهور ومايوم حليمة

فقال أبو الطيب مرتجلا

رَأَيْتُكَ تُوسِعُ الشُّعَرَاءَ نَيْلاً ... حَدِيثَهُمُ المُوَلَّدَ وَالقَدِيمَا(١)

فَتُعْطِي مَنْ بَقِيَ مَالاً جَسِيماً ... وَتُعْطِي مَنْ مَضَى شَرَفاً عَظِيما(٢)

سَمِعْتُكَ مُنْشِدًا بَيْتَيْ زِيَادٍ ... نَشِيداً مِثْلَ مُنْشِدِهِ كَرِيما(٣)

فَمَا أَنْكَرْتُ مَوْضِعَهُ وَلَكِنْ ... غَبَطْتُ بِذَاكَ أَعْظُمَهُ الرَّمِيما(٤)

بسر . وإلى اليوم صلة تخيرن . وقوله قد جربن حال ، والبيتان من قصيدته التي مطلعها

كَلِينِي لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةُ نَاصِبِ ... وَلَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءِ الكَوَاكِبِ

(١) النيل العطاء وأوسع العطاء ونحوه بسطه وكثره . وحديثهم بدل تفصيل من الشعراء يقول : انك توسع العطاء للشعراء المحدثين منهم والأقدمين ثم بين ذلك فى البيت التالى

(٢) بقى بفتح القاف هى لغة طيء ومنه قوله زيد الخيل الطائى

لَعَمْرُكَ مَا أَخْشَى التَّصَعْلُكَ مَا بَقِي ... عَلَى الأَرْضِ قَيْسِيٌّ يَسُوقُ الأَبَاعِدَا

يقول: تعطى الباقين منهم أى الأحياء عطاء جزيلا والماضين شرفا عظيما بأن تنشد أشعارهم وتتمثل بها استحسانا لها فيكون ذلك شرفا عظيما لهم (٣) زياد اسم النابغة الذبيانى والنابغة لقب غلب عليه. ونشيدا مفعول مطلق وضعه موضع الانشاد

(٤) الغبطة أن تتمنى مثل حال المغبوط من غير أن تريد زوالها عنه وليس بحسد ورم العظم يرم رمة بلى فهو رميم وقوله اعظمه الرميما وصف الأعظم وهى جمع بالمفرد لأن فعيلا وفعولا يستوى فيهما المذكر والمؤنث والمفرد والجمع قال تعالى من يحيى العظام وهى رميم . يقول : لم أنكر موضع زياد من الشعر وأنه أهل لأن تنشد شعره لكنى غبطت عظامه البالية لما نالته بذلك من الشرف . هذا ومما يتصل بهذا الموقف مايحكى ان بعض ملوك الأندلس دخل عليه بعض شعرائه وهو ينشد قول المتنبى

وما الحُسْنُ فى وَجْهِ الفَتَى شَرَفٌ لَهُ ... إِذَا لَمْ يَكُنْ فِى فِعْلِهِ وَالخَلاَئِقِ

وهو يكرره استحسانا فقال

لَئِنْ جَادَ شِعْرُ ابْنِ الحُسَيْنِ فَإِنَّمَا ... بِقَدْرِ العَطَايَا وَاللُّهَا تَفْتَحُ اللَّهَا

تَنَبَّأَ فِى نَظْمِ القَرِيضِ وَلَوْ دَرَى ... بِأَنَّكَ تَرْوِى شِعْرَهُ لَتَأَلَّهَا

وقال يمدحه ويذكر ايقاعه بعمرو بن حابس وبنى ضبة سنة احدى وعشرين وثلاثمائة ولم ينشده إياها

ذِكَرُ الصِّبَى وَمَرَاتِعِ الآرَامِ ... جَلَبَتْ حِمَامِى قَبْلَ وَقْتِ حِمَامِى (١)

دِمَنٌ تَكَاثَرَتِ الْهُمُومُ عَلَيَّ فِى ... عَرَصَاتِهَا كَتَكَاثُرِ اللُّوَّامِ (٢)

فَكَأَنَّ كُلَّ سَحَابَةٍ وَكَفَتْ بِهَا ... تَبْكِى بِعَيْنَىْ عُرْوَةَ بْنِ حِزَامِ (٣)

وَلَطَالَمَا أَفْنَيْتُ رِيقَ كِعَابِهَا ... فِيهَا وَأَفْنَتْ بِالْعِتَابِ كَلاَمِى (٤)

---

(١) ذكر جمع ذكرى كسدرة وسدر . والصبى بمعنى اللهو والتصابى . ومراتع بالجر معطوف على الصبى ويروى بالرفع عطفا على ذكر والمراتع جمع مرتع الموضع ترتع فيه الدواب أى ترعى كيف شاءت ويروى مرابع جمع مربع المكان الذى يربعون — يقيمون — فيه يريد ديار الأحبة. والآرام الظباء البيض وأراد بهن النساء جمع رئم على القلب المكانى . والحمام الموت . يقول : ان ذكر الصبى ومراتع النساء اللائى أهيم بهن جلبت على حالة هي والموت سواء ، يعنى شدة وجده على فراقهن فكأنه مات قبل موته لشدة الوجد (٢) الدمن جمع دمنة ما تلبد من آثار الديار بعد رحيل القوم . ودمن خبر مبتدا محذوف أى تلك المراتع دمن والعرصات جمع عرصة ساحة الدار . يقول : لما وقفت بآثار دار المحبوب تكاثرت هموى شوقا إلى من كان بها كتكاثر لوامى فى حبهن (٣) وكفت أى قطرت وسالت يروى وقفت . وعروة بن حزام هو صاحب عفراء وهو أحد عشاق العرب المشهورين. شبه هطلان السحاب فى تلك الدمن ببكاء عروة بن حزام على فراق صاحبته . يريد كثرة ماتجرى عليها السحب من المطر ، بدليل انها محت آثار تلك الديار ، ولعله ينظر فى هذا الى قول أبى تمام

كَأَنَّ السَّحَابَ الْغُرَّ غَيَّبْنَ تَحْتَهَا ... حَبِيباً فَمَا تَرْقَا لَهُنَّ مَدَامِعُ

(٤) الكعاب الجارية بدا ثديها للنهود . يقول : طالما رشفت ريق كعاب تلك الدمن فيها وأطالت هى — الكعاب أى محبوبته — عتابى حتى أخمتنى عن الكلام فأنا أذكر من كان بهذه الدمن وارتحل عنها فيزيد وجدى وشوقى

قَدْ كُنْتَ تَهْزَأُ بِالْفِرَاقِ مَجَانَةً ... وَتَجُرُّ ذَيْلَيْ شِرَّةٍ وَعُرَامِ (١)

لَيْسَ الْقِبَابُ عَلَى الرِّكَابِ وَإِنَّمَا ... هُنَّ الْحَيَاةُ تَرَحَّلَتْ بِسَلَامِ (٢)

لَيْتَ الَّذِي خَلَقَ النَّوَى جَعَلَ الْحَصَى ... لِخِفَافِهِنَّ مَفَاصِلِي وَعِظَامِي (٣)

مُتَلَاحِظَيْنَ نَسُحُّ مَاءَ شُؤُونِنَا ... حَذَرًا مِنَ الرُّقَبَاءِ فِي الْأَكْمَامِ (٤)

أَرْوَاحُنَا انْهَمَلَتْ وَعِشْنَا بَعْدَهَا ... مِنْ بَعْدِ مَا قَطَرَتْ عَلَى الْأَقْدَامِ (٥)

---

(١) المجانة مثل الخلاعة والماجن الذى لايبالى بما يتكلم به . والشرة الحدة والنشاط والبطر . والعرام الشراسة وقيل الخبث . يقول : ـ مخاطبا نفسه ـ : حين كنت شابا لم تبتل بالفراق وما كنت تدرى وجد الفراق وشدته، بعد كنت تهزأ به لهوا وغفلة واستخفافا وتمرح فى شرتك وعرامك غير مبال بما ستلاقيه من الشدائد (٢) القباب جمع قبة والمراد بها الهوادج واسم ليس ضمير الشأن والقباب على الركاب مبتدا وخبر والجملة خبر ليس والركاب الأبل . يقول : ليس هذا الذى تراه هوادج الأحبة على الأبل ولكنها الحياة ترحلت عنا ، يعنى أنه يموت بعد فراقهن (٣) النوى البعد . والضمير فى خفافهن للركاب ـ الأبل ـ وأراد اخفافهن لأن خف البعير يجمع على اخفاف والخفاف جمع الخف الملبوس فوضع أحدها موضع الآخر تجوزا يقول : ـ متمنيا ـ : ليت الذى خلق الفراق جعل اعضائى لاخفاف الأبل التى تحملوا عليها حصى حتى تطأنى بأخفافها (٤) متلاحظين حال من فاعل نسح قدمت على العامل فيها وهو نسح ، ونسح نسكب . والشؤن جمع شأن مجرى الدمع من الرأس . وفى الأكمام متعلق بنسح . يقول : كانت الحبيبة تنظر إلى وأنا أنظر اليها لدى الوداع وكلانا قدغلبه البكاء فستره خوفا من الرقباء (٥) انهملت انسكبت . يقول : ليست الدموع ـ التى أجريناها ـ بدموع ولكنها أرواحنا جرت على أرجلنا ، ثم تعجب من الحياة بعد انسكاب هذه الأرواح ونفادها ، وفى مثل هذا المعنى يقول القائل

وَلَيْسَ الَّذِي يَجْرِي مِنَ الْعَيْنِ مَاءَهَا ... وَلَكِنَّهَا رُوحِي تَذُوبُ فَتَقْطُرُ

لَوْ كُنَّ يَوْمَ جَرَيْنَ كُنَّ كَصَبْرِنَا ... عِنْدَ الرَّحِيلِ لَكُنَّ غَيْرَ سِجَامِ (١)

لَمْ يَتْرُكُوا لِي صَاحِبًا إِلَّا الأَسَى ... وَذَمِيلَ دِعْبِلَةٍ كَفَحْلِ نَعَامِ (٢)

وَتَعَذُّرُ الأَحْرَارِ صَيَّرَ ظَهْرَهَا ... إِلَّا إِلَيْكَ عَلَيَّ فَرْجَ حَرَامِ (٣)

أَنْتَ الْغَرِيبَةُ فِي زَمَانٍ أَهْلُهُ ... وُلِدَتْ مَكَارِمُهُمْ لِغَيْرِ تَمَامِ (٤)

أَكْثَرْتَ مِنْ بَذْلِ النَّوَالِ وَلَمْ تَزَلْ

عَلَمًا عَلَى الإِفْضَالِ وَالإِنْعَامِ (٥)

---

(١) سجام غزيرة كثيرة . يقول : لو كانت دموعنا فى اليوم الذى جرت فيه أى يوم الرحيل مثل صبرنا فى ذلك اليوم لكانت قليلة لكنها كانت سجاما غزيرة . يخبر عن قلة صبره وكثرة دموعه ، هذا وكن الثانية زائدة والعرب قد تجعل الكون زائدا فى الكلام وكثير من النحويين حملوا قوله تعالى كيف نكلم من كان فى المهد صبيا على زيادة كان وأنشدوا قول الفرزدق

جِيَادُ بَنِي أَبِي بَكْرٍ تَسَامَى ... عَلَى كَانَ الْمُسَوَّمَةِ الْعِرَابِ

وكان فى هذا البيت زائدة بلا خلاف (٢) الأسى الحزن . والذميل ضرب من السير سريع . والدعبلة الناقة السريعة . وأراد بفحل النعام الذكر . يقول : رحلوا وتركونى وحيدا لم أصاحب بعدهم إلا الحزن وسير ناقة كالظليم فى عدوها وسرعتها فى الفلوات (٣) يقول : تعذر وجود الأحرار — أى الكرام — حرم على ركوبها — أى الناقة — إلا للقصد إليك لأنك الحر الذى يستحق أن يقصد ويزار فأنا اتجنب ركوبها إلا اليك كما اتجنب فرجا حراما على اتيانه — يعنى الزنا — وهذا من قول أبى نواس

وَإِذَا الْمَطِيُّ بِنَا بَلَغْنَ مُحَمَّدًا ... فَظُهُورُهُنَّ عَلَى الرِّجَالِ حَرَامُ

وهو معنى متداول (٤) قال الواحدى الهاء فى الغريبة للمبالغة لا للتأنيث كما يقال راوية وعلامة . ويقال ولد المولود لتمام وتمام بالكسر وبالفتح . يقول : انت غريبة هذا الزمان لأن أهله كلهم ناقصوا المكارم وأنت تام الكرم بينهم (٥) النوال العطاء . والعلم العلامة التى يعرف بها الشىء . يقول : لم تزل يعرف بك الأفضال والانعام أى لم تزل منعما مفضلا

صَغَّرْتَ كُلَّ كَبِيرَةٍ وَكَبُرْتَ عَنْ ... لَكَأَنَّهُ وَعَدَدْتَ سِنَّ غُلَامِ (١)

وَرَفَلْتَ فِي حُلَلِ الثَّنَاءِ وَإِنَّمَا ... عَدَمُ الثَّنَاءِ نِهَايَةُ الإِعْدَامِ (٢)

عَيْبٌ عَلَيْكَ تُرَى بِسَيْفٍ فِي الوَغَى ... مَا يَصْنَعُ الصَّمْصَامُ بِالصَّمْصَامِ (٣)

إِنْ كَانَ مِثْلُكَ كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنٌ ... فَبَرِئْتُ حِينَئِذٍ مِنَ الإِسْلَامِ (٤)

مَلِكٌ زُهِيتَ بِمَكَانِهِ أَيَّامُهُ ... حَتَّى افْتَخَرْنَ بِهِ عَلَى الأَيَّامِ (٥)

وَتَخَالُهُ سَلَبَ الوَرَى مِنْ حِلْمِهِ ... أَحْلَامَهُمْ فَهُمُ بِلَا أَحْلَامِ (٦)

---

(١) يقول : ان كل فعلة كبيرة صغرت بجانب أفعالك العظام لأن أفعالك أكبر منها ، وكبرت عن أن تشبه بشيء فيقال كأنك كذا وأنت مع ذلك شاب لم تبلغ الحنكة بعد وهو أشرف لك وأمدح ، قال العكبرى : وقد أدخل لام التأكيد على كأن وهو قليل جدا والقياس لا يمنع منه لأن كاف التشبيه تكون فى صدر الكلام وقولك كأن زيدا عمرو مؤد عن قولك كعمرو زيد فجاز دخول اللام على الكاف كما جاز فى قولك لزيد أفضل من بكر (٢) رفل يرفل فى ثيابه اذا أطالها وجرها متبخترا والحلل جمع حلة قالوا ولا تكون الحلة الا ثوبين وقال ابن شميل الحلة القميص والأزار والرداء . والاعدام الفقر . يقول . ان عليك من الثناء حللا تتبختر فيهن — يريد ثناء الشعراء والمادحين عليه بما أغدق عليهم من نعمه — ونهاية الاعدام — الفقر — هو عدم الثناء لا عدم الثراء (٣) ترى أراد أن ترى فحذف أن . وقوله بسيف أى مع سيف والوغى الحرب . والصمصام السيف وهو الصارم — القاطع — الذى لا ينبو عن الضريبة . يقول : أنت سيف فى حدتك ومضائك فلا حاجة بك الى السيف

(٤) يقول : لم يكن مثلك ولا يكون . قال الواحدى : هذا من المدح البارد الذى يدل على رقة دين وسخافة عقل وهو من شعر الصبا — اذ قال المتنبى هذه القصيدة فى صباه — (٥) يقال زهى الرجل فهو مزهو اذا تكبر وتاه فكان حقه أن يقول زهيت الا أنه جاء به على لغة طىء فى قولهم بقى فى بقى كذلك قال زهى فى زهى فسكن الياء فلما دخلت تاء التأنيث سقطت الياء الساكنة . يقول : افتخرت بك الأيام على الأيام التى مضين ولم تكن فيهن (٦) تخاله تظنه . والورى الخلق ، والحلم الاناة والعقل .

وَإِذَا امْتَحَنْتَ تَكَشَّفَتْ عَزَمَاتُهُ ... عَنْ أَوْحَدِيِّ النَّقْضِ وَالإِبْرَامِ (١)

وَإِذَا سَأَلْتَ بَنَانَهُ عَنْ نَيْلِهِ ... لَمْ يَرْضَ بِالدُّنْيَا قَضَاءَ ذِمَامِ (٢)

مَهْلاً أَلاَ لِلَّهِ مَا صَنَعَ القَنَا ... فِي عَمْرِو حَابِ وَضَبَّةَ الأَغْتَامِ (٣)

لما تَحَكَّمَتِ الأَسِنَّةُ فِيهِمِ ... جَارَتْ وَهُنَّ يَجُرْنَ فِي الأَحْكَامِ

فَتَرَكْتَهُمْ خَلَلَ البُيُوتِ كَأَنَّمَا ... غَضِبَتْ رُؤُسُهُمُو عَلَى الأَجْسَامِ (٤)

أَحْجَارُ نَاسٍ فَوْقَ أَرْضٍ مِنْ دَمٍ ... وَنُجُومُ بَيْضٍ فِي سَمَاءِ قَتَامِ (٥)

ومن حلمه أى من أجل حلمه . يقول : لرجاحة حلمه على أحلام ــ عقول ــ الناس كأنه أخذ احلامهم فضمها الى حلمه (١) أراد بالأوحدى الأوحد فزاد الياء للمبالغة وأصل الابرام فتل الحبل ونحوه والنقض ضده يقول : اذا اختبرته ظهرت لك عزائمه صادرة عن رجل لا نظير له فى عزماته ان ابرم أمرا أو نقضه (٢) البنان أطراف الاصابع . والنيل العطاء . والذمام هنا الحق . يقول : اذا طلبت عطاءه فاعطاك الدنيا كلها لم يرض بها فى قضاء حقك (٣) مهلا مفعول مطلق نائب عن فاعله أى أمهل مهلا . وألا استفتاح . ولله كلمة تعجب . والقنا الرماح . وقوله فى عمرو حاب أراد عمرو بن حابس ــ بطن من أسد ــ فرخم المضاف اليه قال الواحدى : وذلك غير جائز لأن الترخيم حذف يلحق أواخر الاسماء فى النداء تخفيفا والكوفيون يجيزونه فى غير النداء وينشدون

أَبَاعُرُو لَا تَبْعُدْ فَكُلُّ ابْنِ حُرَّةٍ ... سَيَدْعُوهُ دَاعِي مَوْتِهِ فَيُجِيبُ

والبصريون ينكرون هذه الرواية وينشدون أباعمرو وضبة قبيلة مشهورة والأغتام جمع غتم جمع اغتم ورجل اغتم وغتمى لا يفصح شيأ والغتمة عجمة فى المنطق والغتم فى الأصل قطع اللبن النخان ومنه قيل للثقيل الروح غتمى والغتم شدة الحر والأخذ بالنفس قال الواحدى : جعل هؤلاء اغتاما لأنهم كانوا جاهلين حين عصوه حتى فعل ما فعل (٤) يقول : غزوتهم فى عقر دارهم حتى تركتهم خلال بيوتهم أجساما بلا رؤس (٥) البيض جمع بيضة وهى الخوذة . والقتام الغبار . واحجار خبر مبتدا محذوف أى هناك احجار ناس . يصف المعركة وكثرة القتلى . يقول : صارت الأرض هما

وَذِرَاعُ كُلِّ أَبِي فُلَانٍ كُنْيَةً ... حَالَتْ فَصَاحِبُهَا أَبُو الأَيْتَامِ (١)

عَهْدِي بِمَعْرَكَةِ الأَمِيرِ وَخَيْلُهُ ... فِي النَّقْعِ مُحْجِمَةً عَنِ الاحْجَامِ (٢)

يَا سَيْفَ دَوْلَةِ هَاشِمٍ مَنْ رَامَ أَنْ ... يَلْقَى مَنَالَكَ رَامَ غَيْرَ مَرَامِ (٣)

صَلَّى الإِلَهُ عَلَيْكَ غَيْرَ مُوَدَّعٍ ... وَسَقَى ثَرَى أَبَوَيْكَ صَوْبَ غَمَامِ (٤)

وَكَسَاكَ ثَوْبَ مَهَابَةٍ مِنْ عِنْدِهِ ... وَأَرَاكَ وَجْهَ شَقِيقِكَ القَمْقَامِ (٥)

وصار مكان الحجارة ناس قتلى فوق تلك الأرض وصارت الخوذ نجوما لامعة فى سماء من الغبار (١) وذراع عطف على قوله احجار ناس . وحالت تحولت وتغيرت . يقول: هناك احجار ناس وهناك ذراع كل ابى فلان أى ذراع مقطوعة من رجل كان يكنى أبا فلان فلما قتل حالت كنيته فصار صاحب تلك الكنية يقال له أبو الايتام لان بنيه صاروا يتامى بهلاكه ، هذا وقد نصب كنية — كما قال الواحدى — على الحال من أبى فلان وتقديره كل أب لفلان لأن كل اذا كان واحدا فى معنى جماعة لا يكون لا نكرة كما تقول كل رجل وكل فرس وهذا كما يقال رب واحد امه لقيت ورب عبد بطنه ضربت على تقدير رب واحد لأمه ورب عبد لبطنه والاضافة يراد بها الانفصال. وقال ابن جنى ويجوز نصبها بأعنى (٢) وخيله محجمة مبتدا وخبر والجملة حال سدت مسد خبر عهدى ويروى وخيله بالجر عطفا على معركة ومحجمة بالنصب على الحال والنقع الغبار. يقول : لم أعهد معركته الا على هذه الحال فخيله مقدمة أبدا تتأخر عن التأخر أى تأنف من الاحجام فلا تقدم عليه (٣) رام طلب ومنالك أى غايتك التى تنالها يقول: من طلب أن يبلغ غايتك فقد طلب أمرا لا مطلب فيه أى لا يفوز طالبه . وهذا البيت منحول فى الصحيح لم يروه الواحدى لأن سيف الدولة لم يلقب بهذا اللقب الا سنة ثلاثين وثلثمائة لقبه به الملتقى العباسى والقصيدة نظمت سنة احدى وعشرين وثلثمائة (٤) الصلاة من الله الرحمة والبركة . وصوب الغمام المطر . يدعوله بالصلاة ولأبويه بالسقيا وقوله غير مودع حال قال الواحدى : وقول الناس عند التوديع غير مودع معناه أنا معك قلبا وان فارقت شخصا ويجوز أن يكون من جهة الفأل ذكره كالاحتراس لمكان ذكر أبويه وهما قد ماتا أى وأنت حى لا يودعك أهلك ويجوز أن يكون المعنى ان روحى صحبتك فأنت مشيع غير مودع (٥) القمقام السيد الكثير الخير الواسع الفضل وأصله البحر لأنه

فَلَقَدْ رَمَى بَلَدَ العَدُوِّ بِنَفْسِهِ فِي رَوْقِ أَرْعَنَ كَالْغِطَمِّ لُهَامِ (١)

قَوْمٌ تَفَرَّسَتِ المَنَايَا فِيكُمُ

فَرَأَتْ لَكُمْ فِي الحَرْبِ صَبْرَ كِرَامِ (٢)

تَاللهِ مَا عَلِمَ امْرُؤٌ لَوْلَاكُمُ

كَيْفَ السَّخَاءُ وَكَيْفَ ضَرْبُ الهَامِ (٣)

وقال وقد تُحُدِّثَ بحضرة سيف الدولة أن البطريق أقسم عند ملكه أنه يعارض سيف الدولة فى الدرب وسأله ان ينجده ببطارقته وعَدَده وعُدَده ففعل فخاب ظنه انشده أياها سنة خمس وأربعين وثلاثمائة وهى آخر ما أنشده بحلب

عُقْبَى اليَمِينِ عَلَى عُقْبَى الوَغَى نَدَمُ مَاذَا يَزِيدُكَ فِي إِقْدَامِكَ القَسَمُ (٤)

وَفِي اليَمِينِ عَلَى مَا أَنْتَ وَاعِدُهُ مَا دَلَّ أَنَّكَ فِي المِيعَادِ مُتَّهَمُ (٥)

مجتمع الماء من قولهم قمقم الله عصبه أى جمعه وقبضه وأراد بشقيقه أخاه ناصر الدولة (١) روق الجيش أوله ومقدمته وأصله القرن فاستعاره . والارعن الجيش المضطرب لكثرته . والغطمط البحر الكثير الماء واللهام الجيش الكثير يلتهم كل شىء (٢) تفرست تأملت. والمنايا جمع منية الموت . يقول: أنتم قوم تأملتكم المنايا وخبرتكم فرأت لكم فى الحرب صبرا كراما واذا صبروا فى الحرب كانت المنايا اليهم أسرع قال العكبرى : وكان الوجه أن يقول فيهم فرأت لهم كما تقول أنتم قوم لهم وفاء ولكنه حمله على المعنى لانه اذا خاطبهم بالكاف كان أمدح (٣) الهام الرؤس . يقول : منكم استفاد الناس البذل والشجاعة ولولا أنتم لما عرفا (٤) العقبى العاقبة . يقول : من حلف على أن عاقبة الحرب له أى أنه ظافر لامحالة كانت العاقبة الندم لأنه ربما لايظفر والقسم لا يزيد فى الاقدام لان الجبان لا يقدم وان حلف (٥) يقول : اذا حلفت على ما تعده من نفسك دلت اليمين

آلَى الفَتَى ابْنُ شُمْشُقِيقٍ فأَحْنَثَهُ
فَتًى مِنَ الضَّرْبِ تُنْسَى عِنْدَهُ الكَلِمُ (١)

وَفَاعِلٌ مَا اشْتَهَى يُغْنِيهِ عَنْ حَلِفٍ
عَلَى الفِعَالِ حُضُورُ الفِعْلِ وَالكَرَمُ (٢)

كُلُّ السُّيُوفِ إِذَا طَالَ الضِّرَابُ بِهَا
يَمَسُّهَا غَيْرَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ السَّأَمُ (٣)

لَوْ كَلَّتِ الخَيْلُ حَتَّى لاَ تَحَمَّلُهُ تَحَمَّلَتْهُ إِلَى أَعْدَائِهِ الهِمَمُ (٤)

أَيْنَ البَطَارِيقُ وَالحَلْفُ الَّذِي حَلَفُوا
بِمَفْرِقِ المَلْكِ وَالزَّعْمُ الَّذِي زَعَمُوا (٥)

على أنك غير صادق فيما تعده لأن الصادق لايحتاج الى اليمين (١) آلى حلف . وابن شمشقيق بطريق الروم . وأحنثه ألجأه الى الحنث وهو الحلف فى اليمين . والكلم الكلام . يقول : أقسم بطريق الروم أنه ظافر بسيف الدولة فاضطره الى نقض يمينه فتى — يعنى سيف الدولة — ينسى عند ضربه اليمين والكلام لشدته

(٢) فاعل عطف على قوله فتى . والفعال جمع فعل . يقول : وأحنثه رجل يفعل ما يريد لأنه ملك لا معارض له . ويغنيه عن القسم على ما يفعله حضور فعله وكرمه أى أنه موثوق به لكرمه ، وفعله ما يريد حاضر عاجل فلا يحتاج الى أن يقسم على ما يريد فعله (٣) الضراب أى المضاربة والسأم الضجر وهو فاعل يمسها

(٤) يقول: لو عجزت الخيل عن حمله إلى أعدائه لسار اليهم بنفسه لأن همته لاتدعه يترك القتال . وقوله حتى لاتحمله بحذف أحد التاءين أى تتحمله قال ابن جنى الاختيار فيه الرفع لأنه فعل الحال من حتى كأنه قال حتى هى غير متحملة له والنصب جائز على معنى إلى أن لا تحمله (٥) البطريق القائد من الروم ومفرق الملك يريد رأسه والملك لغة فى الملك . يقول : أين ذهبوا وأين يمينهم التى أقسموها برأس ملكهم أن يعارضوا

وَلَّى صَوَارِمَهُ إِكْذَابَ قَوْلِهِمِ ... فَهُنَّ أَلْسِنَةٌ أَفْوَاهُهَا القِمَمُ (١)

نَوَاطِقٌ مُخْبِرَاتٌ فِى جَمَاجِمِهِمْ ... عَنْهُ بِمَا جَهِلُوا مِنْهُ وَمَا عَلِمُوا (٢)

الرَّاجِعُ الخَيْلَ مُحْفَاةً مُقَوَّدَةً ... مِنْ كُلِّ مِثْلٍ وَبَارٍ أَهْلُهَا إِرَمُ (٣)

كَتَلٌّ بِطَرِيقِ المَغْرُورِ سَاكِنُهَا ... بِأَنَّ دَارَكَ قِنَّسْرِينُ وَالأَجَمُ (٤)

وَظَنَّهِمْ أَنَّكَ المِصْبَاحُ فِى حَلَبٍ ... إِذَا قَصَدْتَ سِوَاهَا عَادَهَا الظُّلَمُ (٥)

سيف الدولة وما زعموا من أنهم يثبتون على قتاله ويظفرون به ، والزعم كناية عن الكذب ، يعنى أن كل ذلك كان كذبا (١) وليته الأمر تولية فتولاه أى باشره والصوارم السيوف القواطع والقمم جمع قمة وهي الرأس . يقول : ولى سيف الدولة سيوفه أن تكذبهم فيما ادعوا من الصبر على القتال فكذبتهم سيوفه بقطع رؤسهم ، وجعلها ـ أى السيوف ـ كالألسنة تعبر عن تكذيبهم ولما جعلها ألسنة جعل رؤسهم كالأفواه لأنها ـ السيوف ـ تتحرك فى تلك الرؤس تحرك اللسان فى الفم ، وهو تخيل بديع رائع (٢) هذا البيت تفسير للمصراع الثانى من البيت السابق . يقول : اذا وقعت هذه السيوف فى جماجم أخبرتهم عن سيف الدولة بما علموا من أقدامه وشجاعته وصبره فى الحرب وبما جهلوا منه لأنهم لم يعرفوا ماعنده من البأس تمام المعرفة (٣) يقول : هو ـ سيف الدولة ـ الذى يرد الخيل عن غزواته وقد حفيت من كثرة المشى يقودها فرسانها من كل بلد مثل وبار فى الخراب واهلها بادوا وهلكوا هلاك أرم . وليس يريد أن وبار كان أهلها أرم وانما يريد أن الديار التى رد عنها خيله كانت كوبار خرابا وأهلها كأرم هلاكا ، ووبار مدينة قديمة الخراب قيل كانت من مساكن عاد وارم جيل من الناس هلكوا فى قديم الدهر يقال انهم من عاد

(٤) تل بطريق بلد بالروم . وقنسرين كورة بالشام بالقرب من حلب . والأجم مكان بقرب الفراديس ، وهذا تفسير لقوله من كل مثل وبار يعنى من كل بلد خراب كتل بطريق التى اغتر ساكنها بأن دارك بعيدة عنه فظن أنك لاتقدر على قطع مابينك وبينه من المسافة (٥) ظنهم معطوف على ما دخلت عليه الباء من قوله بأن دارك أى واغتروا بظنهم، وعادها انتابها . يقول : واغتروا بظنهم أنك كالمصباح فى حلب ومتى فارقتها وبعدت عنها أظلمت ، يريد انتقضت عليك ولايتها

وَالشَّمْسُ يَعْنُونَ إِلاَّ أَنَّهُمْ جَهِلُوا ... وَالمَوْتُ يَدْعُونَ إِلاَّ أَنَّهُمْ وَهَمُوا (١)

فلمْ تُتِمَّ سَرُوجٌ فَتْحَ نَاظِرِها ... إِلاَّ وَجَيْشُكَ فِي جَفْنَيْهِ مُزْدَحِمُ (٢)

وَالنَّقْعُ يَأْخُذُ حَرَّانًا وَبَقْعَتَهَا ... وَالشَّمْسُ تَسْفِرُ أَحْيَانًا وَتَلْتَثِمُ (٣)

سُحْبٌ تَمُرُّ بِحِصْنِ الرَّانِ مُمْسِكَةً ... وَمَا بِهَا البُخْلُ لَوْلاَ أَنَّهَا نِقَمُ (٤)

جَيْشٌ كَأَنَّكَ فِي أَرْضٍ تُطَاوِلُهُ ... فَالأَرْضُ لاَ أَمَمٌ وَالجَيْشُ لاَ أَمَمُ (٥)

إِذَا مَضَى عَلَمٌ مِنْهَا بَدَا عَلَمٌ ... وَإِنْ مَضَى عَلَمٌ مِنْهُ بَدَا عَلَمُ (٦)

---

(١) هذا كالجواب لهم على ما اغتروا فيه يقول : ماظنوه من انك مصباح حقيقته أنك الشمس التى تعم كل مكان بضيائها وان كانت بعيدة إلا أنهم جهلوا الحقيقة ، وما ظنوه من أنك تستبعد أرضهم قدوهموا فيه وغلطوا اذلم يعرفوا انهم بتحريكهم اياك انما يدعون الموت الذى لايتعذر عليه مكان (٢) سروج بلد قرب حران . والناظر العين . يقول : لم تصح سروج الا وخيلك مزدحمة عليها ، جعل الصباح لها بمنزلة فتح الناظر

(٣) النقع الغبار . وحران بلد من بلاد مابين النهرين على بعد من سروج وبقعتها ضبطها أبو العلاء المعرى بفتح الباء ، وقال هي مكان كالبطحاء يعرف ببقعة حران يقول : انتشرا لغبار وتكاثف حتى بلغ حران وبقعتها ـ وذلك لعظم الحرب وكثرة الجيش ـ وحتى حجب ضوء الشمس فهى تظهر من خلاله أحيانا ثم تعود فتحتجب كأنها الحسناء تسفر أحيانا ثم تعود فتلتثم (٤) يعنى جيش سيف الدولة . وحصن الران موضع من عمل سيف الدولة . وممسكة أى بخيلة بالمطر . شبه جيشه بالسحب لكثرته وانتشاره يقول : تمر هذه السحب بهذا الموضع فتمسك مطرها عنه وليس امساكها هذا بخلا وانما هو اشفاق على دياره ، وانما تصب النقم على بلاد الاعداء

(٥) التاء فى تطاوله للأرض والهاء للجيش أى تطاول الارض جيشك أى تغالبه طولا . والامم القرب . يقول : بعدت الارض فطالت كأنما تطاول اطرافها جيشك الكبير البعيد أطرافه فكلاهما طويل بعيد الأطراف ثم بين هذا بالبيت التالى (٦) علم الارض هو الجبل وعلم الجيش الراية . يقول : كلما مضى جبل من الارض بدا جبل آخر وكذلك هذا الجيش كلما مضت كتيبة منه برايتها جاءت كتيبة أخرى فلا الارض تفنى ولا الجيش

وَشُزَّبٌ أَحْمَتِ الشِّعْرَى شَكَائِمَهَا ... وَوَسَّمَتْهَا عَلَى آنَافِهَا الْحُكَمُ (١)

حَتَّى وَرَدْنَ بِسِمْنِينٍ بُحَيْرَتَهَا ... تَنِشُّ بِالْمَاءِ فِي أَشْدَاقِهَا اللُّجُمُ (٢)

وَأَصْبَحَتْ بِقُرَى هِنْزِيطَ جَائِلَةً ... تَرْعَى الظُّبَى فِي خَصِيبٍ نَبْتُهُ اللِّمَمُ (٣)

فَمَا تَرَكْنَ بِهَا خُلْدًا لَهُ بَصَرٌ ... تَحْتَ التُّرَابِ وَلَا بَازًا لَهُ قَدَمُ (٤)

وَلَا هِزَبْرًا لَهُ مِنْ دِرْعِهِ لِبَدٌ ... وَلَا مَهَاةً لَهَا مِنْ شِبْهِهَا حَشَمُ (٥)

---

(١) شزب عطف على جيش أو على علم الأخير وهي جمع شازب الفرس الضامر وخيل شزب ضوامر . والشعرى يريد الشعرى اليمانية نجم يطلع فى فصل الصيف فهى تعد من نجوم القيظ . والشكائم جمع شكيمة الحديدة المعترضة فى فم الفرس والحكم جمع حكمة ما أحاط من اللجم بالحنك . يقول : وخيل حميت حدائد لجمها من حر الشمس حتى جعلت الحكم تسم أنوف الخيل ، يعنى لشدة الحر أحمت الشمس اللجم حتى صار مكان الحكم مثل الوسم — الكى — (٢) سمنين موضع . والنشيش صوت الماء وغيره اذا غلا . يقول : حتى وردت هذه الخيل بحيرة هذا الموضع وكرعت فى الماء فسمع للجمها نشيش فى أشداقها لشدة حرارة الحديد ، يريد انها كانت محماة فلما أصابها الماء نشت ويريد انها لسرعتها وردت الماء وشربت بلجمها (٣) وأصبحت اى الخيل . وهنزيط موضع ببلاد الروم . والظبى جمع ظبة حد السيف . واللمم جمع لمة ما ألم بالمنكب من الشعر . يقول : أصبحت الخيل بقرى هذا المكان تجول للغارة والقتل ، والسيوف ترعى فى مكان خصيب من رؤسهم فنبت هذا المكان انما هو اللمم يعنى أن السيوف تصل من الرؤس الى مكان مثل ما يصل اليه المال الراعى — الماشية — فى البلد الخصيب

(٤) فما تركن أي الظبى — السيوف — والخلد ضرب من الفأر ليست له عيون . يقول : ان أهل الروم كانوا فريقين فريقا دخلوا المطامير والأسراب كالفأر اذا ربعت من شىء دخلت جحرها وفريقا توقلوا — صعدوا — فى الجبال واعتصموا بها كالبازى يطير علوا ، فجعل من دخل الأسراب خلدا ذات أعين ومن تحصن بالجبال بزاة لها أقدام لأنه يريد بالفريقين ناسا والمعنى : ماتركت السيوف انسانا دخل المطامير تحت الأرض فصار كالخلد ولا من تعلق برأس الجبل فصار كالبازى إلا أهلكته ،

(٥) الهزبر الأسد ، واللبد جمع لبدة كقربة وقرب وهى زبرة الأسد أى ماعلى

تَرْمِي عَلَى شَفَرَاتِ الْبَاتِرَاتِ بِهِمْ ... مَكَامِنُ الْأَرْضِ وَالْغِيطَانُ وَالْأُكَمُ (١)

وَجَاوَزُوا أَرْسَنَاساً مُعْصِمِينَ بِهِ ... وَكَيْفَ يَعْصِمُهُمْ مَالَيْسَ يَنْعَصِمُ (٢)

وَمَا تَصُدُّكَ عَنْ بَحْرٍ لَهُمْ سَعَةٌ ... وَمَا يَرُدُّكَ عَنْ طَوْدٍ لَهُمْ شَمَمُ (٣)

ضَرَبْتَهُ بِصُدُورِ الْخَيْلِ حَامِلَةً ... قَوْماً إِذَا تَلِفُوا قُدْماً فَقَدْ سَلِمُوا (٤)

تَجَفَّلُ الْمَوْجُ عَنْ لَبَّاتِ خَيْلِهِمِ ... كَمَا تَجَفَّلُ تَحْتَ الْغَارَةِ النَّعَمُ (٥)

كتفيه من الشعر . والمهاة البقرة الوحشية توصف بحسن العيون . والحشم الخدم وهي حاشية الانسان العظيم . يقول : ولاتركت السيوف بطلا كالهزبر له مكان اللبدة الدرع ولا امرأة حسناء كالمهاة لها خدم من مثلها يعني نساء من الأمراء والأشراف

(١) الشفرات جمع شفرة حد السيف . والباترات القاطعات . ومكامن الأرض الخفيات منها . والغيطان جمع غائط المطمئن من الأرض . والأكم جمع أكمة التل . يقول : أنهم لوشك حينهم — هلاكهم — وحلول آجالهم لم يجدهم — ينفعهم — الهرب ولم ينجهم من القتل حتى كأن المواضع التي هربوا اليها من الغيطان والجبال كانت تقذف بهم وترميهم على حدود السيوف (٢) ارسناس نهر معروف ببلادهم . يقول : قطعوا هذا النهر مستمسكين به ظانين أنه يعصمهم منك وكيف يعصمهم ماليس ينعصم منك ؟ لأنك تقطعه وتركبه بالسفن والجسور وراءهم (٣) الطود الجبل . والشمم العلو والارتفاع . والبيت توكيد للبيت السابق . يقول : ان سعة بحارهم لاتصدك عنها لأنك تقطعها وإن كانت واسعة ، وارتفاع جبالهم لايردك عنها لأنك تعلوها وتصعدها

(٤) الضمير فى ضربته للنهر وهو ارسناس . يقول : ضربته بصدور خيلك حين عبرته وهي تحمل قوما يرون التلف في الأقدام سلامة ، أى لايهابون التلف بل يتهافتون عليه ، وفيه نظر الى قول أبى تمام

يَسْتَعْذِبُونَ مَنَايَاهُمْ كَأَنَّهُمُ ... لَايَيْأَسُونَ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا قُتِلُوا

(٥) تجفل فى المصراعين بحذف احدى التاءين أى تتجفل والتجفل الأسراع فى الذهاب . واللبات جمع لبة أعلى الصدر . والغارة الخيل الغائرة على العدو والنعم المواشى وأكثر مايقع هذا الأسم على الأبل . يقول : ان الموج تنبسط على الماء صادرة عن صدور خيلهم السابحة فيه كماتنبسط النعم متفرقة عند الغارة عليها

عَبَرْتَ تَقْدُمُهُمْ فِيهِ وفى بَلَدٍ ... سُكَّانُهُ رِمَمٌ مَسْكُونُهَا حُمَمُ (١)

وَفِي أَكُفِّهِمِ النَّارُ الَّتِي عُبِدَتْ ... قَبْلَ الْمَجُوسِ إِلَى ذَا الْيَوْمِ تَضْطَرِمُ (٢)

هِنْدِيَّةٌ إِنْ تُصَغِّرْ مَعْشَرًا صَغُرُوا ... بِحَدِّهَا أَوْ تُعَظِّمْ مَعْشَرًا عَظُمُوا (٣)

قَاسَمْتَهَا تَلَّ بِطْرِيقٍ فَكَانَ لَهَا ... أَبْطَالُهَا وَلَكَ الْأَطْفَالُ وَالْحُرَمُ (٤)

تَلْقَى بِهِمْ زَبَدَ التَّيَّارِ مُقْرَبَةً ... عَلَى جَحَافِلِهَا مِنْ نَضْحِهِ رَشَمُ (٥)

دُعْمٌ فَوَارِسُهَا رُكَّابُ أَبْطُنِهَا ... مَكْدُودَةٌ وَبِقَوْمٍ لَأْبِهَا الْأَلَمُ (٦)

---

(١) تقدمهم أى تتقدمهم . والرمم العظام البالية . والحمم جمع حمة ما احترق بالنار . يقول : عبرت النهر متقدما رجالك فيه وفيما قصدت اليه من ذلك البلد الذى قتلت أهله فصاروا رمما وأحرقت مساكنهم فصاروا حمما — وذلك البلد هو تل بطريق (٢) وفى أكفهم أي أكف أصحاب سيف الدولة . وأراد بالنار السيوف جعل السيوف نارا اضطراما واهلاكا أو لما فيها من البريق واللمعان . يقول : انها — السيوف — نار كانت مطاعة فى كل وقت قبل أن تعبد المجوس النار وهي نار تضطرم إلى هذا اليوم أى تتوقد وتبرق .

(٣) هندية أى هى سيوف منسوبة إلى الهند (٤) يقول : قاسمت سيوفك سكان هذه البلدة — تل بطريق — فجعلت أبطالها للسيوف فأهلكتهم وسبيت أنت الأطفال والنساء (٥) بهم أى بالأطفال والحرم . والزبد رغوة الموج . والتيار الموج الذى ينضح — يرش — والمقربة فى الأصل الخيل المدناة من البيوت لكرمها واعدادها للغارة . والجحافل جمع جحفلة وهى لذى الحافر كالشفة للانسان . والنضح الرش . والرشم بياض فى شفة الفرس العليا . يريد بالمقربة السفن جعلها كالخيل المقربة . يعنى عبر بالسبى الماء وهم فى زوارق تشق زبد الأمواج ، ولما سماها مقربة استعار لها الجحافل وجعل ما لصق من زبد الماء بها كالرشم فى جحافل الخيل (٦) دعم أى هى — المقربة — دعم . وفوارسها مبتدا وركاب خبره ومكدودة أى مجهودة بسرعة السير خبر آخر عن ضمير المقربة والألم مبتدا خبره بقوم . يقول : هى سود — لأنها مطلية بالقار — وفوارسها تركب بطونها لا ظهورها على خلاف الخيل اذا ركبت وهى متعبة فى سيرها إلا أن الم هذا التعب ينال من الملاحين لا منها هى

من الجياد التي كدت العدو بها ... وما لها خلق منها ولا شيم (١)

نتاج رأيك في وقت على عجل ... كلفظ حرف وعاه سامع فهم (٢)

وقد تمنوا غداة الدرب في لجب ... أن يبصروك فلما أبصروك عموا (٣)

صدمتهم بخميس أنت غرته ... وسمهرية تنه في وجهه غمم (٤)

فكان أثبت ما فيهم جسومهم ... يسقطن حولك والأرواح تنهزم (٥)

---

(١) يقول : ان هذه السفن تعد من الخيل التي جعلتها كيدا لأعدائك لأنها تحمل جيوشك اليهم إلا انه ليس لها خلقة الخيل ولا طباعها (٢) يقول : ان هذه السفن مما أحدثه رأيك في وقت قريب المدة كمدة فهم السامع ذي الفهم كلمة ينطق بها ناطق ، أي كانت المدة في اتخاذها كالمدة التي يستغرقها فهم السامع الفطن حرفا أي كلمة قال الواحدي . ويجوز أن يريد الواحد من حروف المعجم مماله معنى كم من وعيت ود من وديت (٣) الدرب موضع وغداة الدرب أي غداة اليوم الذي كانوا فيه على هذا الموضع وفي لجب حال من فاعل تمنوا واللجب الصياح واختلاط الأصوات وبكسر الجيم نعت للجيش العظيم الذي تختلط أصواته . يقول : أرادوا أن يبصروك في ذلك اليوم فلما أبصروك عموا عن الرشد والرأي أي تحيروا ، وقال الواحدي : عموا أي غضت هيبتك عيونهم عنك فكأنهم عموا (٤) الخميس الجيش . والغرة في الأصل البياض في جبهة الفرس وقد يراد بها الوجه والطلعة وشريف القوم . والسمهرية الرماح والغمم كثرة الشعر واسباله على الوجه. جعل الجيش كأنه فرس وسيف الدولة في مقدمته كالغرة والرماح المشرعة في أيديهم كالغمم لكثرتها وتلززها ، وهذا ينظر الى قول الآخر

فلو أنا شهدنا كم نصرنا ... بذي لجب أزب من العوالي

« الأزب في الأصل الطويل الشعر الكثيره والعوالي الرماح . واللجب اختلاط الأصوات وذو اللجب الجيش » (٥) يسقطن أي الجسوم والجملة حالية . يقول : ثبتت أجسامهم أمامك لأنك لم تترك لهم سبيلا الى الهزيمة فسقطت حولك وانهزمت أرواحهم

وَالأَعْوَجِيَّةُ مِلْءُ الطُّرْقِ خَلْفَهُمُ ... وَالمُشْرَفِيَّةُ مِلْءُ اليَوْمِ فَوْقَهُمُ (١)

إِذَا تَوَافَقَتِ الضَّرْبَاتُ صَاعِدَةً ... تَوَافَقَتْ قُلَلٌ فِي الجَوِّ تَصْطَدِمُ (٢)

وَأَسْلَمَ ابْنُ شَمْشَقِيقٍ أَلِيَّتَهُ ... أَلَّا ثَنَى فَهْوَ يَنْأَى وَهِيَ تَبْتَسِمُ (٣)

لَا يَأْمُلُ النَّفْسَ الأَقْصَى لِمُهْجَتِهِ ... فَيَسْرِقُ النَّفْسَ الأَدْنَى وَيَغْتَنِمُ (٤)

تَرُدُّ عَنْهُ قَنَا الفُرْسَانِ سَابِغَةٌ ... صَوْبُ الأَسِنَّةِ فِي أَثْنَائِهَا دِيَمُ (٥)

تَخُطُّ فِيهَا العَوَالِي لَيْسَ تَنْفُذُهَا ... كَأَنَّ كُلَّ سِنَانٍ فَوْقَهَا قَلَمُ (٦)

---

(١) الأعوجية الخيل المنسوبة إلى أعوج فرس كريم كان لبنى هلال ومل‌ء فى المصراعين حال من الضمير فى الظرف والمشرفية السيوف . يقول : ان الخيل كانت خلفهم مالئة الطرق لكثرتها وجعل السيوف ملء اليوم لأنها تعلو فى الجو وتنزل عند الضرب فى الهواء فأينما كان النهار كانت السيوف وهذا — كما قال الواحدى — مبالغة فى القول واغراق فى الوصف (٢) الضربات بسكون الراء للضرورة . والقلل جمع قلة أعلى الرأس يقول : اذا توافقت الضربات من الأبطال صاعدة فى الهواء — لأن اليد ترفع للضرب — توافقت رؤس مقطوعة بتلك الضربات متصادمة فى الهواء ، يعنى أنهم لا يضربون ضربة إلا قطعوا بها رأسا ، فالرؤس المقطوعة على قدر تلك الضربات لا تخطىء لهم ضربة عن قطع رأس (٣) ابن شمشقيق بطريق من بطارقة الروم أى قوادهم . وألية يمينه . وألا أى أن لا وأن هنا للتفسير ولا انثنى حكاية اليمين . وينأى يبعد يقول : ترك يمينه التى حلف بها وآلى أنه يثبت ولا ينهزم ولا يرجع عنك فانهزم وأبعد فى الهزيمة ويمينه تسخر منه وتضحك (٤) الأقصى الأبعد ضد الأدنى وقد طابق بينهما والمهجة الروح . وقوله فيسرق أراد فهو يسرق فرفعه يقول : ليأسه من نفسه لا يأمل أن يستتم النفس البعيد أى الطويل فهو يغتنم أنفاسه القريبة سرقة من أيدى الاجل (٤) عنه أى عن ابن شمشقيق . والقنا الرماح . والسابغة الدرع التامة الطويلة . الصوب المطر والديم جمع ديمة المطر الدائم فى سكون . وفى اثنائها أى فى تضاعيفها ومطاويها . يقول : تمنع الرماح من النفوذ فيه درع سابغة وقد تلطخت بالدماء التى تسيل من الاسنة عليها ، وقال ابن جنى : وقع الأسنة فى هذه الدرع كديمة المطر تتابعا (٦) العوالى الرماح . يقول : ان الرماح

فلا سَقَى الْغَيْثُ مَا وَارَاهُ مِنْ شَجَرٍ
لَوْ زَلَّ عَنْهُ لَوَارَتْ شَخْصَهُ الرَّخَمُ (١)

أَلْهَى الْمَمَالِكَ عَنْ فَخْرٍ قَفَلْتَ بِهِ ... شُرْبُ الْمُدَامَةِ وَالْأَوْتَارُ وَالنَّغَمُ (٢)
مُقَلَّدًا فَوْقَ شُكْرِ اللهِ ذَا شُطَبٍ ... لَا تُسْتَدَامُ بِأَمْضَى مِنْهُمَا النِّعَمُ (٣)
أَلْقَتْ إِلَيْكَ دِمَاءُ الرُّومِ طَاعَتَهَا ... فَلَوْ دَعَوْتَ بِلَا ضَرْبٍ أَجَابَ دَمُ (٤)
يُسَابِقُ الْقَتْلُ فِيهِمْ كُلَّ حَادِثَةٍ ... فَمَا يُصِيبُهُمُ مَوْتٌ وَلَا هَرَمُ (٥)
نَفَتْ رُقَادَ عَلِيٍّ عَنْ مَحَاجِرِهِ ... نَفْسٌ يُفَرِّجُ نَفْسًا غَيْرَهَا الْحُلُمُ (٦)

تؤثر فى درعه ولا تنفذها الى جسمه حتى كأن اسنتها اقلام تؤثر فى القرطاس ولا تخرقه (١) واراه ستره وأخفاه . وزل عنه أخطأه . والرخم جمع رخمة طائر من الجوارح الكبيرة يشبه النسر في الخلقة يقول : انه لما هرب استتر فى الشجر فلم يبصره الفرسان ولولا ذلك لقتل وألقى للطير فكانت تجتمع — الطير — عليه فتوارى شخصه ، ودعا على الشجر الذى أخفاه بأن لايسقى الماء (٢) الممالك أى أصحاب الممالك وقفلت رجعت . يقول : الهى الملوك عن مثل هذا الفخر — الذى كسبته فى هذه الغزوة لهوهم واشتغالهم بشرب الخمر واستماع الغناء (٣) مقلدا حال العامل فيها قفلت . وذا شطب أى سيفافيه طرائق . والضمير فى منهما للشكر والسيف . يقول : جعلت الشكر شعارك وتقلدت فوقه سيفا تجاهد به أعداء الله ولاشىء يستديم النعم مثلهما

(٤) يقول : لكثرة ماقتلت منهم كأن دماءهم صارت تطيعك لعلمها بأنها لاتمتنع منك كلما أردت سفكها حتى لودعوتهم للقتال ولم تضربهم لسالت دماؤهم قبل الضرب اجابة لك (٥) يريد بالحادثة مايصيب الانسان من مرض أو زمانة أو غيرها يقول : انك تفنيهم بالقتل فأنت تسابق الحوادث فيهم والموت والهرم فما تترك منهم أحدا حتى يموت حتف أنفه ولا تدعه حتى يكبر فيهرم (٦) على اسم سيف الدولة والمحاجر جمع محجر وهو ماحول العين يريد جفونه والحلم الرؤيا فى النوم . يقول : نفى الرقاد عن عينيه نفس كبيرة لاتسكن الى الأحلام ولاماتزينه له من بلوغ الآمال لأن مثله فى قوة عزمه وبعد مرتقى همته لايستريح أو يحقق بنفسه وقوة ارادته مقتضى عزيمته

القَائِمُ المَلِكُ الهَادِي الَّذِي شَهِدَتْ ... قِيَامَهُ وَهُدَاهُ العُرْبُ وَالعَجَمُ (١)

ابْنُ المُعَفِّرِ فِي نَجْدٍ فَوَارِسَهَا ... بِسَيْفِهِ وَلَهُ كُوفَانُ وَالحَرَمُ (٢)

لَا تَطْلُبَنَّ كَرِيمًا بَعْدَ رُؤْيَتِهِ ... إِنَّ الكِرَامَ بِأَسْخَاهُمْ يَدًا خُتِمُوا (٣)

وَلَا تُبَالِ بِشِعْرٍ بَعْدَ شَاعِرِهِ ... قَدْ أُفْسِدَ القَوْلُ حَتَّى أَحْمَدَ الصَّمَمُ (٤)

وقال يمدح انسانًا وأراد أن يستكشفه عن مذهبه

وهي من قوله في صباه

كُفِّي أَرَانِي وَيْكِ لَوْمَكِ أَلْوَمَا ... هَمٌّ أَقَامَ عَلَى فُؤَادٍ أَنْجَمَا (٥)

---

(١) القائم اما بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف أي هو القائم واما بالجر بدلا من علي يقول : هو القائم بالأمور يدبرها ويمضيها على وجهها الهادي الى دين الله الذي شاهدت العرب والعجم ومن بدا ومن حضر قيامه بالأمور والحروب وهداه في الدين

(٢) يقول : هو ابن الذي عفر فوارس نجد أي قتلهم وألقاهم على العفر أي التراب يريد حرب أبيه أبي الهيجاء للقرامطة بنجد — وملك كوفان — اسم للكوفة — والحرم — أي حرم مكة — (٣) يقول : متى رأيته وظفرت به فلا تطلب بعده كريما فلا كريم بعده لأنه خاتمة الكرام اذ هو أسخاهم يدا (٤) يريد بشاعره نفسه ثم قال قد فسد قول الشعر فحقيق به أن لا يسمع فالصمم حينئذ يحمد حتى يتفادى من سماع مثل هذا الشعر (٥) كفي دعي واتركي وأراني يريد عرفني وأعلمني وويك أصلها ويلك فحذفت اللام لكثرة الاستعمال وهي كلمة تقال في مقام التعجب والأنكار . وهم فاعل أراني والياء في أراني مفعول أول ولومك مفعول ثان والوما مفعول ثالث . وانجم أي اقلع وذهب قال الواحدي . يقال انجمت السماء اذا أقلعت عن المطر وانجم المطر أي أمسك ولا يقال انجم الفؤاد ولا فؤاد منجم ولكنه — المتنبي — استعمله في مقابلة اقام على الضد . يقول :— للعاذلة — : اتركي عذلي فقد أراني الهم المقيم على فؤادي الراحل الذاهب مع الحبيب أن لومك اياي أحق بأن يلام مني ، وعلى هذا يكون الوما مبنيا من الملوم وأفعل لا يبنى من المفعول إلا شاذا وقال قوم الوما من المليم وهو الذي استحق اللوم يقول — لها : ألهم أراني لومك أبلغ في الألامة

وَخَيَالُ جِسْمٍ لَمْ يُخَلِّ لَهُ الْهَوَى لَحْمًا فَيُنْحِلَهُ السَّقَامُ وَلَا دَمَا(١)

وَخُفُوقُ قَلْبٍ لَوْ رَأَيْتِ لَهِيبَهُ يَا جَنَّتِي لَظَنَنْتِ فِيهِ جَهَنَّمَا(٢)

وَإِذَا سَحَابَةُ صَدِّ حِبٍّ أَبْرَقَتْ تَرَكَتْ حَلَاوَةَ كُلِّ حُبٍّ عَلْقَمَا(٣)

يَا وَجْهَ دَاهِيَةَ الَّذِي لَوْلَاكَ مَا أَكَلَ الضَّنَى جَسَدِي وَرَضَّ الْأَعْظُمَا(٤)

واستحقاق اللوم ، وهذا أبلغ فى الشذوذ . وقال الواحدى : المعنى : أرانى الهم المقيم على فؤادى الراحل الذاهب مع الحبيب أن لومك أبلغ تأثيرا وأشد على، وذلك أن المحزون لايطيق استماع اللوم فهو يقول لومك أوجع فى هذه الحالة فكفى عنى ، وقال التبريزى : يحتمل المصراع الأول أن يكون مستغنيا بنفسه أى كفى لومك فانى أرانى ألوم منك أى أكثر منك لوما لنفسى ، فيكون هم مرفوعا بابتداء مضمر أى هذا هم أو بفعل أى أصابنى هم (١) خيال عطف على هم . جعل جسمه خيالا ليدل بذلك على دقته ونحوله فان الخيال اسم لما يتخيل لك لاعن حقيقة . يقول : لم يترك الهوى بجسمى محلا من لحم ودم فيعمل فيه السقام (٢) وخفوق عطف آخر على هم ، والخفوق والخفقان اضطراب القلب. واللهيب ما التهب من النار ويريد بلهيب قلبه مافيه من حرارة الشوق والوجد . وعنى بالجنة الحبيبة يقول : لو رأيت مافى قلبى من حر الشوق والوجد لظننت أن جهنم فى قلبى ، وانتقل من خطاب العاذلة إلى خطاب الحبيبة والقصة واحدة وإن أراد بالعاذلة الحبيبة لم يكن انتقالا ولكن الحبيبة لاتعذل على الهوى الا ترى الى قول القائل

عَذَلَتْنَا فِى عِشْقِهَا أُمُّ عَمْرٍو هَلْ سَمِعْتُمْ بِالْعَاذِلِ الْمَعْشُوقِ

والبيت فيه نظر إلى قول عبد الله بن الدمينة فى وداع محبوبته

غَدَتْ مُقْلَتِي فِي جَنَّةٍ مِنْ جَمَالِهَا وَقَلْبِي غَدَا مِنْ حُبِّهَا فِي جَهَنَّمِ

(٣) الحب المحبوب . وأبرقت السحابة أظهرت برقها ، والعلقم شجر مر يقال هو شجر الحنظل ويقال لكل شىء مر علقم . استعار للصدود سحابا ولما استعار له سحابا استعار له برقا يقول اذا ظهرت مخائل الصدود ولاحت لوائحه زالت حلاوة الحب واستحالت إلى مرارة

(٤) قال ابن جنى داهية إسم التى شبب بها وقال ابن فورجة ليست باسم علم لها ولكن كنى بها عن اسمها على سبيل التضجر لعظيم ما حل به من بلائها أى أنها لم

إِنْ كَانَ أَغْناهَا السُّلُوُّ فإِنَّنى ... أَصْبَحْتُ مِنْ كَبِدِى وَمِنْها مُعْدِمَا (١)

غُصْنٌ عَلَى نَقَوَىْ فَلاَةٍ نابِتٌ ... شَمْسُ النَّهارِ تُقِلُّ لَيْلاً مُظْلِمَا (٢)

لَمْ تُجْمَعِ الأَضْدَادُ فى مُتَشَابِهٍ ... إِلاَّ لِتَجعَلَنِي لِغُرْمِى مَغْنَمَا (٣)

كَصِفَاتِ أَوْحَدِنا أَبِى الْفَضْلِ الَّتى ... بَهَرَتْ فأَنْطَقَ وَاصِفِيهِ وَأَفْحَمَا (٤)

يُعْطِيكَ مُبْتَدِرًا فإِنْ أَعْجَلْتَهُ ... أَعْطَاكَ مُعْتَذِرًا كَمَنْ قَدْ أَجْرَمَا (٥)

تكن إلا داهية على ، قال الواحدى : والوجه قول ابن جنى لترك صرفها في البيت ولولم تكن علما لكان الوجه صرفها ، يقول : — لوجه الحبيبة : لولاك مانسلط الهزال على جسدى ومادق عظمى ، والرض الدق والكسر ورضاض كل شىء دقاقه فالمعنى : ماضعفت حتى كأنى قد كسرت عظامى (١) يقول : ان كان السلو قد أغناها عنى فليست تحتاج إلى وصلى فقد عدمتها وعدمت كبدى — لأن هواها أحرق كبدى — فأنا معدم — فقير — منها ومن كبدى أى أنها سالية عنى وأنا فقير اليها (٢) نقوى تثنية نقا وهو الكثيب من الرمل . والفلاة المفازة . وتقل تحمل ، يصف الحبيبة يقول : هي غصن — يعنى قامتها — نابت على كثيبي رمل — يعنى ردفيها — ووجهها شمس النهار تحمل من شعرها ليلا مظلما (٣) يريد بالأضداد ماذكره فى البيت السابق من دقة قامتها وثقل ردفيها وبياض وجهها وسواد شعرها ، وهذه على تضادها مجموعة فى شخص متشابه الحسن . يقول : لم تجمع هذه الأوصاف المتضادة فى شخص تماثل حسنه إلا لتجعلنى هذه الأضداد غنما لغرمى أى لما لزمنى من عشقها وهواها يعنى إلا لتستعبدنى وترتهن قلبى ، ويروى لم تجمع الأضداد على اسناد الفعل للحبيبة (٤) بهر الشىء ظهر وغلب بظهوره كالشمس تبهر النجوم . شبه هذه الأضداد بصفات الممدوح من كونه مرا على الأعداء حلوا للأولياء طلقا لدى الندى جهما عند اللقاء — فى الحرب — وما أشبه ذلك . وقال ان هذه الصفات علبت واصفيها فلم يقدروا على وصفها فأنطق واصفيه لأنهم حاولوا وصفه ووصف محاسنه ثم أفحمهم لعجزهم عن ادراكها ، والافحام ضد الانطاق والمفحم الذى لايقول الشعر ، وهذا ضرب من التخلص

(٥) يقول : انه يبتدرك بالعطاء فان سبقته بالسؤال أعطاك واعتذر اليك عن تأخر عطائه عن سؤالك كأنه أتى بجرم — أى ذنب —

وَيَرَى التَّعَظُّمَ أَنْ يُرَى مُتَوَاضِعًا وَيَرَى التَّوَاضُعَ أَنْ يُرَى مُتَعَظِّمًا (١)

نَصَرَ الفَعَالَ عَلَى المِطَالِ كَأَنَّمَا خَالَ السُّؤَالَ عَلَى النَّوَالِ مُحَرَّمًا (٢)

يَا أَيُّهَا المَلِكُ المُصَفَّى جَوْهَرًا

مِنْ ذَاتِ ذِي المَلَكُوتِ أَسْمَى مَنْ سَمَا (٣)

نُورٌ تَظَاهَرَ فِيكَ لَاهُوتِيَّةً فَتَكَادُ تَعْلَمُ عِلْمَ مَا لَنْ يُعْلَمَا (٤)

---

(١) التعظم اظهار العظمة وضده التواضع وهو أن يظهر الضعة من نفسه ، ووضع التواضع موضع الضعة والخساسة كما وضع التعظم موضع العظمة . يقول : يرى شرفه وارتفاع رتبته فى تواضعه ،وانضاعها فى تكبره ، والمعنى يرى العظمة فى أن يتواضع ويرى الضعة فى أن يتعظم ، أى فليس يتعظم (٢) الفعال اسم للفعل الجميل . والمطال المماطلة وهى المدافعة ، قال الواحدى :ولو قال المقال لكان أحسن ليكون فى مقابلة الفعال يقول : نصر فعله على القول وعطاءه على المطل ، أى يعطى ولا يعد ولا يماطل كأنه يظن أن السؤال حرام على العطاء،ولا يحوج إلى السؤال بل يسبق بعطائه السؤال ، قال الواحدى : وهذا على المجاز والتوسع لأن العطاء لا يوصف بأنه يحرم عليه شىء ولكنه أراد أن يذكر تباعده عن الالجاء الى السؤال

(٣) أرادبالجوهر الأصل والنفس . وذو الملكوت هو الله سبحانه وتعالى . يقول: أيها الملك الذى خلص جوهرا — أى أصلا ونفسا — من عند الله ، أى أن الله تعالى تولى تصفية جوهره لا غيره ؛ فهو جوهر مصفى من عند الله تعالى ، قال الواحدى : وهذا مدح يوجب الوهم وألفاظ مستكرهة فى مدح البشر وذلك أنه أراد أن يستكشف الممدوح عن مذهبه حتى اذا رضى بهذا علم أنه رديى المذهب وان أنكر علم أنه حسن الاعتقاد . واسمى من سما صفة لذى الملكوت أما ابن جنى فانه يجعله للممدوح لأنه قال هو منادى كأنه قال يا أعلى من علا قال : ويجوز أن يكون موضعه رفعا كأنه قال أنت أعلى من علا (٤) لا هوتية هى رواية ابن جنى قال ونصبها على المصدر ويجوز أن تكون حالا من الضمير فى تظاهر قال الواحدى : وهذا خطأ فى الرواية واللفظ لأن النور مذكر فلا تؤنث صفته والرواية لاهوتيه ، وتظاهر وظهر بمعنى ويجوز أن تكون بمعنى تعاون أى أعان بعضه بعضا ولاهوتية الآلهية وهى لغة عبرانية يقولون لله تعالى

وَبِهِمْ فِيكَ إِذَا نَطَقَتْ فَصَاحَةً ... مِنْ كُلِّ عُضْوٍ مِنْكَ أَنْ يَتَكَلَّمَا (١)

أَنَا مُبْصِرٌ وَأَظُنُّ أَنِّي نَائِمٌ ... مَنْ كَانَ يَحْلُمُ بِالإِلَهِ فَأَحْلُمَا (٢)

كَبُرَ الْعِيَانُ عَلَيَّ حَتَّى إِنَّهُ ... صَارَ الْيَقِينُ مِنَ الْعِيَانِ تَوَهُّمَا (٣)

يَا مَنْ لِجُودِ يَدَيْهِ فِي أَمْوَالِهِ ... نِقَمٌ تَعُودُ عَلَى الْيَتَامَى أَنْعُمَا (٤)

حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مَاذَا عَاقِلاً ... وَيَقُولَ بَيْتُ الْمَالِ مَاذَا مُسْلِمَا (٥)

لا هوت وللانسان ناسوت . يقول : قد ظهر فيك نور آلهى تكاد تعلم به الغيب الذى لا يعلمه أحد الا الله سبحانه وتعالى (١) يقول . ويهم هذا النور الآلهى لظهوره ان يتكلم وينطق من كل عضو من أعضائك بخلاف سائر الناس الذين لا ينطقون الا من أفواههم، جعل ظهوره في كل عضو منه نطقا ، والمعنى نفصاحتك يفعل النور ذلك فيك (٢) يقول : أنا أبصرك وأظن انى أراك فى النوم ، قال هذا استعظاما لرؤيته وذلك أن الانسان اذا رأى شيئا يعجبه وأنكر رؤيته قال أرى هذا حلما أى أن مثل هذا لا يرى فى اليقظة وهذا كما قال الآخر

أَبَطْحَاءَ مَكَّةَ هَذَا الَّذِي ... أَرَاهُ عِيَانًا وَهَذَا أَنَا

قال الواحدى : استفهم متعجبا مما رأى ثم حقق أنه يراه يقظان نائما بباقى البيت والمعنى:لا يحلم أحد برؤية الله تعالى ولا يراه فى النوم أحد حتى أراك أنا،أى كما لا يرى الله تعالى فى النوم كذلك لا ترى أنت ،قال الواحدى: وهذه مبالغة مذمومة وافراط وتجاوز حد ثم هو غلط فى انكار رؤية الله تعالى فى النوم فان الاخبار قد تواترت بذلك ؛

(٣) هذا البيت تأكيد لما ذكر فى البيت السابق . يقول: قد عظم على ما أعاينه من الممدوح وحاله حتى شككت فيما رأيت اذ لم أر مثله ولم أسمع به حتى صار المعاين كالمتوهم المظنون الذى لا يرى (٤) يقول : ان جودك يفرق مالك كأنه ينتقم منه كما تنتقم أنت من العدو باهلاكه غير أن تلك النقم فى اموالك نعم على الأيتام لأنها مفرقة فيهم، قال الواحدى ولو قال على البرايا لكان أعم واشمل لان اليتامى مقصور على صنف من الناس (٥) ما ذا فى المصرعين مركبة من ما النافية العاملة عمل ليس وذا الاشارية يقول : هو يفرط فى جوده حتى ينسبه الناس الى الجنون وحتى يقول بيت المال ليس هذا مسلما لأنه فرق بيوت المسلمين ولم يدع فيها شيئا ، ومثل هذا قول أبى نواس

إِذْكارُ مِثْلِكَ تَرْكُ إِذْكارِي لَهُ إِذْ لَا تُرِيدُ لِمَا أُرِيدُ مُتَرْجِما[1]

وقال فى صباه

إِلَى أَيِّ حِينٍ أَنْتَ فِى زِيِّ مُحْرِمٍ وَحَتَّى مَتَى فِى شِقْوَةٍ وَإِلَى كَمِ[2]

وَإِلَّا تَمُتْ تَحْتَ السُّيُوفِ مُكَرَّمًا تَمُتْ وَتُقَاسِي الذُّلَّ غَيْرَ مُكَرَّمِ[3]

جُدْتَ بالأموال حتى قِيلَ مَا هذا صَحِيح

« يريد أبو نواس ما هذا صحيح العقل » وقد صرح بذلك فى موضع آخر فقال

جادَ بالأَمْوَالِ حَتَّى حَسِبُوهُ النَّاسُ حُمْقَا

وتبعه أبو تمام فقال

مَازَالَ يَهْذِي بالمَكارِمِ والنَّدَى حَتى ظَنَنَّا أَنَّهُ مَحْمُومُ

قال الواحدى: وهذا معنى بارد وقد زاده الطائى فسادا وأصل هذا المعنى من قول عبيد بن أيوب العنبرى

حَمْرَاءُ تَامِكَةُ السَّنَامِ كَأَنَّهَا جَمَلٌ بِهَوْدَجِ أَهْلِهِ مَظْعُونُ

جادَتْ بِهَا عِنْدَ الْوَدَاعِ يَمِينُهُ كَلْتَا يَدَىْ عُمَرَ الْغَدَاةَ يَمِينُ

مَا كَانَ يُعْطِي مِثْلَهَا فِى مِثْلِهِ إِلَّا كَرِيمُ الخِيمِ أَوْ مَجْنُونُ

(١) اذكرته كذا بمعنى ذكرته . والمترجم المعبر عن الشىء مثل الترجمان ، يقول: ان مثلك لايحتاج الى اذكار بحاجة لانك تعلمها من غير أن تذكر فلست تحتاج الى من يترجم لك عما يراد منك فيكون ترك الاذكار اذكارا لك وهذا المعنى من قول أبى تمام

وَإِذَا الجودُ كانَ عَوْنِي على المَرْ ءِ تَقَاضَيْتُهُ بِتَرْكِ التَّقَاضِى

(٢) المحرم من الاحرام بالحج والعمرة وزيه العرى لانه لا يلبس المخيط يقول لنفسه — : إلى متى أنت عريان شقى بالفقر ؟؟ ويجوز أن يريد أن المحرم لا يصيب شيئا ولا يقتل صيدا فهو يقول : إلى متى أكف عن قتل الأعداء ؟ قال الواحدى : وهو الوجه (٣) هذا حث منه على الحرب والقتال وطلب العز . يقول : ان لم تقتل فى الحرب كريما مت غير كريم فى الذل والهوان ، أى فلأن تصبر على شدة الحرب

فَثِبْ وَاثِقاً بِاللهِ وَثْبَةَ مَاجِدٍ
يَرَى المَوْتَ فِى الْهَيْجَا جَنَى النَّحْلِ فِى الْفَمِ (١)

وقال فى صباه

ضَيْفٌ أَلَمَّ بِرَأْسِى غَيْرَ مُحْتَشِمِ وَالسَّيْفُ أَحْسَنُ فِعْلاً مِنْهُ بِاللِّمَمِ (٢)
إِبْعَدْ بَعِدْتَ بَيَاضاً لاَ بَيَاضَ لَهُ لَأَنْتَ أَسْوَدُ فِى عَيْنِى مِنَ الظُّلَمِ (٣)

خير من أن تبقى ثم لا تنجو من الموت فى الذل (١) الهيجاء من اسماء الحرب . وجنى النحل ما يجتنى من خلاياها من العسل . يقول : بادر إلى الحرب بدار شريف يستحلى الموت كما يستحلى العسل (٢) أراد بالضيف الشيب كما قال الآخر

أَهْلاً وَسَهْلاً بِضَيْفٍ نَزَلْ وَأَسْتَوْدِعُ اللهَ إِلْفاً رَحَلْ

« يريد الشيب والشباب » وألم نزل . والمحتشم المنقبض المستحيى . واللمم جمع لمة الشعر الذى جاوز شحمة الأذن والم بالمنكبين . يقول : ان الشيب ظهر فى رأسه شائما دفعة واحدة من غير أن يظهر فى تراخ ومهلة ، هذا هو معنى قوله غير محتشم ثم فضل فعل السيف بالشعر على فعل الشيب كما قال البحترى

وَدِدْتُ بَيَاضَ السَّيْفِ يَوْمَ لَقِيتَنِى مَكَانَ بَيَاضِ الشَّيْبِ حَلَّ بِمَفْرِقِى

« جعل نزول السيف برأسه أحب اليه من نزول الشيب به » وقال الواحدى : إنما فضل فعل السيف بالشعر على فعل الشيب لأن الشيب يبيضه وذلك أقبح ألوان الشعر ولذلك سن تغييره بالحمرة والسيف يكسبه حمرة إذا قطع اللحم على أن ظاهر قوله أحسن فعلا منه باللمم يوجب أن الشعر المقطوع بالسيف أحسن من الشعر الأبيض بالشيب لأن السيف إذا صادف الشعر قطعه وإنما يكسبه حمره إذا قطع اللحم (٣) يقال بعد يبعد بعدا إذا ذل وهلك قال تعالى ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود وقوله بعدت دعاء . وبياضا تمييز وعنى بالبياض الأول بياض الشيب وبالثانى المعانى الحميدة يريد معنى قول أبى تمام

لَهُ مَنْظَرٌ فِى الْعَيْنِ أَبْيَضُ نَاصِعٌ وَلَكِنَّهُ فِى الْقَلْبِ أَسْوَدُ أَسْفَعُ

وقد قال المتنبى فى بياض الثلج ما يشبه هذا وهو قوله

بِحُبِّ قَاتِلَتِى وَالشَّيْبِ تَغْذِيَتِى هَوَاىَ طِفْلاً وَشَيْبِى بالغَ الحُلُمِ (١)
فَمَا أَمُرُّ بِرَسْمٍ لاَ أُسَائِلُهُ وَلاَ بِذَاتِ خِمَارٍ لاَ تُرِيقُ دَمِى (٢)
تَنَفَّسَتْ عَنْ وَفَاءٍ غَيرِ مُنْصَدِعٍ يَوْمَ الرَّحِيلِ وَشَعْبٍ غَيرِ مُلْتَئِمِ (٣)

* فكأنَّها بِبَيَاضِها سَوْدَاء *

يقول : إن بياض الشيب ليس ببياض فيه نور وسرور وهو أشد سوادا من الظلم لما يورى به من حلول الأجل وقطع الأمل ، قال الواحدى : وقد ذهب جميع الشراح فى قوله لأنت أسود فى عينى من الظلم إلى ان هذا من الشاذ الذى أجازه الكوفيون من نحو قوله

* أَبْيَضُ مِنْ أُخْتِ بَنِى إِبَاضٍ *

وسمعت العروضى يقول اسود ههنا واحد السود والظلم الليالى الثلاث فى آخر الشهر التى يقال لها ثلاث ظلم يقول لبياض شيبه أنت عندى واحد من تلك الليالى الظلم، على أن ابن جنى قد قال ما يقارب هذا فقال وقد يمكن أن يكون لأنت أسود فى عينى كلاما تاما ثم ابتدأ بصفة فقال من الظلم كما تقول هو كريم من أحرار ، وهذا يقارب ما ذكره العروضى غير أنه لم يجعل الظلم الليالى (١) يريد بقاتلته حبيبته لأن حبها قتله وبحب قاتلتى خبر مقدم وتغذيتى مبتدأ مؤخر وهواى وشيبى قال ابن الشجرى يحتملان الرفع والجر فالرفع بأن يكونا مبتدأين وطفلا وبالغ حالين سدا مسد الخبرين كما تقول ضربى زيدا جالسا وتقديره هواى إذ كنت طفلا وشيبى إذ كنت بالغ الحلم والجر على إبدالهما من حب وشيبى، وحسن إبدال الهوى من الحب إذ كان بمعناه والعامل فى الحالين على هذا القول المصدران هواى وشيبى والتقدير تغذيتى بحب قاتلتى والشيب بأن هويت طفلا وشبت بالغ الحلم وقد بين فى المصراع الثانى وقت المحبة ووقت الشيب يقول : إن تغذيتى بهذين — الحب والشيب — ثم بين ذلك بقوله هويت وأنا طفل وشبت حين احتلمت لشدة ما قاسيت من الهوى فصارا غذائى

(٢) الرسم أثر الديار مما كان لاصقا بالأرض والطلل ما كان شاخصا والخمار ما تغطى به المرأة رأسها يقول : كل رسم يذكرنى رسم دارها فأسأله تسليا وكل ذات خمار تذكرنيها فتريق — تسيل — دمى ، أى تقتلنى (٣) المنصدع المنشق والشعب مصدر بمعنى الفراق من قولهم شعبته إذا فرقته والملتئم المجتمع يقول : تنفست عند الوداع

قَبَّلْتُهَا وَدُمُوعِي مَزْجُ أَدْمُعِهَا ... وَقَبَّلَتْنِي عَلَى خَوْفٍ فَمَا لَفَمِ (١)

فَذُقْتُ مَاءَ حَيَاةٍ مِنْ مُقَبَّلِهَا ... لَوْ صَابَ تُرْبًا لَأَحْيَا سَالِفَ الْأُمَمِ (٢)

تَرْنُو إِلَيَّ بِعَيْنِ الظَّبْيِ مُجْهِشَةً ... وَتَمْسَحُ الطَّلَّ فَوْقَ الْوَرْدِ بِالْعَنَمِ (٣)

تحسرا على فراق عن وفاء، يعنى عما فى قلبها من وفاء صحيح غير منشق وفراق غير مجتمع ، يريد وحزن فراق فحذف المضاف أى أنها كانت منطوية على وفاء صحيح وهم فريق لا يلتئم — لا يجتمع — وكان تنفسها عن هذين . والمعنى انا افترقنا بالأجساد لا بالقلوب لأنها كانت معى على الوفاء . قال الواحدى و يجوز أن يريد بالشعب القبيلة ويكون المعنى عن فراق شعب غير مجتمع لارتحالهم وتفرقهم فى كل وجه

(١) يقول : بكينا جميعا حتى امتزجت دموعى بدموعها فى حال التقبيل ، يعنى أنهما تقاربا حتى اختلطت دموعهما حال التقبيل . ونصب فما على الحال كقولك كلمته فاه إلى فى أى مشافهة، ومزج قال الواحدى مصدر بمعنى المزاج — ما يمزج بالشىء — سمى به الفاعل يقول دموعى مازجة دموعها أى ممتزجة بها (٢) المقبل موضع التقبيل أى الفم وصاب أى نزل من قولهم صاب المطر يصوب صوبا ويجوز أن يكون بمعنى أصاب يقال صابه وأصابه يقول : إن ريقها عذب طيب فهو ماء الحياة إذا ذاقه العاشق حيى به حتى لو وقع على الأرض لأحيا الموتى من الأمم السالفة، وأصل هذا المعنى للأعشى إذ يقول :

لَوْ أَسْنَدَتْ مَيْتًا إِلَى نَحْرِهَا ... عَاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إِلَى قَابِرِ

(٣) ترنو تنظر ومجهشة متهيأة للبكاء ومراده بالطل دموعها والمطر الخفيف والعنم شجر له ثمر أحمر يشبه العناب ، جعل عينها عين ظبى لسوادها وأراد بالورد خدها وبالعنم أطراف بنانها محمرة بالخضاب ومعنى البيت من قول أبى نواس

يَا قَمَرًا أَبْصَرْتُ فِى مَأْتَمٍ ... يَنْدُبُ شَجْوًا بَيْنَ أَتْرَابِ

يَبْكِى فَيُلْقِى الدُّرَّ مِنْ نَرْجِسٍ ... وَيَلْطِمُ الْوَرْدَ بِعُنَّابِ

ومثله لابن الرومى :

كَأَنَّ تِلْكَ الدُّمُوعَ قَطْرُ نَدًى ... يَقْطُرُ مِنْ نَرْجِسٍ عَلَى وَرْدِ

وأحسن فيه الوأواء الدمشقى بقوله

فَأَمْطَرَتْ لُؤْلُؤًا مِنْ نَرْجِسٍ وَسَقَتْ ... وَرْدًا وَعَضَّتْ عَلَى الْعُنَّابِ بِالْبَرَدِ

رُوَيْدَ حُكْمَكِ فِينَا غيرَ مُنْصِفَةٍ ... بالنَّاسِ كُلِّهِمِ أَفْدِيكِ مِنْ حَكَمِ (١)

أَبْدَيْتِ مِثْلَ الذِى أَبْدَيْتُ مِنْ جَزَعٍ ... وَلَمْ تُجِنِّى الَّذِى أَجْنَنْتُ مِنْ أَلَمِ (٢)

إِذًا لَبَزَّكِ ثَوْبَ الْحُسْنِ أَصْغَرُهُ ... وَصِرْتِ مِثْلِى فِى ثَوْبَيْنِ مِنْ سَقَمِ (٣)

لَيْسَ التَّعَلُّلُ بالآمالِ مِنْ أَرَبِى ... وَلا القَنَاعَةُ بالإِقْلالِ مِنْ شِيَمِى (٤)

---

(١) رويد اسم فعل بمنزلة صه ومه يقال رويد زيدا أى دعه وأمهله ونصب حكمك به وغير منصفة حال والعامل فيه حكمك أى أن تحكمى غير منصفة أى ظالمة ومن حكم فى موضع الحال أى أفديك حاكمة أو تقول انه فى موضع نصب على التمييز ومن زائدة يقول : دعى أو أقلى حكمك علينا وأنت ظالمة لنا ثم قال أفديك بالناس كلهم من حاكم يعنى أنت حبيبة إلى وإن جرت على فى الحكم

(٢) الجزع نقيض الصبر وأجن الشىء ستره وكتمه يقول : وافقتني فى ظاهر الجزع للفراق ولم تضمرى ما أضمرته من وجعه ، وهذا كما يقول الناشىء

لَفْظِى ولَفْظُكِ بالشَّكْوَى قَدِ ائْتَلَفَا ... يالَيْتَ شِعْرِى فَقَلْبانَا لِمَ اخْتَلَفَا

(٣) إذن قال الزجاج تأويله إن كان الأمر كما جرى أو كما ذكرت يقول القائل زيد يصير إليك فتقول إذن أكرمه أى أن كان الأمر على ما تصف وقع اكرامه وتأويلها هاهنا أنه ذكر أنها لم تجن الألم كأنه قال لو أجننت من الألم ما أجننته إذن لبزك ـ أى لسلبك ـ ثوب الحسن أقل جزء من أجزاء الألم ، أى لأذهب حسنك وظهر عليك من أثره مايذهب نضارة حسنك ويكسوك ثوب السقم ، وإنما ثنى الثوب لأن العادة فى اللباس ثوبان إزار ورداء للعرب ويسمونهما الحلة فكأنه قال وكساك حلة السقم كما كسانى (٤) التعلل تزجية الوقت * بالشىء اليسير بعد الشىء يقال فلان يتعلل بكذا أى يمضى به وقته ودهره . والاقلال الفقر وقلة ذات اليد . يقول : ليس من عادتى أن أتزجى بالآمال وأدافع الوقت بشىء أرجوه لعله لايكون ولاأن أقنع باليسير يعنى أنه يطلب الكثير ويسافر فى طلب المال كما قال أبو الأسود الدؤلى

---

* يقال زجيت الشىء تزجية اذا دفعته برفق ويقال كيف تزجى الأيام أى كيف تدافعها وزجيت أيامى دافعتها بقليل من القوت أجزىء به وأكتفى ويقال تزجيت بكذا اكتفيت به

وَلاَ أَظُنُّ بَنَاتِ الدَّهْرِ تَتْرُكُنِي ... حَتَّى تَسُدَّ عَلَيْهَا طُرْقَهَا هِمَمِي (١)

لُمِ اللَّيَالِيَ الَّتِي أَخْنَتْ عَلَى جِدَتِي ... بِرِقَّةِ الحَالِ وَاعْذِرْنِي وَلاَ تَلُمِ (٢)

أَرَى أُنَاسًا وَمَحْصُولِي عَلَى غَنَمٍ ... وَذِكْرَ جُودٍ وَمَحْصُولِي عَلَى الكَلِمِ (٣)

وَرُبَّ مَالٍ فَقِيرًا مِنْ مُرُوَّتِهِ ... لَمْ يُثْرِ مِنْهَا كَمَا أَثْرَى مِنَ العَدَمِ (٤)

سَيَصْحَبُ النَّصْلُ مِنِّي مِثْلَ مَضْرِبِهِ ... وَيَنْجَلِي خَبَرِي عَنْ صِمَّةِ الصَّمَمِ (٥)

وَمَا طَلَبُ المَعِيشَةِ بِالتَّمَنِّي ... وَلَكِنْ أَلْقِ دَلْوَكَ فِي الدِّلاَءِ

(١) بنات الدهر صروفه ونوائبه التى تتولد منه وتحدث فيه يقول : لا أظن النوائب تدعنى حتى أدفعها عن نفسى بسد طريقها إلى، وذلك أن يتقوى بالمال والأنصار

(٢) أخنى عليه الدهر أتى عليه وأهلكه. والجدة ـ الغنى . ورقة الحال كناية عن الفقر يقول ـ لمن لامه فى الفقر ـ : لاتلمنى ولم الدهر الذى أتى على مالى وسلبنى الغنى

(٣) المحصول مصدر بمعنى الحصول وقد يكون المفعول مصدرا كقولهم ليس له معقول أى عقل. وقوله وذكر جود مفعول لفعل محذوف دل عليه المقام أى وأسمع ذكر جود فهو من باب

* علفتها تبنا وماء باردا *

يقول : أرى قوما على صورة الناس غير أنهم عند التحصيل كالغنم لا عقل لهم وأسمع ذكر الجود ولكن لا أحصل منه إلا على الكلام دون الفعال (٤) رب مال معطوف على أناسا فى البيت السابق والمروة أصلها الهمز يقال امرؤ ذو مروءة تخفف الهمزة فيبقى واو ان تدغم الأولى فى الثانية وهي النخوة وكمال الرجولية. والاثراء الغنى يقول : وأرى صاحب مال ليس له مروءة ولم يستكثر منها كما استكثر من المال حتى أثرى بعد الفقر أى لم يكثر المروءة عند كثرة المال ، فقوله أثرى من العدم هو كما يقال استغنى من الفقر وهذا المعنى من قول أبى تمام

لا يَحْسِبُ الإِقْلاَلَ عُدْمًا بَلْ يَرَى ... أَنَّ المُقِلَّ مِنَ المُرُوءَةِ مُعْدِمُ

(٥) النصل نصل السيف ومضرب السيف حده والصمة الشجاع وينجلى ينكشف يقول : سيصحب السيف منى رجلا مثل حده فى المضاء ويتبين للناس أنى أشجع

لَقَدْ تَصَبَّرْتُ حَتَّى لَاتَ مُصْطَبَرٍ ... فَالآنَ أُقْحِمُ حَتَّى لَاتَ مُقْتَحَمِ (١)

لَأَتْرُكَنَّ وُجُوهَ الخَيْلِ سَاهِمَةً ... وَالحَرْبُ أَقْوَمُ مِنْ سَاقٍ عَلَى قَدَمِ (٢)

وَالطَّعْنُ يُحْرِقُهَا وَالزَّجْرُ يُقْلِقُهَا ... حَتَّى كَأَنَّ بِهَا ضَرْبًا مِنَ اللَّمَمِ (٣)

قَدْ كَلَّمَتْهَا العَوَالِي فَهْيَ كَالِحَةٌ ... كَأَنَّمَا الصَّابُ مَعْصُوبٌ عَلَى اللُّجُمِ (٤)

بِكُلِّ مُنْصَلِتٍ مَا زَالَ مُنْتَظِرِي ... حَتَّى أَدَلْتُ لَهُ مِنْ دَوْلَةِ الخَدَمِ (٥)

الشجعان ، يعنى أنه إذا قصد الحرب مضى مضاء السيف وعمل عمل الأشجع أى أنه أشجع الشجعان (١) لات بمعنى ليس والاصل فيها لا فزيدت عليها التاء كما فى ربت وثمت قال ابن جنى من العرب من يجر بها وانشد

طَلَبُوا صُلْحَنَا وَلَاتَ أَوَانٍ ... فَأَجَبْنَا أَنْ لَيْسَ حِينَ بَقَاءِ

والمصطبر بمعنى الاصطبار والمقتحم كذلك بمعنى الاقتحام وهو الدخول فى الشىء ، يقول : تكلفت الصبر حتى لم يبق اصطبار فالآن أقحم أى أقحم نفسى أى أوردها المهالك وأوقعها فى الحروب حتى أدرك مرادى فلا يبقى اقتحام ، وعلى هذا فمفعول أقحم محذوف ولك أن تقرأها أقحم أى أقتحم وقد ورد قحم يقحم من باب خضع بمعنى اقتحم (٢) ساهمة متغيرة لما يلحقها من شدائد الحرب يقال سهم وجهه يسهم سهوما إذا تغير وجملة والحرب أقوم الخ حالية يقول : لأكلفن الخيل من أهوال الحرب ما تسهم له ألوانها ولأتركن الحرب قائمة كانتصاب الساق على القدم أى شديدة (٣) يحرقها يروى يخرقها والضمير للخيل والجملة عطف على الجملة الحالية فى البيت السابق والزجر الصياح واللمم الجنون يقول : والطعن يعمل فى الخيل عمل النار حتى كأنه يحرقها والزجر أى الصياح بها عند اقتحامها فى الحرب أو فى الماء يمنعها عن التأخر ويقلقها — أى يحركها — حتى كأن بها جنونا ، يريد أنها تضطرب لما يلحقها من ألم الطعن وخوف الزجر فكأنها مجنونة إذ لا تستقر ولا تثبت (٤) كلمتها من الكلم الذى هو الجرح . والعوالى الرماح . وكلح كشر فى عبوس . والصاب نبت مر يقول : هى عابسة فاتحة أفواهها لما أصابها من جراح الرماح فكأن الصاب قد شد على لجمها فهى تجد مرارته . ومعصوب يروى معصور ويروى مذرور (٥) بكل منصلت متعلق بقوله لأتركن . والمنصلت الماضى فى الأمور . وأدلت له من كذا أى أعنته عليه حتى

شَيْخٍ يَرَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ نَافِلَةً وَيَسْتَحِلُّ دَمَ الْحُجَّاجِ فِي الْحَرَمِ (١)

وَكُلَّمَا نُطِحَتْ تَحْتَ الْعَجَاجِ بِهِ أُسْدُ الْكَتَائِبِ رَامَتْهُ وَلَمْ يَرِمِ (٢)

تُنْسِي الْبِلَادَ بُرُوقَ الْجَوِّ بَارِقَتِي وَتَكْتَفِي بِالدَّمِ الْجَارِي عَنِ الدِّيَمِ (٣)

جعلت له الدولة يقول : لاتركن الحرب قائمة بكل رجل ماض فى الامور طالما انتظر خروجى على السلطان حتى أعطيته الدولة من الخدم الذين لا يستحقون الأمارة ، يعنى بهم الاتراك الذين تملكوا العراق وخرجوا على السلطان (١) شيخ إما بالجر على التبعية لنصلت . وإما بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أى هو شيخ والنافلة خلاف الفرض وهى ما يحسن فعله ولا يحرم تركه يريد أنه يستعين بمثل هذا ممن لا يعتقد الدين حتى يزيل دولة الخدم . وقال ابن القطاع كل من فسر الديوان قال الشيخ هنا واحد الشيوخ من الناس يقول: أنتصر على أعدائى بكل شيخ ماض في أموره لايبالى بالعواقب مستحل للمحارم سافك للدماء وهذا بالهجاء أشبه وإنما المعنى أن الشيخ هنا السيف فان الشيخ من أسمائه وكذلك العجوز قال أبو المقدام البصرى

رُبَّ شَيْخٍ رَأَيْتُ فِي كَفِّ شَيْخٍ يَضْرِبُ الْمُعْلَمِينَ وَالأَبْطَالاَ

وَعَجُوزٍ رَأَيْتُ فِي فَمِ كَلْبٍ جَعَلَ الْكَلْبَ لِلأَمِيرِ جَمَالاَ

سمى السيف شيخا لقدمه لأنهم يمدحون السيوف بالقدم وقيل سمى شيخا لبياضه تشبيها بالشيب وكذلك المعنى فى العجوز (٢) العجاج الغبار . والكتائب جمع كتيبة الفرقة من الجيش ورامته يريد رامت عنه أى زالت عنه ولم يزل هو عنها فحذف حرف الجر وأوصل الفعل والأصل استعماله بحرف الجر كما قال الأعشى

أَبَانَا فَلا رِمْتَ مِنْ عِنْدِنَا فَإِنَّا بِخَيْرٍ إِذَا لَمْ تَرِمْ

يقول : إن الأبطال تنهزم عنه ولاينهزم هو قال ابن جنى والواحدى : والنطح إنما هو للكباش ولا يستعمل فى الأسود ولو قال كلما صدمت أو رميت لكان أليق ولكنه أراد بالنطح القتال (٣) بارقتى يريد سيوفه التى لها بريق ولمعان . والديم جمع ديمة وهى المطر الدائم يقول : إذا برقت سيوفى لأعدائى فى الحرب فان ضوءها يزيد على ضوء بروق السحاب حتى تنسى الناس البروق ويكثر مع ذلك سيلان الدم حتى تستغنى البلاد عن الأمطار بما أصبه من الدماء ، قال العكبرى وهذا كلام مشبع بالحماقة

رِدِى حِيَاضَ الرَّدَى يا نَفْسِ وَاتْرِكِى
حِيَاضَ خَوْفِ الرَّدَى لِلشَّاءِ وَالنَّعَمِ (١)

إِنْ لَمْ أَذُدْكِ عَلى الأَرْمَاحِ سَائِلَةً فَلا دُعِيتُ ابْنَ أُمِّ المَجْدِ وَالْكَرَمِ (٢)

أَيَمْلِكُ المُلْكَ وَالأَسْيَافُ ظَامِئَةٌ وَالطَّيْرُ جَائِعَةٌ لَحْمٌ عَلى وَضَمِ (٣)

مَنْ لَوْ رَآنِى مَاءً مَاتَ مِنْ ظَمَإٍ وَلَوْ مَثَلْتُ لَهُ فِى النَّوْمِ لَمْ يَنَمِ (٤)

حتى لو قاله أحد بنى بويه أو بنى أرفق أو بنى أيوب لنسب إلى ذلك وهم ملوك الأرض وحماتها (١) ردى أمر من ورد الماء يرد ورودا . والردى الهلاك ويانفس يروى حوباء أى ياحوباء والحوباء النفس. والشاء جمع شاة والنعم الابل خاصة يقول ـ لنفسه : ردى المهالك والحروب واتركى خوف ورود الهلاك للنعم والشاء ؛ أى أنها هى التى لاتقاتل عن نفسها ولاتدافع عنها من الذل (٢) يقول ـ لنفسه ـ : إن لم أتركك سائلة الدم على الرماح ـ أى إن لم أحضر الحرب حتى يسيل الدم منى على الرماح ـ فلا دعيت أخا المجد والكرم (٣) ظامئة عطشى ولحم فاعل يملك والوضم الخشبة يقطع الجزار عليها اللحم ويضرب اللحم على الوضم مثلا للضعيف الذى لاامتناع عنده ويقال للمرأة لحم على وضم ومنه قول القائل

أُحاذِرُ الفَقْرَ يَوْمًا أَنْ يُلِمَّ بِها فَيَهْتِكَ السِّتْرَ عَنْ لَحْمٍ عَلى وَضَمِ

وذلك أن الحيوان فيه نوع امتناع فاذا ذبح ووضع لحمه على الوضم كان عرضة لكل أحد حتى الطيور والذباب وقوله أيملك الملك استفهام معناه الانكار يقول : لايملك الملك ضعيف ذليل لايدفع عن نفسه كاللحم على الوضم وأسيافنا عطاش إلى دمه والطير جائعة لم نشبعها من لحمه ، يعنى أنه يقتل ويلقى للطيور ولايملك (٤) من بدل من قوله لحم على وضم . والظمأ العطش ومثلت انتصبت ويروى عرضت بدل مثلت يقول : من لو كنت ماء وكان عطشان لمنعه خوفه منى أن يشرب حتى يموت عطشا ولو رآنى فى النوم ماثلا له لهجر النوم خوفا من أن يرانى فى النوم ، وهذا ينظر إلى قول مروان ابن أبى حفصة

فإِذَا تَنَبَّهَ رُعْتَهُ وإِذا غَفَى سَلَّتْ عَلَيْهِ سُيُوفَكَ الأَحْلامُ

مِيعَادُ كُلِّ رَقِيقِ الشَّفْرَتَيْنِ غَدًا
وَمَنْ عَصَى مِنْ مُلُوكِ الْعُرْبِ وَالْعَجَمِ (١)
فَإِنْ أَجَابُوا فَمَا قَصْدِي بِهَا لَهُمُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَمَا أَرْضَى لَهَا بِهِمِ (٢)

وعذله أبو عبد الله معاذ بن اسماعيل اللاذقى
على ما كان قد شاهده من تهوره فقال *

أَبَا عَبْدِ الإِلَهِ مُعَاذ إِنِّي خَفِيٌّ عَنْكَ فِي الْهَيْجَا مَقَامِي (٣)

(١) ميعاد مبتدأ خبره غدا وكل رقيق الشفرتين أى كل سيف رقيق الشفرتين وهو الذى رقت شفرتاه ــ حداه ــ بكثرة الصقل . ومن عصى أى من عصانى عطف على كل يتوعد من عصاه من الملوك بقرب إيقاد نار الحرب (٢) يقول : إن أطاعونى وأجابونى الى ما أدعوهم اليه فلست أقصدهم بسيوفى وانما أقصد بها غير المطيع فأقتله بها وإن أدبروا عنى ومضوا في عصيانهم فلا أقتصر على قتلهم وحدهم وإنما أقتلهم وكل من رأى رأيهم * جاء فى الصبح المنبى قال أبو عبد الله معاذ بن اسماعيل قدم أبو الطيب المتنبى اللاذقية سنة نيف وعشرين وثلاث مئة وهو فتى فأكرمته وعظمته لما رأيت من فصاحته وحسن سمته . فلما تمكن الأنس بينى وبينه وخلوت معه فى المنزل اغتنما لمشاهدته واقتباسا من أدبه قلت والله انك لرجل خطير تصلح لمنادمة ملك كبير فقال ويحك أتدرى ما تقول؟ أنا نبى مرسل ــ فظننت أنه يمزح ثم تذكرت أنى لم أسمع منه كلمة هزل قط منذ عرفته فقلت له ما تقول فقال أنا نبى مرسل كما ذكرت فقلت مرسل الى من ؟ فقال إلى هذه الأمة الضالة المضلة ، قلت ماذا تفعل ؟ قال أملأ الدنيا عدلا كما ملئت جورا . قلت بماذا ؟ قال بادرار الأرزاق والثواب العاجل والآجل لمن أطاع وأتى وضرب الاعناق لمن عصى وأبى فقلت له أن هذا أمر عظيم أخاف عليك منه أن يظهر وعذلته على ذلك فأنشد يقول بديها وذكر هذه الأبيات

(٣) معاذ مرفوع بالبدل من أبا عبد الأله . والهيجاء من أسماء الحرب . يقول : انك تجهل منزلتى فى الحرب ومقدار ما طبعت عليه من الجرأة والبأس ومن ثم تلومنى على ما أنا مقدم عليه لظنك بى العجز عن بلوغه

ذَكَرْتَ جَسِيمَ ما طَابَى وأَنَّا نُخَاطِرُ فِيهِ بِالمُهَجِ الجِسَامِ (١)
أَمِثْلِى تَأْخُذُ النَّكَبَاتُ مِنْهُ وَيَجْزَعُ مِنْ مُلَاقَاةِ الحِمَامِ (٢)
وَلَوْ بَرَزَ الزَّمَانُ إِلَىَّ شَخْصاً لَخَضَّبَ شَعْرَ مَفْرِقِهِ حُسَامِى (٣)
وَمَا بَلَغَتْ مَشِيئَتَهَا اللَّيَالِى وَلَا سَارَتْ وَفِى يَدِهَا زِمَامِى (٤)
إِذَا امْتَلَأَتْ عُيُونُ الخَيْلِ مِنِّى فَوَيْلٌ فِى التَّيَقُّظِ والمَنَامِ (٥)

وقال له بعض بنى كلاب أَشْرَبُ هذه الكأس سروراً بك فقال

إِذَا مَا شَرِبْتَ الخَمْرَ صِرْفاً مُهَنَّأً شَرِبْنَا الَّذِى مِنْ مِثْلِهِ شَرِبَ الكَرْمُ (٦)

(١) الجسيم العظيم وما زائدة كقوله تعالى فبما رحمة من الله . والمهج الأرواح . يقول : عاتبتنى على محاولة الأمر العظيم ومخاطرتنا فيه بالأرواح العظيمة

(٢) النكبات الشدائد تنكب الانسان . والجزع نقيض الصبر . والحمام الموت . يقول : مثلى لاتنال منه النكبات ولا تصيبه إما لأنه حازم يدفعها بحزمه عن نفسه واما لأنه صابر عليها فليست تؤثر فيه (٣) المفرق وسط الرأس . والحسام السيف القاطع . يقول : ان الزمان الذى هو محل النكبات والنوائب لو كان شخصا ثم برز الى محاربا لخضب شعر رأسه سيفى (٤) يقول : ان الزمان لم يبلغ مراده منى ومن تغيير حالى وتوهين أمرى ، وما انقدت له انقياد من يعطى زمامه فيقاد به ، وهذا كما يقوله البحترى

لَعَمْرُ أَبِى الأَيَّامِ مَا جَارَ صَرْفُهَا عَلَىَّ وَلَا أَعْطَيْتُهَا ثِنْيَ مِقْوَدِى

(٥) عيون الخيل يريد عيون أصحاب الخيل وقوله فويل يريد فويل لهم . يقول : اذا امتلأت عيون أرباب الخيل من منظرى فويل لهم فى الحالتين لأنهم يخافوننى أشد الخوف فلا يكون لهم أمن فى اليقظة ولا لذة ولا راحة فى منامهم

(٦) صرفا أى خالصة غير ممزوجة . والذى من مثله شرب الكرم هو الماء . يريد أن شرابه الماء لا الخمر

أَلاَ حَبَّذَا قَوْمٌ نَدَامَاهُمُ الْقَنَا يُسَقُّونَهَا رِيًّا وساقِيهِمِ الْعَزْمُ (١)

وقال وقد مد له انسان يده بكأس وحلف بالطلاق ليشربنها

وَأُخٍ لَنا بَعَثَ الطَّلاَقَ أَلِيَّةً لَأُعَلِّلَنَّ بِهَذِهِ الْخُرْطُومِ (٢)

فَجَعَلْتُ رَدِّي عِرْسَهُ كَفَّارَةً عَنْ شُرْبِهَا وشَرِبْتُ غَيْرَ أَثِيمِ (٣)

وقال يمدح الحسين بن اسحق التنوخي

مَلاَمِي النَّوَى فِي ظُلْمِهَا غَايَةَ الظُّلْمِ لَعَلَّ بِهَا مِثْلَ الَّذِي بِي مِنَ السُّقْمِ (٤)

فَلَوْ لَمْ تَغَرْ لَمْ تَزْوِ عَنِّي لِقَاءَكُمْ وَلَوْ لَمْ تُرِدْكُمْ لَمْ تَكُنْ فِيكُمُ خَصْمِي (٥)

(١) يقول : حبذا الأبطال الذين يقاتلون بالرماح ويلازمونها ملازمة النديم للنديم ، أى كأنها نداماهم لأنهم لا يخلون من صحبتها ويسقونها ما يرويها من الدماء فهم سقاة رماحهم وعزمهم على الحرب يسقيهم دماء الأعداء (٢) الألية اليمين . ولأعللن من العلل وهو السقى مرة بعد أخرى . والخرطوم من أسماء الخمر قيل لأنها اذا بزل الدن انصبت فى صورة الخرطوم وقيل سميت بذلك لأخذها بخراطم شرابها كما قيل

وَلَقَدْ شَرِبْتُ الْخَمْرَ حَتَى خِلْتُهَا أَفْعَى تَكِشُّ عَلَى طَرِيقِ الْمُنْخَرِ

«كشيش الأفعى صوت تخرجه من فيها وقيل صوتها من جلدها لا من فمها فان ذلك فحيحها» (٣) العرس الزوجة . يقول : ان هذا الاخ حلف أن أشرب والا فامرأته طالق فجعلت ردى امرأته وابقاءها عليه كفارة عن شرب الخمر وشربتها غير آثم إذ كان قصدى بالشرب بقاء الزوجية بينهما (٤) النوى البعد وهى مؤنثة . يقول : ان لومى الفراق فى تفريقه بيننا وظلمه ايانا بالبعد غاية الظلم منا فلعله يعشقها كعشقى اياها فلذلك يختارها لنفسه ويحول بينى وبينها وقد حقق هذا المعنى فى البيت التالى وهذا كما قال محمد بن وهيب

وَحَارَبَنِي فِيهِ رَيْبُ الزَّمَانِ كَأَنَّ الزَّمَانَ لَهُ عَاشِقُ

وقال البحترى

قَدْ بَيَّنَ الْبَيْنُ الْمُفَرِّقُ بَيْنَنَا عِشْقَ النَّوَى لِرَبِيبِ ذَاكَ الرَّبْرَبِ

(٥) زواه نحاه وأبعده . يقول : لو كانت النوى لا تغار علينا لما منعت عنى لقاءكم وطوته عنى ولما خاصمتنى بسببكم

أَمُنْعِمَةٌ بِالْعَوْدَةِ الظَّبْيَةُ الَّتِي بِغَيرِ وَلِيٍّ كانَ نَائِلُهَا الْوَسْمِي (١)
تَرَشَّفْتُ فاهَا سُحْرَةً فَكَأَنَّنِي تَرَشَّفْتُ حَرَّ الْوَجْدِ مِنْ بَارِدِ الظَّلْمِ (٢)

(١) الوسمى اول مطر فى السنة وأراد به أول مابدأت به من الوصال والولى المطر الثانى وأراد به ما بعد ذلك من الوصل . والنائل العطاء وأراد به وصالها . يقول : انها بدأت بوصل ثم لم تعد إليه فليتهاأنعمت على برجوعها إلى الوصل مرة أخرى . وهذا منقول من قول ذى الرمة

لِيَ وَلِيَةً تُمْرِعْ جَنَابِى فإِنَّنِى لِمَا نِلتُ مِنْ وَسْمِيِّ نُعْمَاكَ شَاكِرُ

« لى أمر من الولى أى أمطرنى ولية منك أى معروفا بعد معروف » والمعنى من قول بشار

قَدْ زُرْتِنِى زَوْرَةً فِى الدَهْرِ واحِدَةً ثَنِّى ولا تجعليها بيضةَ الدِيكِ

هذا ولك أن تجعل منعمة خبرا مقدما والظبية مبتدا مؤخرا أو تجعل الظبية فاعلا لمنعمة سدت مسد خبرها على جعلها مبتدا بعد الاستفهام (٢) الترشف المص . والسحرة السحر . والظلم ماء الأسنان وبريقها . وانما خص السحرة لأن الأفواه تتغير عند ذلك واذا كانت طيبة النكهة في آخر الليل كان أمدح لها ألا ترى إلى قول امرىء القيس

كَأَنَّ الْمُدَامَ وَصَوْبَ الغَمَامِ وَرِيحَ الْخُزَامَى وَنَشْرَ الْقُطُرْ
يُعَلُّ بِهِ بَرْدُ أَنيَابِهَا إِذَا طَرَّبَ الطَّائِرُ الْمُسْتَحِرْ

وقال الحارثى

كَأَنَّ بِفِيهَا قَهْوَةً بَابِلِيَّةً بِمَاءِ سَمَاءٍ بَعْدَ وَهْنٍ مِزَاجُهَا

والعاشق إذا مص ريق معشوقه زادت نار حبه تلهبا لذلك قال

* تَرَشَّفتُ حَرَّ الوَجْدِ مِنْ بَارِدِ الظَلمِ *

ولله ابن الرومى حين بسط هذا المعنى فى هذه الابيات البديعة

أُعَانِقُهَا وَالنفْسُ بَعْدُ مَشُوقَةٌ إِلَيْهَا وَهَلْ بَعْدَ الْعِنَاقِ تَدَانِ
وَأَلْثِمُ فَاهَا كَيْ تَزُولَ حَرَارَتِى فَيَشْتَدُّ مَا أَلْقَى مِنَ الْهِيَمَانِ
وَمَا كَانَ مِقْدَارُ الَّذِى بِى مِنَ الْجَوَى لِيَشْفِيَهُ مَا تَرْشُفُ الشَّفَتَانِ

فَتَاةٌ تَسَاوَى عِقْدُهَا وَكَلَامُهَا وَمَبْسِمُهَا الدُّرِّيُّ فِي الْحُسْنِ وَالنَّظْمِ (١)
وَنَكْهَتُهَا وَالْمَنْدَلِيُّ وَقَرْقَفٌ مُعَتَّقَةٌ صَهْبَاءُ فِي الرِّيحِ وَالطَّعْمِ (٢)
جَفَتْنِي كَأَنِّي لَسْتُ أَنْطِقُ قَوْمَهَا وَأُطْعَنُهُمْ وَالشُّهْبُ فِي صُورَةِ الدُّهْمِ (٣)

كَأَنَّ فُؤَادِي لَيْسَ يَشْفِي غَلِيلُهُ سِوَى أَنْ يُرَى الرُّوحَانِ يَمْتَزِجَانِ

(١) يقول : أن كلا من قلادتها ونطقها وثغرها الذى تبسم عنه سواء فى الحسن والنظم فهى درية العقد والكلام والثغر ، وهذا معنى متداول قال البحترى

فَمِنْ لُؤْلُؤٍ تُبْدِيهِ عِنْدَ ابْتِسَامِهَا وَمِنْ لُؤْلُؤٍ عِنْدَ الْحَدِيثِ تُسَاقِطُهُ

فذكر شيئين ، وقال المؤمل بن اميل

وَإِنْ نَطَقَتْ دُرٌّ فَدُرٌّ كَلَامُهَا وَكَمْ أَرَ دُرًّا قَبْلَهَا يَنْظِمُ الدُّرَّا

فذكر شيأ واحدا وأخذ أبو المطاع بن ناصر الدولة هذا المعنى فقال

وَمُفَارِقٍ نَفْسِي الْفِدَاءُ لِنَفْسِهِ وَدَّعْتُ صَبْرِي عَنْهُ فِي تَوْدِيعِهِ
وَرَأَيْتُ مِنْهُ مِثْلَ لُؤْلُؤِ عِقْدِهِ مِنْ ثَغْرِهِ وَحَدِيثِهِ وَدُمُوعِهِ

فزاد ذكر الدمع على المتنبى (٢) النكهة رائحة الفم والمندلى العود الذى يتبخر به نسبة إلى مندل موضع بالهند . والقرقف من أسماء الخمر وكذلك الصهباء وهذه الأشياء معطوفة على فاعل تساوى فى البيت السابق . يقول : استوت منها هذه الأشياء فى طيب الرائحة والذوق . قال الواحدى : وانما يستوى فى الذوق شيئان النكهة والخمر لأن العود مر المذاق ولكنه جمع بينها فى الريح وأراد فى الطعم شيئين ، ثم النكهة أيضا لاطعم لها لأنها رائحة الفم واستقام الكلام إلى ذكر الريح ثم احتاج إلى القافية وإلى إقامة الوزن فذكر الطعم فأفسد لاختلاف ما ذكره فى الطعم قال العكبرى وليس كما ذكر — أى الواحدى — لأنه — المتنبى — قال استوت نكهتها والمندلى وقرقف فلما وصف القرقف احتاج أن يقول فى الريح والطعم ولم يرد سوى الخمر فى الطعم

(٣) الشهب من الخيل التى فى لونها بياض قد غلب على السواد والدهم السود . يقول : جفتنى بهجرها كأنى لست الأفصح الأشجع من عشيرتها وانما قال هذا لان نساء العرب يملن إلى الشجاع الفصيح ألا ترى إلى قول العنبرى لما رأته امرأته يطعن فلزدرته

تَقُولُ وَصَكَّتْ وَجْهَهَا بِيَمِينِهَا أَبَعْلِي هَذَا بِالرَّحَى الْمُتَقَاعِسُ

يُحَاذِرُنِي حَتْفِي كَأَنِّيَ حَتْفُهُ وَتَنْكُزُنِي الْأَفْعَى فَيَقْتُلُهَا سُمِّي (١)

طِوَالُ الرُّدَيْنِيَّاتِ يَقْصِفُهَا دَمِي وَبِيضُ السُّرَيْجِيَّاتِ يَقْطَعُهَا لَحْمِي (٢)

بَرَتْنِي السُّرَى بَرْيَ الْمُدَى فَرَدَدْتَنِي

أَخَفُّ عَلَى الْمَرْكُوبِ مِنْ نَفَسِي جِرْمِي (٣)

فَقُلْتُ لَهَا لَا تَعْجَلِي وَتَبَيَّنِي بَلَائِي إِذَا الْتَفَّتْ عَلَيَّ الْفَوَارِسُ

فذكر لها شجاعته وحسن بلائه عند الحرب لترغب فيه ، فذكر أبو الطيب أن هذه ناقضة عادة أمثالها بجفائه ، وقوله والشهب فى صورة الدهم يريد اذا رؤيت الخيل الشهب سوداء لتلطخها بالدماء وجفافها عليها كما قال النابغة الجعدى

وَتُنْكِرُ يَوْمَ الرَّوْعِ أَلْوَانَ خَيْلِنَا مِنَ الطَّعْنِ حَتَّى تَحْسَبَ الْجَوْنَ أَشْقَرَا

(١) الحتف الهلاك . ونكزته الحية لسعته بأنفها فاذا عضته بنابها قيل نشطته قال الواحدى : الحتف لا يتصور منه الحذر وانما يريد أن قرنى الذى منه حتفى لو قاتلنى لحذرنى كأنى حتفه أى كانى أقتله يقينا وأغلبه فهو يحذرنى حذر من تيقن هلاكه من جهة إنسان، ويحتمل أن يكون هذا مجازا ومبالغة فى وصف شجاعته، وقوله وتنكزنى الأفعى أى يتعرض لى أعدى أعدائى فأهلكه وقد جعل أعداءه قسمين حاذرا يحاذره ومتعرضا له يهلكه المتنبى ولما سمى عدوه أفعى سمى قوة نفسه وشجاعته سما لشدة تأثيره فى عدوه (٢) الردينيات الرماح نسبة إلى ردينة امرأة كانت تقوم الرماح والسريجيات السيوف نسبة إلى قين اسمه سريج يقول : إن الرماح تتقصف قبل الوصول الى إراقة دمى والسيوف تتقطع قبل أن تقطع لحمى ، فجعل دمه يقصفها لما كان السبب فى قصفها وكذلك لحمه والفعل قد ينسب إلى من كان سببا فيه ، قال التبريزى : أى أنا من نفسى وعشيرتى فى منعة فاذا أصابنى طعن كبر الطعن فى طلب ثأرى حتى تتقصف الرماح وإذا ضربت تتكسر السيوف حتى يدرك ثأرى

(٣) السرى جمع سرية ومن ثم أنثها وقال برتنى وهى سير الليل والمدى جمع مدية وهى السكين : وجرمى أى جسدى مبتدأ مؤخر خبره أخف والجملة حال من الضمير فى رددتنى وهذا على رواية أخف بالرفع وتروى منصوبة فتكون حالا وجرمى بدلا من الياء فى رددتنى وإنما أبدل جرمى من الضمير لاثبات الوزن وإقامة القافية وإلا فقد

وَأَبْصَرَ مِنْ زَرْقَاءِ جَوٍّ لِأَنَّنِي ... إِذَا نَظَرَتْ عَيْنَايَ سَاوَاهُمَا عِلْمِي (١)

كَأَنِّي دَحَوْتُ الأَرْضَ مِنْ خِبْرَتِي بِهَا

كَأَنِّي بَنَى الإِسْكَنْدَرُ السَّدَّ مِنْ عَزْمِي (٢)

لِأَلْقَى ابْنَ إِسْحَاقَ الَّذِي دَقَّ فَهْمُهُ ... فَأَبْدَعَ حَتَّى جَلَّ عَنْ دِقَّةِ الْفَهْمِ (٣)

وَأَسْمَعَ مِنْ أَلْفَاظِهِ اللُّغَةَ الَّتِي ... يَلَذُّ بِهَا سَمْعِي وَلَوْ ضُمِّنَتْ شَتْمِي (٤)

م المعنى دونه يقول : أذهبت السرى لحمى فجعلتنى فى خفى على المركوب كنفسى الذى يخرج من فمى (١) نصب أبصر عطفا على موضع الجملة في البيت السابق فى رواية من رفع أو على لفظ أخف فى رواية من نصب . وجو قصبة اليمامة وزرقاء اسم امرأة من أهل جو حديدة البصر تدرك ببصرها الشيء البعيد فضربت العرب بها المثل فقالوا أبصر من زرقاء اليمامة . فضل نفسه على زرقاء اليمامة فقال إذا نظرت عيناى ساواهما علمى أى أنهما لايسبقان علمى فاذا رأيت الشيء ببصرى علمته بقلبى وروى ابن جنى شأواهما علمى والشأو الأمد والغاية يقول : إذا نظرت عيناى فغايتاهما أن تعرف ماعلمته بقلبى يعنى أنه عارف بأعقاب الأمور ويروى شاءهما أى سبقهما مقلوب شأى ويروى أيضا سأواهما علمى والسأو الهمة أى همة عينى أن تريا ماعرفت (٢) الدحو البسط والاسكندرهو ذو القرنين الذى بنى السد بين يأجوج ومأجوج وبين سائر البلاد كما جاء فى القرآن الكريم وليس هذا موضع تبيين حقيقة هذا السد وهل ذو القرنين هذا هو الاسكندر المقدونى أوخلافه ، يصف المتنبى كثرة أسفاره فى الارض وتقلبه فى البلاد حتى عرف الارض كلها وحتى كأنه بسطها لعلمه بها ويذكر قوة عزمه على الامور حتى كأن الاسكندر بنى السد من عزمه (٣) لألقى متصلة بقوله برتنى السرى . وأبدع أى جاء بالأمور البديعة المبتكرة التى لم يسبق لها مثال يقول : تكلفت المشاق وكابدت شدائد الأسفار لألقى الممدوح المذكور الذى دق فهمه وأبدع فى دقة الفهم حتى صار أعظم من أن يوصف بدقة الفهم فيقال أنه عالم بالغيب ، أو تقول حتى صار أعظم من أن تدركه الأفهام الدقيقة (٤) يلذ بها يروى يلذ لها . ويقال لذذت الشيء ولذذت به أى استلذذته وقوله ولو ضمنت يروى وإن ضمنت يقول : إنه صحيح اللفظ مستحلى الكلام يلتذ السمع بكلامه ولو كان شتما لصحته وعذوبته

يَمِينُ بَنِى قَحْطَانَ رَأْسُ قُضَاعَةٍ ... وَعِرْنِينُهَا بَدْرُ النُّجُومِ بَنِى فَهْمِ (١)

إِذَا بَيَّتَ الأَعْدَاءَ كَانَ اسْتِمَاعُهُمْ ... صَرِيرَ الْعَوَالِى قَبْلَ قَعْقَعَةِ اللُّجْمِ (٢)

مُذِلُّ الأَعِزَّاءِ الْمُعِزُّ وَإِنْ يَئِنْ ... بِهِ يُتْمُهُمْ فَالْمُوتِمُ الْجَابِرُ الْيُتْمِ (٣)

وَإِنْ تُمْسِ دَاءٌ فِى الْقُلُوبِ قَنَاتُهُ ... فَمُمْسِكُهَا مِنْهُ الشِّفَاءُ مِنَ الْعُدْمِ (٤)

مُقَلَّدُ طَاغِى الشَّفْرَتَيْنِ مُحَكِّمٍ ... عَلَى الْهَامِ إِلاَّ أَنَّهُ جَائِرُ الْحُكْمِ (٥)

---

(١) قحطان أبو قبائل اليمن وقضاعة قبيلة منه وبنو فهم حى من قضاعة وهم رهط الممدوح والعرنين فى الاصل ماتحت ملتقى الحاجبين من الأنف يقول : إنه فى هؤلاء كاليمين من الجسد وفى هؤلاء كالرأس والعرنين أى أنه رئيسهم وبه عزهم، والعرنين يجعل مثلا فى العز وكذلك الأنف، وجعله كالبدر فى بنى فهم الذين هم كالنجوم

(٢) بيت الاعداء طرقهم ليلا . والصرير والقعقعة من مرادفان الصوت والعوالى الرماح يقول : إذا وافى أعداءه ليلا أخفى تدبيره ومكره وتحفظ من قبل أن يفطن له فياخذهم على غفلة حتى يسمع صرير رماحه بين ضلوعهم قبل أن يسمعوا أصوات اللجم متحركة فى أحناك خيله ، وحاصل المعنى أنه يهجم عليهم فلا يشعرون به إلا وقد طعنهم برماحه لاسراعه ولطف تدبيره (٣) يئن أى يحنى مضارع آن يئين وقوله به أى على يديه والموتم اسم فاعل من أيتم يقول : هو مذل الاعزاء ومعز الاذلاء يرفع قوما ويضع آخرين ثم قال وإن حان يتمهم أى يتم الاعزاء فهو الموتم وهو فى الوقت عينه الجابر اليتم يعنى أنه يقتل الآباء ثم يحسن الى أبنائهم الايتام ويكفلهم بنعمته (٤) القناة الرمح ويريد بمسكها نفسه ومن روى فمسكها بفتح السين أراد موضع الامساك وهو الكف مثل المدخل والمخرج . والعدم الفقر يقول : إن أدوى قلوب المطعونين بقناته فان الذى أمسكها هو الذى يشفى من الفقر بعطائه وقد قابل بين الداء والشفاء (٥) الطاغى الجائر الذى يتجاوز الحد. وشفرتا السيف حداه. والهام الرؤوس يصف سيفه يقول : هو مقلد سيفا جائر الشفرتين لكثرة مايقتل محكما على رءوس الاعداء جائرا فى حكمه لانه يحكم بقتلهم جميعا ولا يبقى منهم أحدا

تَحَرَّجَ عَنْ حَقْنِ الدِّمَاءِ كَأَنَّهُ يَرَى قَتْلَ نَفْسٍ تَرْكَ رَأْسٍ عَلَى جِسْمِ (١)

وَجَدْنَا ابْنَ إِسْحَاقَ الْحُسَيْنَ كَجَدِّهِ عَلَى كَثْرَةِ الْقَتْلَى بَرِيئًا مِنَ الْإِثْمِ (٢)

مَعَ الْحَزْمِ حَتَّى لَوْ تَعَمَّدَ تَرْكَهُ لَأَلْحَقَهُ تَضْيِيعُهُ الْحَزْمَ بِالْحَزْمِ (٣)

وَفِي الْحَرْبِ حَتَّى لَوْ أَرَادَ تَأَخُّرًا لَأَخَّرَهُ الطَّبْعُ الْكَرِيمُ إِلَى الْقُدْمِ (٤)

لَهُ رَحْمَةٌ تُحْيِي الْعِظَامَ وَغَضْبَةٌ بِهَا فَضْلَةٌ لِلْجُرْمِ عَنْ صَاحِبِ الْجُرْمِ (٥)

---

(١) تحرج عن الشيء كف عنه وأمسك تأثما . وحقن الدماء حفظها وتركها فى أبدانها . يقول : انه يريق دماء أعدائه ولا يبقى عليها فكأنه يرى ترك رأس من رؤس أعدائه على جسمه قتل نفس لا يحل له قتلها ؛ أى يتحرج من هذا كما يتحرج من ذاك (٢) قال الواحدى : لما وصفه بكثرة القتل ذكر أنه لايقتل إلامن يستحق القتل كجده — وكان غازيا يقتل الكفار فكان بريئا من إثم القتل على كثرة ماله من القتلى ، وروى ابن جنى كجده بالجاء وقال أى كحد هذا السيف ، كثير القتل ولا إثم عليه لأنه لايضع الشيء فى غير موضعه كما أن حد السيف كثير القتل وهو غير آثم كما قال أبو تمام

إِنْ أَجْرَمَتْ لَمْ تَنَصَّلَ مِنْ جَرَائِمِهَا وَإِنْ أَسَاءَتْ إِلَى الْأَقْوَامِ لَمْ تُلَمِ

(٣) مع الحزم متعلق بقوله وجدنا . والحزم ضبط الانسان أمره والأخذ فيه بالثقة يقول : وجدناه ملازما للحزم حتى لوتعمد تركه لم يعد مع تركه إلا حازما لأن الحزم ملازم له والمعنى أنه لاستيلاء الحزم عليه يلحقه تركه إياه بفعله حتى لو أراد ترك الحزم لم يمكنه وفى هذا نظر الى قول أبى تمام

تَعَوَّدَ بَسْطَ الْكَفِّ حَتَّى لَوَ انَّهُ ثَنَاهَا لِقَبْضٍ لَمْ تُجِبْهُ أَنَامِلُهُ

ولك أن تقول أن المعنى : أنه لو تعمد ترك ما هو حزم فى بادئ الرأى لم يكن تركه إلا لأمر يقتضيه الحزم لأنه يرى مالايراه غيره ولايضع الاشياء فى غير مواضعها

(٤) فى الحرب عطف على مع الحزم . والقدم التقدم . يقول : هو صاحب الحرب وفى الحرب أبدا حتى لو أراد تأخراً لكان تأخره تقدما اذ ليس عنده إلا التقدم ، والمعنى لأخره الطبع الكريم عن التأخر الى التقدم (٥) يقول : بلغت رحمته الى حد أنها تكاد تحيى العظام وهى رميم . قال الواحدى أى فضلت عن الاحياء إلى الاموات

وَرِقَّةُ وَجْهٍ لَوْ خَتَمْتَ بِنَظْرَةٍ ... على وَجْنَتَيْهِ مَا انْمَحَى أَثَرُ الْخَتْمِ (١)

أَذَاقَ الْغَوَانِي حُسْنُهُ مَا أَذَقْنَنِي ... وَعَفَّ فَجَازَاهُنَّ عَنِّي عَلَى الصَّرْمِ (٢)

فِدًى مَنْ على الْغَبْرَاءِ أَوَّلُهُمْ أَنَا ... لِهَذَا الْأَبِيِّ الْمَاجِدِ الْجَائِدِ الْقَرْمِ (٣)

لَقَدْ حَالَ بَيْنَ الْجِنِّ وَالْأَمْنِ سَيْفُهُ ... فَالظَّنُّ بَعْدَ الْجِنِّ بِالْعُرْبِ وَالْعُجْمِ (٤)

وَأَرْهَبَ حَتَّى لَوْ تَأَمَّلَ دِرْعَهُ ... جَرَتْ جَزَعًا مِنْ غَيْرِ نَارٍ وَلَا فَحْمِ (٥)

وَجَادَ فَلَوْلَا جُودُهُ غَيْرَ شَارِبٍ ... لَقِيلَ كَرِيمٌ هَيَّجَتْهُ ابْنَةُ الْكَرْمِ (٦)

وغضبه فضل عن صاحب الجرم فضلة هى للجرم ، يعنى أنه يفنى بغضبه المجرم وتبقى من غضبه فضلة تفنى الجرم الذى اجترمه أيضا بمعنى أنه بعد تنكيله بالمجرم لا يجترئ أحد أن يأتى مثل جرمه خوفا من غضبه فغضبه يفنى المجرم وجرمه (١) رقة الوجه كناية عن الحياء وكرم الاخلاق . يقول : هو رقيق الوجه حياء وكرما فلو نظرت اليه لظهر على وجهه أثر نظرك كأثر الختم ثم لايذهب ذلك الاثر ولا ينمحى

(٢) الغوانى جمع غانية وهي الشابة التى غنيت بجمالها عن الحلى وقيل التى غنيت بزوجها عن الرجال وقيل التى غنيت ببيت ابويها فلم يقع عليها سباء . واسكن الغوانى ضرورة لانها مفعول أذاق . والصرم الهجر والمقاطعة . يقول : أنه لحسنه تعشقه النساء ولكنه يعف عنهن ولا يواصلهن فكان ذلك منه جزاء لهن على مصارمتهن اياى

(٣) الغبراء الارض . والأبى بمعنى الآبى وهو الذى يأبى الدنايا . والجائد الفاعل من جاد يجود . والقرم السيد وأصله الفحل من الابل يترك للفحلة ولا يحمل عليه . يقول : يفدى هذا الممدوح كل من على الارض وأولهم أنا لانه سيدهم

(٤) حال اعترض . يقول : لقد أخاف سيفه الجن حتى حال بينهم وبين أن يأمنوه فما ظنك بالانس بعد خوف الجن (٥) أرهب أخاف والجزع نفاد الصبر من شدة الخوف . يقول : أخاف كل أحد حتى لو نظر بهيبته إلى درعه لذابت جزعا من خوفه وجرت مجرى الماء . وهذا من قول الآخر

لَوْ صَالَ مِنْ غَضَبٍ أَبُو دُلَفٍ عَلَى ... بِيضِ السُّيُوفِ لَذُبْنَ فِي الْأَغْمَادِ

(٦) غير شارب حال . وابنة الكرم الخمر . يقول . جاد بالاموال فأكثر وتخرق فى الكرم فلولا أننا رأيناه صاحيا لقلنا كريم هيجته الخمر فحركته الى الجود

أَطْعَمْنَاكَ طَوْعَ الدَّهْرِ يَا ابْنَ ابْنِ يُوسُفَ بِشَهْوَتِنَا وَالْحَاسِدُونَ لَكَ بِالرُّغْمِ (١)
وَثِقْنَا بِأَنْ تُعْطِي فَلَوْ لَمْ تَجُدْ لَنَا لَخِلْنَاكَ قَدْ أَعْطَيْتَ مِنْ قُوَّةِ الْوَهْمِ (٢)
دُعِيتُ بِتَقْرِيظِيكَ فِي كُلِّ مَجْلِسٍ
وَظَنَّ الَّذِي يَدْعُو ثَنَائِي عَلَيْكَ اسْمِي (٣)

وابتعثته عليه ، وقد جانس بين الكريم والكرم ، وهذا من قول البحترى

صَحَا وَاهْتَزَّ لِلْمَعْرُو فِ حَتَّى قِيلَ نَشْوَانُ

(١) طوع الدهر لك أن تجعل المصدر مضافا الى الفاعل فيكون المعنى أطعناك كما أطاعك الدهر ولك أن تجعله مضافا الى المفعول فيكون المعنى : أطعناك غاية الطاعة شهوة منا لطاعتك كما نطيع الدهر — ولا ينفك أحد من طاعة الدهر — وأطاعك حاسدوك على الرغم منهم خوفا منك ، هذا وقوله والحاسدو لك أراد والحاسدون فحذف النون لانه شبهه بالفعل كأنه قال والذين حسدوك ومثل هذا كثير قال عبيد

وَلَقَدْ يَغْنَى بِهِ جِيرَانُكَ الْـ مُمْسِكُونَكَ بِأَسْبَابِ الْوِصَالِ

أراد الممسكون ، وأنشد جميع النحويين

الْحَافِظُو عَوْرَةَ الْعَشِيرَةِ لَا يَأْتِيهِمِ مِنْ وَرَائِهِمْ وَكَفُ

أراد الحافظون ولذلك نصب عورة ، وقرأ بعض القراء والمقيمى الصلاة بنصب الصلاة ، وارتفع الحاسدو بالعطف على الضمير فى أطعناك وحسن العطف على الضمير المرفوع وإن لم يؤكد لطول الكلام

(٢) خلناك حسبناك والوهم تخيل الشيء وتمثله كان فى الوجود أولم يكن وقال الجوهرى وهمت فى الشيء بالفتح أهم وهما اذا ذهب وهمك اليه وأنت تريد غيره وتوهمت أى ظننت ووهم بكسر الهاء غلط وسها . يقول: وثقنا بأنك تعطينا لما تحققناه من جودك فلولم تعطنا لظناك قد أعطيتنا (٣) التقريظ المدح . وقوله الذى يدعو أراد يدعونى فحذف المفعول يقول : لكثرة مدحى إياك دعيت مادحك وشاعرك والذى يدعونى يظن أن اسمى ثنائى عليك فيقول يامثنى فلان — يامادح فلان — وهذا هو قول الواحدى وقال ابن جنى : أنا أمدحك بالشعر فيقول الناس هذا شاعر الامير فاشتق لى من مدحك اسم ، وهذا المعنى من قول الناس من أكثر من شيء عرف به وقد قال جعفر ابن كثير لجميل قد ملأت البلاد بذكر بثينة وصار اسمها لك نسبا ، وقد نقل المتنبى هذا من قول البحترى

وَأَطْمَعْتَنِى فى نَيْلِ مَالاَ أَنَالُهُ بِمَانِلْتُ حتى صِرْتُ أَطْمَعُ فى النَّجْمِ (١)

إِذَا مَا ضَرَبْتَ الْقِرْنَ ثُمَّ أَجَزْتَنِى فَكُلُّ ذَهَبَالِى مَرَّةً مِنْهُ بِالْكَلْمِ (٢)

أَبَتْ لَكَ ذَمِّى نَخْوَةٌ يَمَنِيَّةٌ وَنَفْسٌ بِهَا فى مَأْزِقٍ أَبَدًا تَرْمِى (٣)

فَكَمْ قَائِلٍ لَوْ كَانَ ذَا الشَّخْصُ نَفْسَهُ لَكَانَ قَرَاهُ مَكْمَنَ الْعَسْكَرِ الدَّهْمِ (٤)

وَقَائِلَةٍ وَالأَرْضَ أَعْنِى تَعَجُّبًا عَلَى امْرُؤٌ يَمْشِى بِوَقْرِى مِنَ الْحِلْمِ (٥)

وَمَا أَنَا إِلاَّ عَبْدُ نِعْمَتِكَ التِى نُسِبْتُ إِلَيْهَا دُونَ رَهْطِى وَمَنْصِبِى

(١) يقول : قد نلت بجودك كل ما أردت ولما أدركت ذلك طمعت فيما لا ينال لأن من نال ما أراد طمع فيما وراءه مما لا يناله ولم يزل بى هذا الطمع حتى صرت أطمع فى إدراك النجوم حتى أنالها كما قال البحترى

لِمْ لا أَمُدُّ يَدِى حَتَّى أَنَالَ بِهَا زُهْرَ النُّجُومِ إِذَا مَا كُنْتَ لِى عَضُدًا

(٢) القرن الكفء فى الحرب . وأجزتنى أعطيتنى جائزة وهى العطاء . والكلم الجرح . يقول : اذا أردت أن تعطينى وقدضربت أحد أقرانك فى الوغى فاجعل عطائى ملء جرحه ذهبا فان ذلك يكون كثيرا ،يريد أنه واسع الضربة رحيب الجرح

(٣) يمنية تروى عربية والنخوة الكبر يريد ترفعه عن الدنايا وعما يورثه عيباً والمأزق المضيق والمراد به ساحة الحرب يقول : ترفعك عن النقائص ونفسك التى ترمى بها أبدا فى مآزق الحرب يأبيان ذمى لك ، أى لاموضع للذم فيك لأنك مترفع عن كل مايزرى بك لأنك كريم شجاع (٤) القرى الظهر . والمكمن المخبأ . والدهم الكثير يقول : كم من قائل يقول لو كان جسمه على قدر نفسه وهمته لاختفى وراء ظهره الجيش العظيم (٥) وقائلة أى ورب قائلة . والارض منصوب بأعنى وتعجبا مفعول له أو حال ولك أن تجعله مفعولا مطلقا لفعل محذوف أى أتعجب تعجبا وعلى امرؤ مبتدأ وخبر وقوله بوقرى أى بمثل وقرى أى ثقلى : يصف رزانته وثقل حلمه يقول : ان الارض تقول تعجبت تعجبا يمشى على امرؤ ثقيل حلمه كثقلى

عَظُمْتَ فَلَمَّا لَمْ تُكَلَّمْ مَهَابَةً
تَوَاضَعْتَ وَهْوَ الْعُظْمُ عُظْمًا عَنِ الْعُظْمِ (١)

وقال يمدح على بن ابراهيم التنوخى

أَحَقُّ عَافٍ بِدَمْعِكَ الْهِمَمُ أَحْدَثُ شَيْءٍ عَهْدًا بِهَا الْقِدَمُ (٢)
وَإِنَّمَا النَّاسُ بِالْمُلُوكِ وَمَا يُفْلِحُ عُرْبٌ مُلُوكُهَا عَجَمُ (٣)
لَا أَدَبٌ عِنْدَهُمْ وَلَا حَسَبٌ وَلَا عُهُودٌ لَهُمْ وَلَا ذِمَمُ (٤)
بِكُلِّ أَرْضٍ وَطِئْتُهَا أُمَمٌ تُرْعَى بِعَبْدٍ كَأَنَّهَا غَنَمُ (٥)
يَسْتَخْشِنُ الْخَزَّ حِينَ يَلْمُسُهُ وَكَانَ يُبْرَى بِظُفْرِهِ الْقَلَمُ (٦)

(١) الضمير من وهو العظم يرجع إلى التواضع المفهوم من قوله تواضعت والجملة معترضة . وعظما مصدر فى موضع الحال من التاء فى تواضعت . يقول : أنت عظيم القدر والنفس والهمة فلم يكلمك الناس مهابة لك فلما هابوك تواضعت متعظما عن تلك العظمة ، وهذا التواضع والتعظم عن العظمة هو عين العظمة ،لان تواضع الشريف وتعظمه عن شرفه هو الشرف كل الشرف

(٢) العافى الدارس الذاهب من عفت الديار درست والقدم خلاف الحدوث . يقول : أحق عاف بأن يبكى عليه هو همم الكرام التى قد درست وذهبت ، أى أنها أولى بالبكاء من الدمن والاطلال ، ثم قال ان القدم أحدث الاشياء عهدا بها — أى بالهمم — أي أن دروسها قديم واذن لاعهد لأحد بها قال الواحدى لأن المحدثات تتأخر عن القدم واذا كان القدم أحدث الأشياء عهداً بها فلا عهد بها لأحد وهذا كما تقول أحدث الناس عهدا بها آدم دل هذا على أنه لاعهد بها لأحد من الناس

(٣) يقول : ان الناس بالملوك يرتفعون والعرب اذا ملكهم العجم لم يفلحوا لما بينهما من التباين والتنافر واختلاف الطبائع واللغة ثم بين هذا فى البيت التالى

(٤) الحسب ما يعده الانسان من مفاخر ابائه وقيل الحسب الفعال الصالح والذمم جمع ذمة وهى الأمان والعهد (٥) قوله ترعى بعبد يريد عبيد الخلفاء من الأتراك الذين كانوا يؤمرون على الناس (٦) الخز ثياب تعمل من الأبريسم أى الحرير الصرف

إِنِّى وَإِنْ مُتُّ حَاسِدِىَّ فَمَا ... أُنْكِرُ أَنِّى عُقُوبَةٌ لَهُمُ (١)

وَكَيْفَ لاَ يُحْسَدُ امْرُؤٌ عَلَمٌ ... لَهُ عَلَى كُلِّ هَامَةٍ قَدَمُ (٢)

يَهَابُهُ أَبْسَأُ الرِّجَالِ بِهِ ... وَتَتَّقِى حَدَّ سَيْفِهِ الْبُهَمُ (٣)

كَفَانِىَ الذَّمَّ أَنَّنِى رَجُلٌ ... أَكْرَمُ مَالٍ مَلَكْتُهُ الْكَرَمُ (٤)

يَجْنِى الْغِنَى لِلِّئَامِ لَوْ عَقَلُوا ... مَا لَيْسَ يَجْنِى عَلَيْهِمِ الْعَدَمُ (٥)

هُمُ لِأَمْوَالِهِمْ لَسُنَ لَهُمْ ... وَالْعَارُ يَبْقَى وَالْجُرْحُ يَلْتَئِمُ (٦)

لايشوبها قطن ولا كتان (١) يقول : انى وان لمت حسادى لا أنكر أنهم معذورون فى حسدى لأنهم معاقبون بتقدمى عليهم وظهور نقصانهم بزيادة فضلى

(٢) الهامة الرأس وهذا تأكيد لبيان عذرهم فى الحسد . يقول : لم لايحسد من صار كالعلم — الجبل — فى كل فضل ، أى اشتهر وصار كالمشار اليه وعلا الناس كلهم فصارت قدمه فوق الهامات ، يعنى علت درجته درجاتهم ، وقد نظر فى هذا الى قول البحترى

وَاعْذِرْ حَسُودَكَ فِيمَا قَدْ خُصِصْتَ بِهِ ... إِنَّ الْعُلَى حَسَنٌ فِى مِثْلِهَا الْحَسَدُ

(٣) أبسأ الرجال به اى آنسهم به وآلفهم له يقال بسأت بالشىء إذا أذهبت هيبته من قلبك . وتتقى تحذر . والبهم جمع بهمة البطل الذى لايدرى من أين يؤتى من شدة بأسه . يقول : كيف لا يحسد من كان من الهيبة بحيث يهابه أنيسه ومن الشجاعة بحيث تتقيه الأبطال (٤) كفاه الشىء صرفه عنه والكرم نقيض اللؤم يقول : منع عنى الذم أنى رجل كريم أرى ما بى من الكرم أعز شىء أملكه وأصونه ببذل المال دونه وأبخل به بخل غيرى بالمال ، (٥) اللئيم الدنىء الأصل الشحيح النفس نقيض الكريم والعدم بفتح العين والدال وبضم العين وسكون الدال وبضمها الفقر وقلة المال . ويجنى لهم يكسب لهم . يقول : ان غنى اللئيم لو علم يجنى عليه مالا يجنيه الفقر لأن الفقر يقطع عنه الطمع ولا يظهر لؤمه لأنه لايقصد فى حاجة أما الغنى فانه يظهر لؤمه لأن الاطماع تتصل به ولؤمه يمنع من تحقيقها فيتوجه عليه الذم (٦) التأم الجرح التحم . يقول : ان اللئام لو كون لأموالهم لأنهم يتعبون فى سبيل حفظها وجمعها ومنعها وهى كأنها

مَنْ طَلَبَ المَجْدَ فَلْيَكُنْ كَعَلِيٍّ يَهَبُ الأَلْفَ وَهُوَ يَبْتَسِمُ (١)

وَيَطْعَنُ الخَيْلَ كُلَّ نَافِذَةٍ لَيْسَ لَهَا مِنْ وَحَائِهَا أَلَمُ (٢)

وَيَعْرِفُ الأَمْرَ قَبْلَ مَوْقِعِهِ فَمَا لَهُ بَعْدَ فِعْلِهِ نَدَمُ (٣)

تشير عليهم بأن يصونوها ولا يبذلوها فيطيعونها ، وهم لا يملكونها لانهم ليست لهم قدرة على البذل لها ولا أن يكسبوا بها محمدة فى الدنيا أو أجرا ومثوبة فى العقبى فضلا عن أنها صائرة الى الوارث واذن فهم للأموال وليست لهم ، وبهذا يوصف اللئيم المكثر كما قال حاتم الطائى

إذا كان بعضُ المَالِ رباً لأهْلِهِ فَإِنِّى بِحَمْدِ اللهِ مَالِى مُعَبَّدُ

وقال الآخر

ذَرِينِى أَكُنْ لِلمَالِ رباً ولا يَكُنْ لِيَ المَالُ رباً تحمَدِى غِبَّهُ غَدا

وقال أبو نواس

أَنْتَ لِلْمَالِ إِذَا أَمْسَكْتَهُ فإِذَا أَنْفَقْتَهُ فَالمَالُ لَكَ

وقال المخزومى

إِنَّ رَبَّ المَالِ آكِلُهُ وَهْوَ لِلْبَخَّالِ أَكَّالُ

ثم قال ان العار أبقى من الجرح لان جرح السيف يبرأ ويلتئم أما جرح العار فانه يبقى ولا يزول عن صاحبه (١) الكاف من كعلى فى موضع نصب خبر يكن أى مثل على وجملة وهو يبتسم فى موضع الحال وقوله يهب الالف أى من الدنانير

(٢) ويطعن الخيل أى فرسانها وكل نافذة أى كل طعنة نافذة أى تنفذ فى المطعون إلى الجانب الآخر. والوحاء السرعة. يقول : إن مطعونه لا يحس بألم الطعنة لأنها لسرعتها تقتله قبل أن يدرك ألمها. قال ابن جنى : لم توصف الطعنة بوحاء أسرع من هذا وقد قال غيره فى السيف

تَرَى ضَرَبَاتِهِ أَبَدًا خِطَابًا إِلَى أَنْ يَسْتَبِينَ لَهُ قَتِيلُ

(٣) الموقع هاهنا مصدر بمعنى الوقوع يريد أن يقول : إنما يندم من لا يعرف العواقب أما من يعرف الأمر قبل وقوعه فانه لا يندم على فعله لأنه يعلم وجه الصواب

وَالأَمْرُ وَالنَّهْيُ وَالسَّلاَهِبُ وَالـ ... ـبِيضُ لَهُ وَالعَبِيدُ وَالحَشَمُ (١)

وَالسَّطَوَاتُ الَّتِي سَمِعْتَ بِهَا ... تَكَادُ مِنْهَا الجِبَالُ تَنْفَصِمُ (٢)

يُرْعِيكَ سَمْعاً فِيهِ اسْتِمَاعٌ إِلَى الـ ... ـدَاعِي وَفِيهِ عَنِ الخَنَا صَمَمُ (٣)

يُرِيكَ مِنْ خَلْقِهِ غَرَائِبَهُ ... فِي مَجْدِهِ كَيْفَ تُخْلَقُ النَّسَمُ (٤)

مِلْتُ إِلَى مَنْ يَكَادُ بَيْنَكُمَا ... إِنْ كُنْتُمَا السَّائِلَيْنِ يَنْقَسِمُ (٥)

فيه فيفعله عن بصيرة ومعرفة فلا يلم به بعد ذلك ما يبعثه على الندم (١) السلاهب الخيل الطوال جمع سلهب وسلهبة يقال فرس سلهب وسلهبة للذكر اذا عظم وطال وطالت عظامه . والبيض السيوف . والحشم أتباع الرجل الذين يغضبون لغضبه ويرضون لرضاه يقول : له هذه الاشياء لأنه ملك . فقوله والامر ابتداء وما بعده عطف عليه والخبر قوله له (٢) السطوات جمع سطوة وهي القهر بالبطش وسطا عليه وبه سطوا وسطوة صال والقصم بالقاف أن ينكسر الشيء فيبين وأما الفصم بالفاء فهو أن ينصدع الشيء من غير أن يبين . يقول : وله السطوات المشهورة التي يتحدث بها الناس وتتسامع أخبارها والتي تكاد الجبال تتصدع وتنهد لها لشدتها (٣) يقال أرعني سمعك اى اصغ به الى واستمع مني ومعناه اجعل سمعك لكلامي بمنزلة الموضع الذي يرعى فيه ويتصرف . والخنا الفحش في الكلام يقول : هو يسمع الداعي اذا دعاه واستغاث به لنصرة أو فعل مكرمة فهو عند ذلك سميع ويعرض عن الفحش كأن به صمما

(٤) خلقه مصدر أي ابداعه . وغرائبه منصوب به والنسم جمع نسمة وهي النفس والروح قال الشاعر

مَا صَوَّرَ اللهُ حِينَ صَوَّرَهَا ... فِي سَائِرِ النَّاسِ مِثْلَهَا نَسَمَه

يقول : إن خلقه غرائب المجد وإبداعه من المكارم ما لم يسبق إلى مثله يعرفك ويصحح لك خلق الله عز وجل النسم لان المخلوق اذا كان قادراً على خلق شيء كان الخالق أولى بالقدرة عليه (٥) ـ اطب صاحبيه على عادة العرب . يقول : إني عدلت إلى زيارة رجل لوجئتما ياصاحبي تسأ لانه يكاد ينقسم بينكما فيصير لكل واحد منكما نصفه إن سألتماه نفسه وهذا مبالغة في الجود

مِنْ بَعْدِ ما صِيغَ مِنْ مَوَاهِبِهِ ... لِمَنْ أُحِبُّ الشُّنُوفُ وَالْخَدَمُ (١)

مَا بَذَلَتْ ما بِهِ يَجُودُ يَدٌ ... وَلَا تَهَدَّى لِمَا يَقُولُ فَمُ (٢)

بَنُو الْعَفَرْنَى مَحَطَّةَ الأَسَدِ الْـ ... ـأُسْدُ وَلَكِنْ رِماحُهَا الأَجَمُ (٣)

قَوْمٌ بُلُوغُ الْغُلَامِ عِنْدَهُمُ ... طَعْنُ نُحُورِ الْكُمَاةِ لَا الْحُلُمُ (٤)

(١) الشنوف جمع شنف وهو ما يعلق فى أعلى الاذن أما القرط فهو ما يعلق فى شحمة الاذن . والخدم جمع خدمة وهى الخلخال وقوله من بعد متعلق بملت فى البيت السابق . يقول : ملت إلى زيارته من بعد ما كثرت عطاياه عندى حتى صغت لمن أحبه الشنوف والخلاخل من الذهب الذى أعطانى ، يعنى أن عطاءه وصل الى قبل زيارته (٢) تهدى اهتدي يقول : لم تبذل يد ما يجود به ولا اهتدى فم لأن يأتى بما يقول ، يعنى أنه أجود الناس بنانا وأفصحهم لسانا (٣) بنو العفرنى مبتدا خبره الأسد . والعفرنى الاسد القوي والنون زائدة وأصله من العفر كانه يعفر صيده لقوته ومحطة اسم جد الممدوح وهو فى موضع خفض لانه بدل من العفرنى إلا أنه لاينصرف والاسد صفة لمحطة والاجم جمع أجمة الغابة يأوى اليها الاسد. يقول : ان بنى محطة الذى هو أسد اسود مثله لكن غاباتهم التى يستعصمون بها انما هي الرماح بدل الآجام التى يمتنع بها الأسود كما قال على بن جبلة

كَأَنَّهُمْ وَالرِّمَاحُ شَائِلَةٌ ... أُسْدٌ عَلَيْهَا أَظَلَّتِ الأَجَمُ

وقال أبو تمام

أَسَادُ مَوْتٍ مُخْدَرَاتٌ مَالُهَا ... إِلَّا الصَّوَارِمَ وَالْقَنَا آجَامُ

وقال أيضا

أُسْدُ الْعَرِينِ إِذَا مَا الْمَوْتُ صَبَّحَهَا ... أَوْ صَبَّحَتْهُ وَلَكِنْ غَابُهَا الأَسَلُ

(٤) قوم أى هم قوم . والنحور جمع نحر وهو موضع القلادة . والكماة جمع كمى. وهو البطل المستتر فى سلاحه . والحلم البلوغ . يقول : هم قوم بلوغ الغلام عندهم أن يحمل على الأعداء في الحرب ويطعنهم فى نحورهم لا أن يبلغ سن الحلم، فذاك هو معنى الرجولية عندهم ، قال أبو دلف

عَلَامَةُ الْقَوْمِ فِي بُلُوغِهِمِ ... أَنْ يُرْضِعُوا السَّيْفَ مُهْجَةَ الْبَطَلِ

كَأَنَّمَا يُولَدُ النَّدَى مَعَهُمْ ... لَا صِغْرٌ عَاذِرٌ وَلَا هَرَمُ (١)

إِذَا تَوَلَّوْا عَدَاوَةً كَشَفُوا ... وَإِنْ تَوَلَّوْا صَنِيعَةً كَتَمُوا (٢)

تَظُنُّ مِنْ فَقْدِكَ اعْتِدَادَهُمُ ... أَنَّهُمُ أَنْعَمُوا وَمَا عَلِمُوا (٣)

إِنْ بَرَقُوا فَالْحُتُوفُ حَاضِرَةٌ ... أَوْ نَطَقُوا فَالصَّوَابُ وَالْحِكَمُ (٤)

أَوْ حَلَفُوا بِالْغُمُوسِ وَاجْتَهَدُوا ... فَقَوْلُهُمْ خَابَ سَائِلِي الْقَسَمُ (٥)

وقال يحيى بن زيد بن على بن الحسين

خَرَجْنَا نُقِيمُ الدِّينَ بَعْدَاعْوِجَاجِهِ ... سَوِيًّا وَلَمْ نَخْرُجْ لِجَمْعِ الدَّرَاهِمِ

إِذَا أَحْكَمَ التَّنْزِيلُ وَالْحِلْمُ طِفْلَنَا ... فَإِنَّ بُلُوغَ الطِّفْلِ ضَرْبُ الْجَمَاجِمِ

(١) الندى الجود . والهرم الكبر والعجز عن التصرف . يقول : انهم نشأوا مع الجود . وفطروا عليه فلا يحول دون جودهم حائل من عجز فهم أجواد على كل حال وهذا من قول البحترى

عَرِيقُونَ فِى الإِفْضَالِ يُؤْتَنَفُ النَّدَى ... لِنَاشِئِهِمْ مِنْ حَيْثُ يُؤْتَنَفُ الْعُمْرُ

(٢) الصنيعة المعروف . يقول : اذا عادوا أحداً جاهروا بعداوته لانهم لا يخافون عدوا واذا اصطنعوا صنيعة أخفوها ولم يباهوا بها حياء ونبلا (٣) يقول : انهم لا يعتدون بما صنعوا من المعروف لتناسيهم وغفلتهم عنه كانهم لم يعلموا به كما قال الحريمى

زَادَ مَعْرُوفَكَ عِنْدِى عِظَمًا ... أَنَّهُ عِنْدَكَ مَسْتُورٌ حَقِيرْ

تَتَنَاسَاهُ كَأَنْ لَمْ تَأْتِهِ ... وَهْوَ عِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَثِيرْ

وقال الآخر

وَمِنْ تَكَرُّمِهِمْ فِى الْمَحْلِ أَنَّهُمُ ... لَا يَعْلَمُ الْجَارُ فِيهِمْ أَنَّهُ جَارُ

(٤) برقوا خوفوا وهددوا . والحتوف جمع حتف وهو الهلاك . يقول : اذا هددوا أعداءهم حضر هلاكهم وان نطقوا تكلموا الصواب والحكمة (٥) الغموس اليمين التى من كذب فيها غمسته فى الاثم . يقول : اذا أرادوا أن يحلفوا يمينا يخافون فيها الاثم عند الحنث فتلك اليمين هي أن يقول حالفهم خاب سائلى ان فعلت كذا أو لم أفعل كذا .

أَوْ رَكِبُوا الْخَيْلَ غيرَ مُسْرَجَةٍ فإِنَّ أَفْخَاذَهُمْ لَهَا حُزُمُ (١)

أَوْ شَهِدُوا الْحَرْبَ لاَقِحاً أَخَذُوا مِنْ مُهَجِ الدَّارِعِينَ مَا احْتَكَمُوا (٢)

تُشْرِقُ أَعْرَاضُهُمْ وَأَوْجُهُهُمْ كَأَنَّهَا فِي نُفُوسِهِمْ شِيَمُ (٣)

لَوْلاَكَ لَمْ أَتْرُكِ الْبُحَيْرَةَ وَالْـ ـغَوْرُ دَفِئٌ وَمَاؤُهَا شَبِمُ (٤)

وَالْمَوْجُ مِثْلُ الْفُحُولِ مُزْبِدَةً تَهْدِرُ فِيهَا وَمَا بِهَا قَطَمُ (٥)

وَالطَّيْرُ فَوْقَ الْحَبَابِ تَحْسَبُهَا فُرْسَانَ بُلْقٍ تَخُوضُهَا اللُّجُمُ (٦)

لان هذه اليمين أعظم شيء عليهم (١) يقول : اذا ركبوا الخيل عريا لكثرة مايطرقهم المستغيث فلم يمهلهم حتى يسرجوا خيلهم صارت افخاذهم حزما لهم تمنعهم من الوقوع اذا أجروها كما يمنع الحزام السرج أن يقع فيقع الراكب (٢) اللاقح الحرب الشديدة شبهت بالناقة اذا حملت . والمهج جمع مهجة دم القلب . والدارع لابس الدرع . يقول: اذا شهدوا الحرب ونازلوا الابطال تحكموا فى الارواح فقتلوا من أرادوا

(٣) الاعراض جمع عرض ما يمدح به الانسان ويذم . والشيم الخلائق . يصفهم بنقاء الاعراض والوجوه والشيم وهذا ينظر الى قول أبى الطمحان

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجِزْعَ ثَاقِبُهْ

(٤) يريد بالبحيرة بحيرة طبرية . والغور منخفض بالشام بجوار بلد الممدوح . والشبم البارد . يقول : لولاك لم أترك البحيرة وماؤها بارد وجئت بلدك الدفء الحار وقال بعضهم المراد بالغور المكان المجاور طبرية فيكون المعنى لولاك لم أترك البحيرة وماؤها بارد وغورها دفيء (٥) الموج جمع موجة . ومن ثم قال مثل الفحول . والضمير فى تهدر وفى بها للموج وفى فيها للبحيرة . وهدر الفحل اذا هاج وأخرج زبده . والقطم شهوة الضراب وهياج الفحل عند ذلك . شبه الأمواج فى اضطرابها وما يسمع من صوتها بالفحول اذا هاجت واشتهت الضراب فرمت بالزبد من أفواهها ومعنى تهدر فيها تصيح فى البحيرة هديراً مثل هدير الفحول وما بها شهوة الضراب

(٦) الحباب طرائق الماء عند اختلاف الامواج . وقوله فرسان بلق أراد فرسان خيل بلق والبلق التى فيها سواد وبياض ، جعل الامواج بلقا لان زبد الماء أبيض والبس

كَأَنَّهَا وَالرِّيَاحُ تَضْرِبُهَا ... جَيْشَا وَغَى هَازِمٌ وَمُنْهَزِمُ (١)

كَأَنَّهَا فِى نَهَارِهَا قَمَرٌ ... حَفَّ بِهِ مِنْ جِنَانِهَا ظُلَمُ (٢)

نَاعِمَةُ الْجِسْمِ لَا عِظَامَ لَهَا ... لَهَا بَنَاتٌ وَمَا لَهَا رَحِمُ (٣)

يُبْقَرُ عَنْهُنَّ بَطْنُهَا أَبَدًا ... وَمَا تَشَكَّى وَلَا يَسِيلُ دَمُ (٤)

تَغَنَّتِ الطَّيْرُ فِى جَوَانِبِهَا ... وَجَادَتِ الرَّوْضَ حَوْلَهَا الدِّيَمُ (٥)

فَهْىَ كَمَاوِيَّةٍ مُطَوَّقَةٍ ... جُرِّدَ عَنْهَا غِشَاؤُهَا الْأَدَمُ (٦)

يَشِينُهَا جَرْيُهَا عَلَى بَلَدٍ ... يَشِينُهُ الْأَدْعِيَاءُ وَالْقَزَمُ (٧)

بزبد فهو إلى الخضرة . وتخونها اللجم أى تقطع أعناقها فهي تذهب حيث شاءت، يريد تصرف الموج على غير مراد الطائر فى كل وجه ، وقال ابن جنى : تخونها اللجم فهى تكبو يريد رفرفة الطير على الماء ثم انغماسها فيه ، قال الواحدى : وليس هذا بشىء لان الفرس اذا انقطع لجامه لم يكب وليست الرفرفة والانغماس مما ذكر فى البيت وانما بناها على الكبو الذى ذكره (١) كأنها أى الطير . والوغى الحرب . شبه الطيور وهى يتبع بعضها بعضا على وجه الماء تضربها الريح بجيشين هازم ومنهزم فالهازم يتبع المهزوم وذلك أن تقول كأنها أى الطير والموج لأن الريح تضر بهما معا فتتابع الطير على أثر الموج (٢) حف به أحاط به . قال الواحدى وكان حقه أن يقول حفه كما روى فى فى الحديث حفت الجنة بالمكاره . والجنان جمع جنة وهى البستان شبه ماء البحيرة في صفائه وقد أحاطت به البساتين فى خضرتها الضاربة إلى السواد بقمر أحاطت به ظلمات ، وخص النهار لأن هذا الوصف لها بالنهار دون الليل

(٣) قال العكبرى : لما وصف البحيرة ألغز فيها فقال لا عظام لها وهى ناعمة الجسم وبناتها السمك أى أن البحيرة ماء والسمك بناتها فهى أمهن ومالها رحم

(٤) لما جعلها ناعمة الجسم وجعل لها بنات كنى عن استخراج سمكها وصيدها منها بالبقر وهو شق البطن (٥) جادت من الجود بفتح الجيم وهو المطر . والديم جمع ديمه وهى المطر الدائم فى سكون (٦) الماوية المرآة . وجعلها مطوقة لما حولها من سواد البساتين . والادم الجلد . شبه البحيرة مع ما يحدق بها من البساتين بالمرآة وقد جردت من غلافها (٧) يشينها يعيبها . والادعياء الذين ينسبون الى غير اباءهم . والقزم

أَبَا الْحُسَيْنِ اسْتَمِعْ فَدْحُكُمُ ... فِي الْفِعْلِ قَبْلَ الْكَلَامِ مُنْتَظِمُ (١)
وَقَدْ تَوَالَى الْعِهَادُ مِنْهُ لَكُمْ ... وَجَادَتِ الْمَطْرَةُ الَّتِي تَسِمُ (٢)
أُعِيذُكُمْ مِنْ صُرُوفِ دَهْرِكُمُ ... فَإِنَّهُ فِي الْكِرَامِ مُتَّهَمُ (٣)

وقال يمدح المغيث بن على العجلى

فُؤَادٌ مَا تُسَلِّيهِ الْمُدَامُ ... وَعُمْرٌ مِثْلُ مَا تَهَبُ اللِّئَامُ (٤)

رذال الناس وسفلتهم يستعمل للواحد وغيره يقال هذا رجل فزم وناس فزم . يقول: ان عيب هذه البحيرة أنها فى بلد أهله لئام خساس (١) يقول : ان فعلكم يمد حكم قبل أن ينظم فى الشعر ، أى أنه لحسنه يثنى عليكم ، ويروى فى العقل يعنى أن الناس عقلوا مد حكم قبل أن يتكلموا به (٢) العهاد جمع عهد وهو المطر بعد المطر وقيل أمطار بعضها فى أثر بعض . ومنه أى من المدح . والمطرة التى تسم هى الوسمى وهو مطر الربيع الأول فهو الذى يسم الأرض بالنبات . شبه مدائحه فيهم بالأمطار المتتابعة لأنها تنبت له انعامهم عليه ، وأراد بالتى تسم هذه القصيدة (٣) يقول : ان الدهر مولع بالكرام يأتى عليهم ويعصف بهم ومن ثم أسأل الله أن يعصمكم من نوائبه، وفى هذا المعنى يقول البحترى :

أَلَمْ تَرَ لِلنَّوَائِبِ كَيْفَ تَسْمُو ... إِلَى أَهْلِ الْفَضَائِلِ وَالْفُضُولِ
وَكَيْفَ تَرُومُ لِلشَّرَفِ الْمُعَلَّى ... وَتَخْطُو صَاحِبَ الْقَدْرِ الضَّئِيلِ
وَمَا تَنْفَكُّ أَحْدَاثُ اللَّيَالِي ... تَمِيلُ عَلَى النَّبَاهَةِ لِلْخُمُولِ

« الفضول الافضال والتفضل »

وأصل المعنى لأبى تمام :

إِنْ يَخْتَرِمْ حَدَثَانُ الدَّهْرِ أَنْفُسَكُمْ ... وَيَسْلَمِ النَّاسُ بَيْنَ الْحَوْضِ وَالْعَطَنِ
فَالْمَاءُ لَيْسَ عَجِيباً أَنْ أَعُذْبَهُ ... يَفْنَى وَيَمْتَدُّ عُمْرُ الْآجِنِ الْأَسِنِ

(٤) فؤاد لك أن تجعله مبتدأ محذوف الخبر أى لى فؤاد أو خبر مبتدأ محذوف أى فؤادى فؤاد . والمدام الخمر . واللئيم هو الذى يتلاقى فيه الشح ومهانة النفس والآباء نقيض الكريم . قال ابن فورجه : يعنى أن غرضى بعيد ومرامى متعذر اذ لست كالناس

وَدَهْرٌ نَاسُهُ نَاسٌ صِغَارٌ ... وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ جُثَثٌ ضِخَامُ (١)

وَمَا أَنَا مِنْهُمُ بِالْعَيْشِ فِيهِمْ ... وَلَكِنْ مَعْدِنُ الذَّهَبِ الرِّغَامُ (٢)

أَرَانِبُ غَيْرَ أَنَّهُمُ مُلُوكٌ ... مُفَتَّحَةٌ عُيُونُهُمُ نِيَامُ (٣)

بِأَجْسَامٍ يَحَرُّ الْقَتْلُ فِيهَا ... وَمَا أَقْرَانُهَا إِلَّا الطَّعَامُ (٤)

أرضى بما يرضون به ويلهيني السكر ثم قال — المتنبي — وعمر مثل ما تهب اللئام وهذا تأسف منه يقول لو كان العمر طويلا لرجوت أن أدرك أغراضي بطول العمر ولكن العمر قصير ومدته قليلة فهو كهبة اللئام يسيرة حقيرة فما أخوفني أن لا أدرك طلبتي بقدر ما أرجوه من العمر ، قال الواحدي وكأن هذا من قول أبي تمام

وَكَأَنَّ الْأَنَامِلَ اعْتَصَرَتْهَا ... بَعْدَ كَدٍّ مِنْ مَاءِ وَجْهِ الْبَخِيلِ

(١) يقول : انهم صغار الاقدار والهمم وان كانوا ضخام الابدان كما قال حسان ابن ثابت

لَا عَيْبَ بِالْقَوْمِ مِنْ طُولٍ وَمِنْ قِصَرٍ ... جِسْمُ الْبِغَالِ وَأَحْلَامُ الْعَصَافِيرِ

وقال العباس بن مرداس

فَمَا عِظَمُ الرِّجَالِ لَهُمْ بِفَخْرٍ ... وَلَكِنْ فَخْرُهُمْ كَرَمٌ وَخِيرُ

(٢) الرغام التراب . يقول : لست من هؤلاء الذين ذكرتهم وان عشت فيما بينهم مثلي في ذلك مثل الذهب الذي معدنه التراب ثم لا يعد بكونه فيه منه

(٣) المعهود في مثل هذا أن يقال هم ملوك إلا أنهم في طبع الارانب لكنه عكس الكلام مبالغة فجعل الارانب حقيقة لهم والملوك مستعارا فيهم . يقول : هم وان انفتحت عيونهم نيام من حيث الغفلة كالارانب تنام مفتحة الاعين كما قال

* وَأَنْتَ إِذَا اسْتَيْقَظْتَ أَيْضًا فَنَائِمُ *

وكما قال أبو تمام

أَيْقَظْتَ هَاجِعَهُمْ وَهَلْ يُغْنِيهِمُ ... سَهَرُ النَّوَاظِرِ وَالْقُلُوبُ نِيَامُ

(٤) بأجسام أي مع اجسام . ويحر يشتد من قولهم حر يومنا يحر حرارة . والاقران جمع قرن بكسر القاف وهو الكفؤ في الحرب . يقول : انهم لا يحملون

وَخَيْلٍ مَا يَخِرُّ لَهَا طَعِينٌ ... كَأَنَّ قَنَا فَوَارِسِهَا ثُمَامُ (١)

خَلِيلُكَ أَنْتَ لَا مَنْ قُلْتَ خِلِّي ... وَإِنْ كَثُرَ النَّجَمُّلُ وَالكَلَامُ (٢)

وَلَوْ حِيزَ الحِفَاظُ بِغَيْرِ عَقْلٍ ... تَجَنَّبَ عُنْقَ صَيْقَلِهِ الحُسَامُ (٣)

وَشِبْهُ الشَّيْءِ مُنْجَذِبٌ إِلَيْهِ ... وَأَشْبَهُنَا بِدُنْيَانَا الطَّغَامُ (٤)

وَلَوْ لَمْ يَعْلُ إِلَّا ذُو مَحَلٍّ ... تَعَالَى الجَيْشُ وَانْحَطَّ القَتَامُ (٥)

وَلَوْ لَمْ يَرْعَ إِلَّا مُسْتَحِقٌّ ... لِرُتْبَتِهِ أَسَامَهُمُ المُسَامُ (٦)

إلا بالمآكل ومن ثم يموتون بالتخمة من كثرة الأكل لافى وقائع الحروب

(١) خيل معطوف على اجسام . وخر يخر سقط . والقنا الرماح . والثمام نبت ضعيف يقول : ان طعنهم لايؤثر فى المطعون لضعفهم فكأنهم يطعنون بالثمام

(٢) يقول : لاصديق لأحد على الحقيقة إلا نفسه وليس من تقول هو خليلى خليلا لك وان كثر تملقه ولان لك قوله (٣) الحفاظ المحافظة على الحقوق ورعى الذمام . والصيقل الذى يعمل السيوف . والحسام السيف القاطع . يقول : لو كان فى الامكان أن يحافظ على الوفاء ورعى الذمام مالاعقل له لكان السيف اذا ضرب به عنق الصيقل الذى صقله لايقطعه ، يعنى انهم لاعقول لهم ولذلك ليس لهم حفاظ

(٤) الطغام رذال الناس وغوغاؤهم . يقول : ان الشيء يميل الى شبهه والدنيا خسيسة فلذلك الفت الخساس لأنهم أشباهها فى اللؤم والخسة والشكل الى الشكل أميل

(٥) ذو محل أى ذو منزلة رفيعة . والقتام الغبار . يقول : ان علوهم فى الدنيا لايدل على محلهم واستحقاقهم ولو كان كذلك لما ارتفع الغبار فوق الجيش

(٦) يرع أى يكون راعيا وسامت الماشية اذا رعت وهى سائمة وأسامها صاحبها ويريد بالمسام ههنا الرعية . والضمير فى أسامهم لقوله ملوك فى أوائل القصيدة . يقول : لو كانت الامارة بالاستحقاق لوجب أن يكون أولئك الملوك رعية ورعيتهم ملوكا يسوسونهم لانهم أحق منهم بالملك ، وقال ابن فورجه : المسام المال المرسل فى مراعيه يقول : هؤلاء شر من البهائم فلو كانت الولاية بالاستحقاق لسكان الراعى لهم البهائم لانها أشرف منهم وأعقل

وَمَنْ خَبَرَ الْغَوَانِي فَالْغَوَانِي ضِيَاءٌ فِي بَوَاطِنِهِ ظَلَامُ (١)

إِذَا كَانَ الشَّبَابُ السُّكْرَ وَالشَّيْـــــبُ هَمًّا فَالْحَيَاةُ هِيَ الْحِمَامُ (٢)

وَمَا كُلٌّ بِمَعْذُورٍ بِبُخْلٍ وَلَا كُلٌّ عَلَى بُخْلٍ يُلَامُ (٣)

وَلَمْ أَرَ مِثْلَ جِيرَانِي وَمِثْلِي لِمِثْلِي عِنْدَ مِثْلِهِمِ مُقَامُ (٤)

بِأَرْضٍ مَا اشْتَهَيْتَ رَأَيْتَ فِيهَا فَلَيْسَ يَفُوتُهَا إِلَّا الْكِرَامُ (٥)

فَهَلَّا كَانَ نَقْصُ الْأَهْلِ فِيهَا وَكَانَ لِأَهْلِهَا مِنْهَا التَّمَامُ (٦)

---

(١) الغوانى جمع غانية وهى التى غنيت بحسنها عن التجمل . يقول : من جرب الغوانى فالغوانى ضياء فى الظاهر ظلام فى الباطن ، يريد انهن يتعبن من يصبو اليهن ويعلق قلبه بحبهن (٢) الحمام الموت يقول : اذا كان الانسان فى شبيبته كالسكران لهوا وغفلة وفى المشيب غارقا فى بحر من الهم لضعفه واهتمامه لما فات من عمره فان حياته هى الموت على الحقيقة أى أن حاله وحال الميت سواء ، يريد أن الحياة فى الدنيا منغصة مكدرة (٣) قال الواحدى : يقول . ليس كل أحد يعذر اذا بخل لان الواجد الغنى لاعذر له فى البخل والمنع ، وليس كل أحد يلام على البخل فان المعسر المحتاج إلى مافى يده لايلام فى بخله ، ووجه آخر : وهو أن الذى لايعذر فى بخله من ولدته الكرام والذى لايلام على بخله من كان آباؤنا الثاما بخلاء لم يتعلم غير البخل ولم ير فى آبائه الجود والكرم فيكون هذا من قول أبى تمام

لِكُلِّ مِنْ بَنِي حَوَّاءَ عُذْرٌ وَلَا عُذْرٌ لِطَائِيٍّ لَئِيمِ

وقال ابن جنى هو من قول أبى نواس

كَفَى حَزَنًا أَنَّ الْجَوَادَ مُقَتَّرٌ عَلَيْهِ وَلَا مَعْرُوفَ عِنْدَ بَخِيلِ

(٤) مقام مصدر ميمى بمعنى اقامة . يقول : لم أر مثل جيرانى فى سوء الجوار وقلة المراعاة ولا مثلى فى مصابرتهم مع فرط جفوتهم ، يشكو جيرانه ويلوم نفسه على الاقامة بينهم وقوله لمثلى خبر مقدم عن مقام والجملة مفعول ثان لقوله لم أر ولك أن تقول ان مراده المثلى على الاستفهام التعجبى (٥) يقول: كل ماتشتهى وتطلب تجده فى هذه الارض إلا الكرام فأنهم غير موجودين فيها (٦) يقول: هلا كان نقص أهل الارض فى

بِهَا الْجَبَلَانِ مِنْ صَخْرٍ وَفَخْرٍ ... أَنَافَاذَا الْمُغِيثُ وَذَا اللُّكَامُ (١)

وَلَيْسَتْ مِنْ مَوَاطِنِهِ وَلَكِنْ ... يَمُرُّ بِهَا كَمَا مَرَّ الْغَمَامُ (٢)

سَقَى اللهُ ابْنَ مُنْجِبَةٍ سَقَانِي ... بِدَرٍّ مَا لِرَاضِعِهِ فِطَامُ (٣)

وَمَنْ إِحْدَى فَوَائِدِهِ الْعَطَايَا ... وَمَنْ إِحْدَى عَطَايَاهُ الدَّوَامُ (٤)

فَقَدْ خَفِيَ الزَّمَانُ بِهِ عَلَيْنَا ... كَسِلْكِ الدُّرِّ يُخْفِيهِ النِّظَامُ (٥)

الارض وتمام الارض ـ أى كالها ـ فى أهلها ؟ يعنى أن هذه الارض كاملة فى أحوالها وأهلها ناقصون فى أخلاقهم فهو يتمنى أن يكون كالها لأهلها ونقصانهم لها إذ أن كمال الارض مع نقص قطانها ليس يجدى شيأ (١) أنافا أشرفا وطالا . والمغيث هو الممدوح . واللكام جبل بالشام يقال له جبل الأبدال . يقول : بها جبلان أحدهما من صخر وهو جبل اللكام والثانى من فخر وهو الممدوح (٢) الغمام السحاب . وانما قال هذا لأنه ذم أهل هذه الارض فهو يقول : ليست هذه البلدة موطنا للممدوح ولكنه يمر بها أحيانا مرور السحاب فتصيب من نفعه كما قال أبو تمام

إِنْ حَنَّ نَجْدٌ وَأَهْلُوهُ إِلَيْكَ فَقَدْ ... مَرَرْتَ فِيهِمْ مُرُورَ الْعَارِضِ الْهَطِلِ

(٣) يقولون سقى الله فلانا يريدون الدعاء له بالخصب والنماء . والمنجبة التى تلد النجباء وابنها هو الممدوح يريد أنه نجيب . والدر اللبن والمراد به عطاياه . والفطام انفصال الولد عن ثدى أمه ، يريد أنه ليس يقطع عن بره (٤) الدوام يروى الذمام أى العهد يقول : إن فوائد الممدوح لا تقتصر على العطايا فان فى التقرب منه فوائد أخرى كالشرف وعزة الجانب وما إليهما ، وعطاياه لا تنحصر فى الأموال فان منها العهد والحفاظ والوفاء ، يريد أنه لا يعامله معاملة الشعراء الذين يطلبون الجوائز ولكن يعامله معاملة خاصائه

(٥) قال الواحدى يعنى أنه غطى بمحاسنه مساوىء الدهر وتجمل الزمان به تجمل السلك إذا نظم فيه الدر ، ومن روى بها عاد الضمير الى العطايا والمعنى ليس الزمان من عطاياه ما ليس السلك من الدر . وقال ابن القطاع هذا البيت على القلب يقول : قد خفينا بأفعاله عن حوادث الزمان فلا يرانا ولا نراه ويجوز أن يكون المعنى استخفى الزمان عنا فلم نر أذاه ولا حوادثه واستتر عنا خوفا من هذا الممدوح

تَلَذُّ لَهُ المُرُوءَةُ وَهْيَ تُؤْذِي ... وَمَنْ يَعْشَقْ يَلَذَّ لَهُ الغَرَامُ (١)

تَعَلَّقَهَا هَوَى قَيْسٍ لِلَيْلَى ... وَوَاصَلَهَا فَلَيْسَ بِهِ سَقَامُ (٢)

يَرُوعُ رَكَانَةً وَيَذُوبُ ظَرْفاً ... فَمَا نَدْرِي أَشَيْخٌ أَمْ غُلَامُ (٣)

وَتَمْلِكُهُ المَسَائِلُ فِي نَدَاهُ ... وَأَمَّا فِي الجِدَالِ فَلَا يُرَامُ (٤)

وَقَبْضُ نَوَالِهِ شَرَفٌ وَعِزٌّ ... وَقَبْضُ نَوَالِ بَعْضِ القَوْمِ ذَامُ (٥)

أَقَامَتْ فِي الرِّقَابِ لَهُ أَيَادٍ ... هِيَ الأَطْوَاقُ وَالنَّاسُ الحَمَامُ (٦)

(١) المراد بالغرام هنا العذاب اللازب يقول : المروءة تؤذى صاحبها بما فيها من التكاليف وهى مع هذا تلذ له كالعشق لذيذ مع مافيه من النصب والعذاب كما قال المتنبى

والعشقُ كالعشوقِ يَعْذُبُ قُربُه ... للمُبتلِي ويَنَالُ مِنْ حَوْبائه

(٢) تعلقها أي تعلق المروءة أى هويها. وهوى مفعول مطلق. يقول : عشق المروءة كما عشق قيس المجنون ليلى العامرية غير أنه واصل المروءة فلم يورثه حبها سقما كما أورث عشق ليلى قيسا الجنون حين لم يجد إلى وصلها سبيلا

(٣) يروع يفزع ويخيف. والركانة الرزانة والوقار . والظرف خفة الروح وذكاء القلب يقول : إنه قد جمع بين وقار الشيوخ وظرف الفتيان (٤) المسائل المطالب والندى الجود والجدال معروف . يصفه بالجود وقوة العلم والفهم يقول: إنه ينقاد لسؤال من سأله أى أن المسائل إذا وردت عليه من جهة السؤال تملكته وانقاد لها حتى لا يستطيع رد مسألة منها بالحيلة أما المسائل التى ترد عليه فى الجدل فانه لا يطاق فيها

(٥) النوال العطاء والذام المذمة والعيب يقول: إن قبول عطائه شرف وعز لآخذه أما قبول عطاء غيره من اللئام فهو عار وهذا كقول أمية

عَطاؤُكَ زَيْنٌ لامْرِىءٍ إنْ أَصَبْتَهُ ... بِخَيْرٍ وما كلُّ العطاءِ يَزِينُ

وَلَيسَ بِعارٍ لامرىءٍ بَذْلُ وجْهِهِ ... إلَيْكَ كما بَعْضُ السؤالِ يَشِينُ

وكقول البحترى :

وَيُعجِبُنِي فَقْرِي إلَيْكَ وَلَمْ يَكُنْ ... لِيُعجِبَنِي ـ لَوْلا محبَّتُكَ ـ الفَقْرُ

(٦) الأيادى النعم. والحمام عند العرب اسم جامع لذوات الأطواق من الطير كالقمارى

إِذَا عُدَّ الْكِرَامُ فَتِلْكَ عِجْلٌ ... كَمَا الْأَنْوَاءُ حِينَ تُعَدُّ عَامُ (١)

تَقِي جَبَهَاتُهُمْ مَا فِي ذَرَاهُمْ ... إِذَا بِشِفَارِهَا حَمِيَ اللِّطَامُ (٢)

وَلَوْ يَمَّمْتَهُمْ فِي الْحَشْرِ تَجْدُو ... لَأَعْطَوْكَ الَّذِي صَلَّوْا وَصَامُوا (٣)

والفواخت وساق حر يقول: إن نعمه وأياديه لازمة لرقاب الناس لا تفارقها كما تلزم الأطواق الحمام، يعني أن الناس تحت منته وأياديه وهذا كما قال السري الرفاء

وَطَوَّقْتَ قَوماً فِي الرِّقَابِ صَنَائِعاً ... كَأَنَّهُمُ مِنْهَا الْحَمَامُ الْمُطَوَّقُ

(١) عجل قبيلة الممدوح. والأنواء جمع نوء وهو سقوط نجم من منازل القمر في المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه من المشرق يقول: إذا عد الكرام لم يتجاوز العد هذه القبيلة كما أن الأنواء من سقوط أولها إلى سقوط آخرها هي العام فكذلك عجل هم الكرام يعني من أراد أن يعد الكرام في الدنيا فليقل هم بنو عجل فانهم يشملون جميع الكرام لبطلان من عداهم كما أن الأنواء بطلوعها وسقوطها تشتمل جميع العام وذلك أن لكل شهر من شهور العام نوءا فاذا عدت تلك الانواء فهي عام تام، والمعنى أن الكرم مقصور عليهم لايتجاوزهم (٢) الذرى بفتح الذال كل ما استترت به تقول أنا في ذرى فلان أي في كنفه وستره. والشفار جمع شفرة وهي حد النصل. والضمير في شفارها للسيوف وان لم يجر لها ذكر لدلالة الحال. واللطام المصادمة بالسيوف. يقول: انهم يتلقون السيوف بوجوههم ليدفعوا عمن استذرى بهم. وروى

يَقِي جَبَهَاتِهِمْ مَا فِي ذُرَاهُمْ

فالذرى جمع ذروة وهي أعلى كل شيء والمراد بما في ذراهم السيوف لأنها تقلد في أعالي البدن يقول. ان سيوفهم تحمي وجوههم اذا اشتدت الملاطمة بشفار السيوف (٣) يممتهم قصدتهم. وتجدو تطلب جدواهم. يقول: لجودهم وكرمهم لايردون سائلا حتى لو قصدهم سائل يوم القيامة لأعطوه صلاتهم وصيامهم؛ وفي هذا يقول أبو تمام

وَلَوْ قَصَّرَتْ أَمْوَالُهُ عَنْ سَمَاحِهِ ... لَقَاسَمَ مَنْ يَرْجُوهُ شَطْرَ حَيَاتِهِ

وَلَوْ لَمْ يَجِدْ فِي قِسْمَةِ الْعُمْرِ حِيلَةً ... وَجَازَ لَهُ الْإِعْطَاءُ مِنْ حَسَنَاتِهِ

لَجَادَ بِهَا مِنْ غَيْرِ كُفْرٍ بِرَبِّهِ ... وَوَاسَاهُمُ مِنْ صَوْمِهِ وَصَلَاتِهِ

فإنْ حلُمُوا فإنَّ الخيلَ فيهمْ ... خِفافٌ والرِّماحُ بها عُرامُ (١)

وعندهمُ الجِفانُ مُكلَّلاتٍ ... وشَزْرُ الطَّعنِ والضَّربُ التُّؤامُ (٢)

نُصَرِّعُهمْ بأعْيُنِنا حياءً ... وتَنْبُو عنْ وُجُوهِهِمِ السِّهامُ (٣)

قَبيلٌ يَحْمِلُونَ منَ المَعالي ... كما حَمَلَتْ منَ الجسدِ العِظامُ (٤)

قَبيلٌ أنْتَ أنْتَ وأنْتَ منهمْ ... وجَدُّكَ بِشْرٌ المَلِكُ الهُمامُ (٥)

ويقول أبو العتاهية

فمَنْ لي بهذا ليتَ أنِّي أصَبْتُهُ ... فأقاسَمَتْهُ مالي مِنَ الحسَنَاتِ

وأخذه بعضهم فقال

ولَوْ جاءهُ يومَ القيامةِ سائلٌ ... تعرَّى لهُ عنْ صَوْمِهِ وصَلاتِهِ

(١) العرام الشراسة . يقول : ان كانوا حلماء ذوى وقار فان خيلهم خفاف فى العدو — الجرى — ورماحهم شرسة عارمة على الأعداء (٢) الجفان القصاع جمع جفنة ومكللات حال أى مغطاة باللحم فهو عليها كالأكاليل كما قال القائل

ترى الجفانَ مِنَ الشِّيزَى مكلَّلَةً

والشزر ما كان عن يمين وشمال . والتؤام جمع التوأم على غير قياس أى مزدوج. يقول : عندهم الجفان مملوءة وعندهم الضرب المتدارك المتوالى ، يعنى : انهم مطاعيم مطاعين بلغوا أقصى غايات الجود والشجاعة (٣) صرعه طرحه . ونبا السهم عن الهدف لم يعمل فيه يقول : انهم رقاق الوجوه لفرط الحياء فاذا نظر اليهم الناظر صرعهم أى قدر عليهم ، أما إذا نازلوا العدو فى الحرب فانهم شجعان يردون السهام بأوجههم ، وفيه نظر إلى قول العطوى

أهَابُ الرِّيمَ أرْمُقُهُ ... وأضْرِبُ هامَةَ الأسَدِ

ويَجْرَحُنى بمُقْلَتِهِ ... ويَنْبُو السَّيْفُ عنْ جَسَدِى

(٤) قبيل أى هم — الممدوحون — قبيل والقبيل الجماعة . يقول : ان المعالى مشتملة عليهم اشتمال اللحم والجلد على العظام ، يعنى أنهم للمعالى كالعظام للاجسام

(٥) قال الواحدى : أراد قبيل أنت منهم وأنت أنت فى علو قدرك ، يعنى إذا كنت

لِمَنْ مالٌ تُمَزِّقُهُ الْعَطَايَا ... وَيُشْرِكُكَ فِى رَغَائِبِهِ الأَنَامُ (١)

وَلاَ نَدْعُوكَ صَاحِبَهُ فَتَرْضَى ... لِأَنَّ بِصُحْبَةٍ يَجِبُ الذِّمَامُ (٢)

تُحَايِدُهُ كَأَنَّكَ سَامِرِيٌّ ... تُصَافِحُهُ يَدٌ فِيهَا جُذَامُ (٣)

إِذَا مَا الْعَالِمُونَ عَرَوْكَ قَالُوا ... أَفِدْنَا أَيُّهَا الْحَبْرُ الأَمَامُ (٤)

إِذَا مَا الْمُعْلِمُونَ رَأَوْكَ قَالُوا ... بِهَذَا يُعْلَمُ الْجَيْشُ اللُّهَامُ (٥)

أنت منهم وجدك بشر فكفاهم بذلك فخرا ، وقد أخر حرف العطف فى قوله وأنت وهو قبيح جدا وهذا كما تقول قامت زيد وهند وأنت تريد قامت هند وزيد

(١) (٢) الرغائب جمع رغيبة وهى كل ما كان مرغوبا فيه . وقوله لأن فاسم أن محذوف ضمير الشأن. والذمام الحرمة والعهد يقول : لمن مال نراه عندك وعطاياك تفرقه والخلق كلهم شركاء فى رغائبه وأنت لا ترضى أن نقول هو لك وندعوك صاحبه لأن الصحبة توجب ذماما وأنت لا تزعى له ذماما ، أى فلمن هذا المال ؟ قال الواحدى : هذا إذا كان البيتان مقترنين ويجوز أن ينفرد كل منهما بالمعنى فيكون معنى البيت الأول لمن مال هذه حاله ؟ يعنى لا مال لأحد بهذه الصفة الا لك ، وأراد لمن مال هذه حاله غير مالك فحذف لدلالة المعنى ، ثم ينفرد معنى البيت الثانى ، ويروى فيرضى بالياء أى اذا دعوناك صاحبه رضى المال بذلك رجاء أن يبقى معك لأجل الصحبة

(٣) حاد عن الشىء مال عنه وحايده محايدة جانبه . والسامرى واحد السوامرة وهم طائفة من اليهود شديدة التنطس اليهم نسب السامرى الذى عبد العجل الذى سمع له خوار ، قال الزجاج وهم الى هذه الغاية بالشام. والجذام داء معروف . يقول : أنت تحيد عن هذا المال وتتجنبه وتنفر منه كما ينفر السامرى من مصافحة رجل فى يده جذام فأنت تأمر بتوزيعه ولا تمسه (٤) عراه واعتراه اذا أتاه وقصده طالبا معروفه ومنه قول النابغة

أَتَيْتُكَ عَارِيًا خَلَقًا ثِيَابِى ... عَلَى خَوْفٍ تُظَنُّ بِىَ الظُّنُونُ

والحبر بالكسر ويفتح العالم . يقول : ان العلماء يستفيدون منه ويتعلمون

(٥) المعلم بكسر اللام الذى يشهر نفسه فى الحرب بعلامة يعرف بها أنه بطل يقال أعلم الرجل نفسه ومن روى بفتح اللام فهم الذين أعلموا بعلامة . واللهام الكثير

لَقَدْ حَسُنَتْ بِكَ الأَوْقَاتُ حَتَّى ... كَأَنَّكَ فِي فَمِ الدَّهْرِ ابْتِسَامُ (١)
وَأُعْطِيتَ الَّذِي لَمْ يُعْطَ خَلْقٌ ... عَلَيْكَ صَلَاةُ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ

وقال يمدح عمر بن سليمان الشرابي وهو يومئذ
يتولى الفداء بين العرب والروم

نَرَى عِظَمًا بِالْبَيْنِ وَالصَّدُّ أَعْظَمُ ... وَتَنَّهِمُ الْوَاشِينَ وَالدَّمْعُ مِنْهُمُ (٢)
وَمَنْ لُبُّهُ مَعْ غَيْرِهِ كَيْفَ حَالُهُ ... وَمَنْ سِرُّهُ فِي جَفْنِهِ كَيْفَ يَكْتُمُ (٣)
وَلَمَّا التَقَيْنَا وَالنَّوَى وَرَقِيبُنَا ... غَفُولَانِ عَنَّا ظَلْتُ أَبْكِي وَتَبْسِمِ (٤)

الذى يلتهم كل ما يستقبله . يقول : اذا رآك الأبطال قالوا هذا علامة الجيش العظيم لأنه ليس فى الجيش أشهر منه فهو دليل على قوة الجيش الذى يكون فيه ، قال الواحدى : ويجوز أن يكون يعلم من العلم أى بهذا يعرف الجيش أى أنه صاحب الجيش وفارس العسكر ، ومن روى يعلم بكسر اللام فمعناه ان الجيش يعلمون أنفسهم بهذا الرجل ليعرف أنهم شجعان اذا كان هو بين ظهرانيهم (١) يقول : طابت بك أيام الدهر وبدت بشاشتها حتى كأن الدهر مبتسم بك ، يعنى أنها كانت متجهمة عابسة فزال بك عبوسها فكأنك ابتسام لها وطلاقة كما قال أبو تمام

وَيَضْحَكُ الدَّهْرُ مِنْهُمْ عَنْ غَطَارِفَةٍ ... كَأَنَّ أَيَّامَهُمْ مِنْ حُسْنِهَا جُمَعُ

(٢) البين البعد والفراق . والواشى النمام . يقول : نستعظم البين والصدود أعظم منه لأن البين يقرب بقطع المسافة ومسافة الصدود لا يمكن تقريبها ، وتنهم الوشاة باذاعة اسرارنا والدمع واحد منهم لأنه لا يرقأ ويظهر ما فى القلب من الوجد فهو أولى بأن تتهمه بأذاعة أسرارنا . وروى ابن الشجرى

نَرَى عِظَمًا بِالصَّدِّ وَالبَيْنُ أَعْظَمُ

يعنى أن الحبيب اذا صد فان العين تنظره واذا فارق حال البعد دون النظر اليه ، وهو معنى حسن (٣) اللب العقل . يقول : اذا كان عقلك مع غيرك كيف يكون حالك واذا كان سرك فى جفنك كيف تقدر على كتمانه ، يريد أن قلبه أسير غيره وهو دائم البكاء فالدمع يظهر سره ويفتضحه (٤) النوى البعد والواو فيه واو الحال . وظلت

فَلَمْ أَرَ بَدْرًا ضَاحِكًا قَبْلَ وَجْهِهَا ... وَلَمْ تَرَ قَبْلِي مَيِّتًا يَتَكَلَّمُ

ظَلُومٌ كَتَنْيِهَا لِصَبٍّ كَخَصْرِهَا ... ضَعِيفِ الْقُوَى مِنْ فِعْلِهَا يَتَظَلَّمُ (١)

بِفَرْعٍ يُعِيدُ اللَّيْلَ وَالصُّبْحُ نَيِّرٌ ... وَوَجْهٍ يُعِيدُ الصُّبْحَ وَاللَّيْلُ مُظْلِمُ (٢)

ظلمت . يقول : ولما التقينا وكان البعد والرقيب فى غفلة عنا ظلمت ابكى من الوجد وهى تضحك تعجبا من حالى ودلالا على (١) المتنان الجانبان الأسفلان من الظهر والخصر مافوقها . وتظلم الرجل اشتكى الظلم . جعل نفسه فى الدقة كخصرها وجعل ظلمها اياه بتكليفه مالايطيق حمله كظلم متنيها لخصرها ثم وصف نفسه بضعف القوى . هذا وقد جرت عادة الشعراء ـ كما قال الواحدى ـ أن يصفوا الردف بالعظم والخصر بالهيف ولم يسمع ذكر سمن المتن وكثرة لحمه وانما يصفون النصف الأعلى بالخفة والرشاقة وهو يقول متنها ممتلىء يظلم خصرها بتكليفه حمله والصحيح فى هذا المعنى قول خالد بن يزيد الكاتب

صَبًا كَئِيبًا يَتَشَكَّى الْهَوَى ... كَمَا اشْتَكَى خَصْرُكَ مِنْ رِدْفِكَا

(٢) بفرع متعلق بمحذوف تقديره تبدو أو تسبى أو تقبل بفرع . والفرع شعر الرأس وفيه نظر الى قول بكر بن النطاح

بَيْضَاءُ تَسْحَبُ مِنْ قِيَامٍ شَعْرَهَا ... وَتَغِيبُ فِيهِ وَهْوَ جَثْلٌ أَسْحَمُ

فَكَأَنَّهَا فِيهِ نَهَارٌ مُشْرِقٌ ... وَكَأَنَّهُ لَيْلٌ عَلَيْهَا مُظْلِمُ

وقول أبى تمام

بَيْضَاءُ تَبْدُو فِى الظَّلَامِ فَيَكْتَسِي ... نُورًا وَتَسْرُبُ فِي النَّهَارِ فَيُظْلَمُ

« تسرب تتوارى » وقوله أيضا

لَحِقْنَا بِأُخْرَاهُمْ وَقَدْ حَوَّمَ الْهَوَى ... قُلُوبًا عَهِدْنَا طَيْرَهَا وَهْىَ وُقَّعُ

فَرُدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ رَاغِمٌ ... بِشَمْسٍ لَهُمْ مِنْ جَانِبِ الْخِدْرِ تَطْلُعُ

نَضَا ضَوْؤُهَا صِبْغَ الدُّجُنَّةِ وَانْطَوَى ... لِبَهْجَتِهَا ثَوْبُ الظَّلَامِ الْمُجَزَّعُ

فَوَاللهِ مَا أَدْرِى أَأَحْلَامُ نَائِمٍ ... أَلَمَّتْ بِنَا أَمْ كَانَ فِى الرَّكْبِ يُوشَعُ

« لحقنا بأخراهم الخ أى قصدنا المتأخرين منهم وقد جعل الهوى قلوبنا تحوم حولهم ،

فَلَوْ كَانَ قَلْبِي دَارَهَا كَانَ خَالِيًا ... وَلَكِنَّ جَيْشَ الشَّوْقِ فِيهِ عَرَمْرَمُ (١)

أَثَافٍ بِهَا مَا بِالْفُؤَادِ مِنَ الصَّلَى ... وَرَسْمٌ كَجِسْمِي نَاحِلٌ مُتَهَدِّمُ (٢)

بَلَلْتُ بِهَا رُدْنِي وَالْغَيْمُ مُسْعِدِي ... وَعَبْرَتُهُ صِرْفٌ وَفِي عَبْرَتِي دَمُ (٣)

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَا انْهَلَّ فِي الْخَدِّ مِنْ دَمِي ... لَمَا كَانَ مُحْمَرًّا يَسِيلُ فَأَسْقَمُ (٤)

بِنَفْسِي الْخَيَالُ الزَّائِرِي بَعْدَ هَجْعَةٍ ... وَقَوْلَتُهُ لِي بَعْدَنَا الْغُمْضَ تَطْعَمُ (٥)

سَلَامٌ فَلَوْلَا الْخَوْفُ وَالْبُخْلُ عِنْدَهُ ... لَقُلْتُ أَبُو حَفْصٍ عَلَيْنَا الْمُسَلِّمُ (٦)

كحوم الطائر على الماء بعد أن كانت ساكنة بقربهم هادئة لعدم فراقهم . وقوله ثوب الظلام المجزع جعله مجزعا لأجل النجوم والتجزيع فى الشىء أن يكون فيه لونان مختلفان »

(١) العرمرم العظيم الكثير يقول : انها رحلت وتركت دارها خالية فلو كان قلبى مثل دارها لكان خاليا ولكنه ملآن بالشوق اليها وفيه منه جيش عظيم لحبها ملازم له لايفارقه (٢) أثاف مبتدا محذوف الخبر أى فيها أو هناك أثاف . والأثافى جمع أثفية وهي الحجر ينصب تحت القدر . والصلى الأصطلاء بالنار واذا فتحت الصاد قصرت واذا كسرت مددت . والرسم مابقى من آثار الديار . يقول : فى ديارها أثاف بها من الصلاء مابفؤادى ، يعنى أن النار حرقتها وأثرت فيها كما أحرق الشوق والحب قلبى ، وكما أن رسم دارها بال متهدم كذلك جسمى لفراقها (٣) ردنا القميص كماه . والغيم السحاب وأسعده أعانه . والعبرة الدمع . والصرف الخالص . يقول : وقفت على دارها والسحاب يمطر كأنه يساعدنى فى البكاء ولكن دمعه كان خالصا وكان دمعى ممزوجا بالدم

(٤) انهل سال وجرى . يقول : لولم يكن دمعى دما ما كان احمر وما كنت هزلت وسقمت بعد انهماله (٥) الهجعة الرقدة . وقوله بعدنا أى أبعدنا بهمزة الانكار فحذف لضيق المقام يقول : أفدى بنفسى الخيال الذى زارنى بعد ما نمت وقال لى معاتبا أتنام بعد فراقنا وهل من فارقه أحبته ينام (٦) سلام من حكاية قول الخيال أى قال لى الخيال معاتبا أتنام بعد مفارقتنا ؟ سلام ، أى عليك سلام ويروى سلاما أى أسلم سلاما ، وأبو حفص كنية الممدوح . يقول : لولا أن هذا الخيال بخيل لا يجود بمطلوب وجبان لايزور مجاهرا لحملنى الابتهاج به والاجلال له على أن أطنه الممدوح يسلم على ، وقال ابن جنى : لولا خوفى من مفارقته أو معاتبته على نوى ولولا بخله لأنه لاحقيقة

مُحِبُّ النَّدَى الصَّابِى إِلَى بَذْلِ مَالِهِ ... صُبُوًّا كَمَا يَصْبُو الْمُحِبُّ الْمُتَيَّمُ (١)

وَأُقْسِمُ لَوْلَا أَنَّ فِى كُلِّ شَعْرَةٍ ... لَهُ ضَيْغَمًا قُلْنَا لَهُ أَنْتَ ضَيْغَمُ (٢)

أَنَنْقُصُهُ مِنْ حَظِّهِ وَهْوَ زَائِدٌ ... وَنَبْخَسُهُ وَالْبَخْسُ شَىْءٌ مُحَرَّمُ (٣)

يَجِلُّ عَنِ التَّشْبِيهِ لَا الْكَفُّ لُجَّةٌ ... وَلَا هُوَ ضِرْغَامٌ وَلَا الرَّأْىُ مِخْذَمُ (٤)

وَلَا جُرْحُهُ يُؤْسَى وَلَا غَوْرُهُ يُرَى ... وَلَا حَدُّهُ يَنْبُو وَلَا يَتَثَلَّمُ (٥)

وَلَا يُبْرَمُ الْأَمْرُ الَّذِى هُوَ حَالِلٌ ... وَلَا يُحْلَلُ الْأَمْرُ الَّذِى هُوَ مُبْرِمُ (٦)

لزيارته لقلت المسلم على الممدوح ، قال الواحدى أخطأ ابن جنى فى تفسيره لأنه جعل الخوف للمتنبى، وأن لا حقيقة لزيارته لا يكون بخلاء والمرأة توصف بالبخل والجبن ويقال إن هذين من شر أخلاق الرجال وهما من خير أخلاق النساء

(١) الصابى المشتاق . وتيمه الحب عبده وذلله يقول : إنه يصبو إلى انفاق المال على العفاة كما يصبو المحب إلى محبوبه (٢) الضيغم الاسد يقول : إنه يزيد على الأسد قوة وشجاعة بعدد شعر بدنه ولولا ذلك لقلنا إنه أسد ثم أكد هذا بالبيت التالى

(٣) يقول: إنه زاد على الأسد شجاعة فان جعلناه كالأسد كنا قد نقصناه حظه وبخسناه حقه لأنه يستحق أكثر من ذلك (٤) اللجة معظم الماء . والضرغام الأسد والمخذم السيف القاطع يقول :هو أجل من أن يشبه كفه بالبحر ونفسه بالاسد ورأيه بالسيف فكفه فوق البحر ورأيه أنفذ من السيف وهو أشجع من الاسد

(٥) يؤسى يداوى أسوت العليل آسوه أسوا والآسى الطبيب . والغور العمق والضمير المضاف اليه للجرح أى أن جرحه أوسع من أن يعالج لأنه لا يبرأ بالعلاج ولايرى غور جرحه لعمقه ويجوز أن يكون الضمير للممدوح على معنى أنه بعيد الغور فى الرأى والتدبير فلا يدرك غوره . وحده على المعنى الأول يراد به حد سيفه وعلى الثانى حد عزيمته على تشبيهها بالسيف . وينبو أى يكل عن الضريبة (٦) يقول : ليس للأمر الذى يحكمه ناقض ولا للذى نقضه مبرم ، يعنى أنه لا يخالف فيما أراد . هذا وقد فك الادغام من قوله حالل ويحلل ضرورة وهو من التجوزات المكروهة

وَلاَ يَرْمَحُ الأَذْيَالَ مِنْ جَبَرِيَّةٍ ... وَلاَ يَخْدُمُ الدُّنْيَا وَإِيَّاهُ تَخْدُمُ (١)

وَلاَ يَشْتَهِي يَبْقَى وَتَفْنَى هِبَاتُهُ ... وَلاَ تَسْلَمُ الأَعْدَاءُ مِنْهُ وَيَسْلَمُ (٢)

أَلَذُّ مِنَ الصَّهْبَاءِ بِالمَاءِ ذِكْرُهُ ... وَأَحْسَنُ مِنْ يُسْرٍ تَلَقَّاهُ مُعْدِمُ (٣)

وَأَغْرَبُ مِنْ عَنْقَاءَ فِي الطَّيْرِ شَكْلُهُ ... وَأَعْوَزُ مِنْ مُسْتَرْفِدٍ مِنْهُ يُحْرَمُ (٤)

وَأَكْثَرُ مِنْ بَعْدِ الأَيَادِي أَيَادِيًا ... مِنَ القَطْرِ بَعْدَ القَطْرِ وَالوَبْلُ مُنْجِمُ (٥)

---

(١) الرمح الرفس بالرجل ويقال للمختال أنه ليرمح الاذيال وذلك اذا كان يطيل ثوبه ولا يرفعه ويضربه برجله ومنه قول القحيف العقيلى

يَقُولُ لِيَ المَغْنَى وَهُنَّ عَشِيَّةً ... بِمَكَّةَ يَرْمَحْنَ المُهَدَّبَةَ السُّحْلاَ

« المهدبة الثياب التى لها أهداب والسحل البيض » والجبرية الكبر . يقول : هو على عظمته وفخامة قدره متواضع لا تزدهيه المراتب عجبا واختيالا ، وليس هو من الذين يخدمون الدنيا وينصبون فى طلب حطامها وأنما الدنيا تخدمه وتسوق اليه أرزاقها بما يحمل اليه من جبايات الملك (٢) ولا يشتهى يبقى يريد أن يبقى فحذف ان للضرورة يقول : لا يحب أن يبقى ولا عطاء له ، أى انما يحب البقاء ليعطى فاذا لم يكن له عطاء لم يحب البقاء ، ولا يحب أن يسلم فى نفسه مع سلامه الأعداء منه ، أى أنه يحب أن يقتلهم وإن كان فى ذلك هلاكه (٣) الصهباء الخمر . واليسر الغنى . والمعدم الفقير . يقول : ان ذكره على الألسنه الذ من الخمر قد مزجت بالماء وأحسن من اليسر لدى المعدم (٤) عنقاء مغرب طائر يقال إنه ذهب ولم يبق إلا اسمه . واعوز قال ابن جنى كان الوجه أن يقول أشد اعوازا لأن ماضيه أعوز ولكنه جاء على حذف الزيادة . والمسترفد السائل . يقول: مثله فى الناس أغرب من العنقاء فى الطير وأشد أعوازا وأقل وجودا من سائل منه شيئاً يحرمه ولا يعطيه وهو لا يحرم أحدا ، أى فكما أن هذين لا يوجد ان كذلك نظيره ومثله (٥) الايادى النعم . والقطر المطر والوبل المطر الغزير وأنجمت السماء دام مطرها ، أراد هو أكثر أيادى بعد الأيادى من القطر بعد القطر يعنى أن نعمه ومواهبه أكثر تتابعا من قطر المطر حين يكون كثيراً دائم الهطلان

سَنِيُّ الْعَطَايَا لَوْ رَأَى نَوْمَ عَيْنِهِ ... مِنَ اللُّؤْمِ آلَى أَنَّهُ لَا يُهَوِّمُ (١)

وَلَوْ قَالَ هَاتُوا دِرْهَمًا لَمْ أَجُدْ بِهِ ... عَلَى سَائِلٍ أَعْيَا عَلَى النَّاسِ دِرْهَمُ (٢)

وَلَوْ ضَرَّ مَرْأًى قَبْلَهُ مَا يَسُرُّهُ ... لَأَثَّرَ فِيهِ بَأْسُهُ وَالتَّكَرُّمُ (٣)

يُرَوِّي بِكَالْفِرْصَادِ فِي كُلِّ غَارَةٍ ... يَتَامَى مِنَ الْأَغْمَادِ تُنْضَى فَتُوتِمُ (٤)

إِلَى الْيَوْمِ مَا حَطَّ الْفِدَاءُ سُرُوجَهُ

مُذُ الْغَزْوُ سَارٍ مُسْرَجُ الْخَيْلِ مُلْجَمُ (٥)

---

(١) السنى الرفيع . واللؤم الخسة نقيض الكرم . وآلى أقسم . والتهويم اختلاس أدنى النوم وأصله النوم القليل كأنهم يريدون به أخذ النوم فى هامة — رأس — الانسان لأنه يبدأ برأسه ثم ينتشر فى سائر الجسد . يقول : لو كان النوم الذى لابد منه للانسان لؤما لحلف أنه لاينام (٢) يقول : ان جميع مافى أيدى الناس من المال انما هو من عطاياه ، حتى لو طلب درهما ليس من عطائه لأعيا على الناس — أعجزهم — وجوده (٣) يقول : هو يرتاح الى بأسه وكرمه ويسر بهما فلو كان مايسر الانسان يضره لضره الكرم والبأس (٤) بكالفرصاد أى بدم مثل الفرصاد فى حمرته والفرصاد ثمر التوت الاحمر . وأراد باليتامى السيوف التى تفارق أغمادها جعلها يتامى لأنها فارقت ما كان يؤيها ويحوطها كالوالدين . وتنضى تسيل . وتوتم مضارع أيتم . يقول : انه يروى بدم مثل الفرصاد سيوفا قد فارقت أغمادها فصارت مثل اليتامى . وتلك السيوف تيتم أولاد من يقتله بها فى كل غارة يغيرها على الاعداء (٥) قوله مذ الغزو قال ابن جنى من رفع الغزو رفعه بالابتداء وخبره محذوف تقديره مذ الغزو واقع أو كائن ومن جره أراد مذ زمن الغزو فحذف المضاف . وسار خبر مبتدا محذوف أى هو سار يعنى الممدوح . ومسرج يجوز أن يكون من اضافة الوصف الى مرفوعه فيكون بفتح الراء أو الى منصوبه فيكون بكسرها وحكم ملجم كذلك . يقول : — كما قال سائر الشراح — مذ الغزو إلى اليوم وهو مشتغل بعمله فى فداء أسارى المسلمين من أيدى الروم لم يحط هذا الاشتغال سروج خيله عن ظهورها ولكنه سار وخيوله مسرجة ملجمة لا ينفك كذلك ، قال الواحدى وليس فى هذا مدح وانما المعنى أنه لا يقبل الفداء ولا يدع الغزو بل يغزو ولا يمنعه الفداء . قال وما بعد هذا من الابيات يدل على أن المعنى ماذكرنا

يَشُقُّ بِلَادَ الرُّومِ وَالنَّقْعُ أَبْلَقٌ بِأَسْيَافِهِ وَالْجَوُّ بِالنَّقْعِ أَدْهَمُ (١)
إِلَى الْمَلِكِ الطَّاغِي فَكَمْ مِنْ كَتِيبَةٍ تُسَايِرُ مِنْهُ حَتْفَهَا وَهْيَ تَعْلَمُ (٢)
وَمِنْ عَاتِقٍ نَصْرَانَةٍ بَرَزَتْ لَهُ أَسِيلَةِ خَدٍّ عَنْ قَرِيبٍ سَتُلْطَمُ (٣)
صُفُوفًا لِلَيْثٍ فِي لُيُوثٍ حُصُونُهَا مُتُونُ الْمَذَاكِي وَالْوَشِيجُ الْمُقَوَّمُ (٤)
تَغِيبُ الْمَنَايَا عَنْهُمُ وَهْوَ غَائِبٌ وَتَقْدُمُ فِي سَاحَاتِهِمْ حِينَ يَقْدُمُ (٥)
أَجِدَّكَ مَا تَنْفَكُّ عَانٍ تَفُكُّهُ عُمَرَ بْنَ سُلَيْمَانٍ وَمَالٌ تُقَسِّمُ (٦)

(١) النقع الغبار . والأبلق مافيه سواد وبياض. والأدهم الاسود . يقول : يخترق بلاد الروم وغبار جيشه أبلق بأسيافه — يريد سواد الغبار ولمعان السيوف — والجو من فوقه أسود بالغبار لأنه ليس فيه لمعان سيوف (٢) الى الملك متعلق بيشق والمراد بالملك الطاغى ملك الروم . والكتيبة الفرقة من الجيش .ومنه تجريد. والحتف الهلاك يقول: يخترق بلاد الروم الى الملك الطاغى،فكم من كتيبة للروم تعارض الممدوح فى مسيره اليها وهى تعلم أنه حتفها (٣) العاتق الشابة البكر . ونصرانة أى نصرانية تأنيث نصران . وخد أسيل ناعم طويل . يقول : كم من حسناء عاتق من نساء الروم برزت للممدوح عن سترها — لأنها سبيت — فهى تلطم وتهان وان كانت أسيلة الخد

(٤) صفوفا أى برزت صفوفا لأن عاتق ههنا فى معنى الجماعة فصفوفا حال منها . والمتون جمع متن الظهر . والمذاكى الخيل المسنة . والوشيج شجر تتخذ منه الرماح . يقول : برزت هذه العواتق صفوفا لهذا الممدوح الذى هو فى شجاعته كالأسد وقد قام فى جمع كالأسود قد تحصنت بالخيل والرماح

(٥) يقول : اذا غاب فلم يغزهم غاب عنهم الموت لأنه يكف عن قتلهم وان قدم اليهم أهلكهم فلذلك يقدم معه الموت (٦) نصب أجدك على المصدر كأنه قال أتجد جدك ومعناه أتجد هذا منك ، هذا أصله ثم صار افتتاحا للكلام . وعان أى أسير مبتدا خبره تفكه وجملة عان تفكه خبر تنفك . وعمر ترخيم عمر جرى فيه على مذهب الكوفيين وهو لحن عند البصريين لأن الاسم الثلاثى لا يجوز ترخيمه لأنه على أقل الأصول عددا فترخيمه اجحاف به . وقوله ومال تقسم أى نقسمه فحذف لدلالة المقام . يقول

مُكَافِيكَ مَنْ أَوْلَيْتَ دِينَ رَسُولِهِ يَدًا لَا تُؤَدِّي شُكْرَهَا الْيَدُ وَالْفَمُ (١)

عَلَى مَهَلٍ إِنْ كُنْتَ لَسْتَ بِرَاحِمٍ لِنَفْسِكَ مِنْ جُودٍ فَإِنَّكَ تُرْحَمُ (٢)

مَحَلُّكَ مَقْصُودٌ وَشَانِيكَ مُفْحَمٌ وَمِثْلُكَ مَفْقُودٌ وَنَيْلُكَ خِضْرِمُ (٣)

وَزَارَكَ بِي دُونَ الْمُلُوكِ تَحَرُّجِي إِذَا عَنَّ بَحْرٌ لَمْ يَجُزْ لِي التَّيَمُّمُ (٤)

فَعِشْ لَوْ فَدَى الْمَمْلُوكُ رَبًّا بِنَفْسِهِ

مِنَ الْمَوْتِ لَمْ تُفْقَدْ وَفِي الْأَرْضِ مُسْلِمُ (٥)

ماتنفك تفك اسيرا وتقسم مالا (١) مكافيك أصله الهمز ولكنه لينه للضرورة وهو خبر مقدم ومن أوليت مبتدا مؤخر . وأوليت أعطيت. ولا تؤدى شكرها اليد والفم أى لايؤدى شكرها فعلا ولا قولا يقول : ان مكافأتك انما هي عند الله الذى عززت دين رسوله بقوة لا يؤدى شكرها قولا ولا فعلا (٢) يقول : أرفق بنفسك فانك ان لم ترحمها من بذلك إياها فى الحرب فان الناس يرحمونك (٣) الشانى المبغض وأصله الهمز ولكن لينه للضرورة . والمفحم الساكت الذى لايقدر على النطق . والنيل العطاء . والخضرم الكثير . يقول : محلك مقصود يقصده العفاة وعدوك لايستطيع أن ينطق فيك بعيب لأنه لايجد لك عيبا يعيبك به وأنت منقطع النظير لأنك قد تفردت بأشياء لم يقدر عليها غيرك . وعطاؤك كثير (٤) التحرج تجنب الحرج وهو الاثم . وعن ظهر . يقول : تحرجى من أن أقصد غيرك من الملوك مع إمكان قصدك حملنى على إيثارك بالزيارة واختصاصك بها دونهم ، ثم ضرب له المثل بالبحر والملوك بالتراب وإذا حضر الماء بطل التيمم كما قال أبو تمام

لَبِسْتُ سِوَاهُ أَقْوَامًا فَكَانُوا كَمَا أَغْنَى التَّيَمُّمُ بِالصَّعِيدِ

هذا والباء فى قوله وزارك بى للتعدية تقول زرتك بزيد وزرتك زيدا وازرت زيدا اياك (٥) يقول : ان المسلمين جميعا مملوكون لك فلو كان يقبل المملوك فداء عن مالكه لم تمت مادام في الأرض مسلم واحد لأنهم يفدونك بأنفسهم

واجتاز بمكان يعرف بالفراديس من أرض قِنَّسْرِين
فسمع زئير الأسد فقال

أَجارُكِ يا أُسْدَ الفَرَادِيسِ مُكْرَمٌ فَتَسْكُنَ نَفْسِي أَمْ مُهَانٌ فَمُسْلَمُ (١)
وَرَائِي وَقُدَّامِي عُدَاةٌ كَثِيرَةٌ أُحَاذِرُ مِنْ لِصٍّ وَمِنْكِ وَمِنْهُمُ (٢)
فَهَلْ لَكِ فِي حِلْفِي عَلَى ما أُرِيدُهُ فَإِنِّي بِأَسْبَابِ المَعِيشَةِ أَعْلَمُ (٣)
إِذَا لَأَتَاكِ الخَيْرُ مِنْ كُلِّ وِجْهَةٍ وَأَثْرَيْتِ مِمَّا تَغْنَمِينَ وَأَغْنَمُ (٤)

وقال فى لعبة كانت تدور فسقطت عند بدر بن عمار

مَا نَقَلَتْ فِي مَشِيئَةٍ قَدَمَا وَلَا اشْتَكَتْ مِنْ دُوَارِهَا أَلَمَا (٥)
لَمْ أَرَ شَخْصاً مِنْ قَبْلِ رُؤْيَتِهَا يَفْعَلُ أَفْعَالَهَا وَمَا عَزَمَا
فَلَا تَلُمْهَا عَلَى تَوَاقُعِهَا أَطْرَبَهَا أَنْ رَأَتْكَ مُبْتَسِمَا (٦)

(١) يقول — مخاطبا أسود هذا المكان — : هل يكون من جاورك مكرما عزيزا فتسكن نفسى إلى جوارك أو يكون مهانا مخذولا (٢) يقول : انما أطلب جوارك لآمن هؤلاء الذين أخافهم وأحذرهم (٣) الحلف اسم من المحالفة وهي المعاهدة . يقول : هل لك رغبة فى معاهدتى على ما أريده من جوارك فانى أعلم منك بأسباب المعيشة والتصرف فى كسب الرزق ؟ وهذا كالترغيب لها في جواره

(٤) الوجهة الجهة والناحية . وأثريت أى كثر مالك . يقول : ان رغبت فى جوارى أقبل إليك الخير والرزق وكثر عندك المال مما تغنمينه أنت من الصيد واكسبه أنا من المال والغنيمة (٥) يقول : انها لا تنقل قدما فى مشيئتها وأرادتها ، يعنى لا قصد لها ولا ارادة فى تحركها ، ولا يأخذها فى دورانها دوار فتتألم به لأنه لا شعور لها ولا حس ، ويروى في مشية تصغير مشية (٦) تواقعها أى وقوعها وسقوطها قال ابن جنى : هذا البيت يناقض الأول لأنه وصفها بأنها لا تشاء ولا تحس بألم ثم جعلها تضطرب لابتسام الممدوح ، وليس بعيب فى صناعة الشعر لأنه مبنى على المحال

وقال يمدح علي بن احمد المُرّي الخراساني

لَا افْتِخَارٌ إِلَّا لِمَنْ لَا يُضَامُ ... مُدْرِكٍ أَوْ مُحَارِبٍ لَا يَنَامُ (١)

لَيْسَ عَزْمًا مَا مَرَّضَ الْمَرْءُ فِيهِ ... لَيْسَ هَمًّا مَا عَاقَ عَنْهُ الظَّلَامُ (٢)

وَاحْتِمَالُ الْأَذَى وَرُؤْيَةُ جَانِيـ ... ـهِ غِذَاءٌ تَضْوَى بِهِ الْأَجْسَامُ (٣)

ذَلَّ مَنْ يَغْبِطُ الذَّلِيلَ بِعَيْشٍ ... رُبَّ عَيْشٍ أَخَفُّ مِنْهُ الْحِمَامُ (٤)

كُلُّ حِلْمٍ أَتَى بِغَيْرِ اقْتِدَارٍ ... حُجَّةٌ لَاجِئٌ إِلَيْهَا اللِّئَامُ (٥)

(١) يقول : لافخر إلا لمن لايظلم لامتناعه وقوته على دفع الظلم وهو اما مدرك ماطلب أو محارب لاينام ولا يغفل حتى يدرك مطلوبه . هذا وكان الوجه أن يقول لافتخار بفتح الراء كما يقال لارجل فى الدار وانما يجوز الرفع مع النفى بلا اذا عطف عليه فيرفع وينون فيقال لارجل فى الدار ولا امرأة ولكنه اجازه بغير عطف لضرورة الشعر أولأنه جعل لابمعنى ليس وجعل من نكرة وجر مدرك أو محارب لأنهما وصف لها كما يقال مررت بمن عاقل أى بانسان عاقل (٢) يقول : لايعد عزما مامرض — قصر — الأنسان فيه اذ العازم على الشيء لايقصر فيه ، ولا يعد همة ما حال الظلام دون طلبه لأن ذا الهمة لا يعوقه دون ادراك طلبته شيء (٣) تضوى تهزل . يقول : ان الصبر على الأذى ورؤية من يجني عليك الأذى غذاء ينحل عليه البدن كما ينحل على الأطعمة الخبيثة ، يعني يشق على الأنسان ذلك حتى يفضي به الى النحول والضوى (٤) غبط الرجل يغبطه اذا تمنى أن يكون مثله دون أن يتمنى زوال نعمته والا كان حسدا . والحمام الموت . واخف خبر مقدم والحمام مبتدا مؤخر . يقول : من عاش فى ذل فليس له عيش يغبط عليه ومن غبطه على ذلك العيش الذليل فهو ذليل لأن الموت فى العز أخف من العيش فى الذل ، قال العكبرى . وهذا من قول الحكيم اذا لم تتصرف النفوس فى شهواتها ومرادها فحياتها موت ووجودها عدم ومن قول تأبط شرا

هُمَا خُطَّتَا إِمَّا إِسَارٌ وَمِنَّةٌ ... وَإِمَّا دَمٌ وَالْقَتْلُ بِالْحُرِّ أَجْدَرُ

«أراد خطتان فحذف النون طلبا للخفة» (٥) اللئيم الخسيس ضد الكريم . يقول : ان الحلم اذا لم يكن عن قدرة كان عجزا وهو حجة يحتج بها اللئام يسمون عجزهم عن مكافأة العدو حلما كما قال الآخر

مَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ الْهَوَانُ عَلَيْهِ ... مَا لِجُرْحٍ بِمَيِّتٍ إِيلَامُ (١)

ضَاقَ ذَرْعًا بِأَنْ أَضِيقَ بِهِ ذَرْ ... عًا زَمَانِي وَاسْتَكْرَمَتْنِي الْكِرَامُ (٢)

وَاقِفًا تَحْتَ أَخْمَصَيْ قَدْرِ نَفْسِي ... وَاقِفًا تَحْتَ أَخْمَصَيَّ الأَنَامُ (٣)

أَقَرَارًا أَلَذُّ فَوْقَ شَرَارٍ ... وَمَرَامًا أَبْغِي وَظُلْمِي يُرَامُ (٤)

دُونَ أَنْ يَشْرَقَ الْحِجَازُ وَنَجْدٌ ... وَالْعِرَاقَانِ بِالْقَنَا وَالشَّآمُ (٥)

شَرَقَ الْجَوُّ بِالْغُبَارِ إِذَا سَا ... رَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الْقَمْقَامُ (٦)

إِنَّ مِنَ الْحِلْمِ ذُلًّا أَنْتَ عَارِفُهُ ... وَالْحِلْمُ عَنْ قُدْرَةٍ فَضْلٌ مِنَ الْكَرَمِ

(١) يقول : اذا كان الانسان هينا فى نفسه سهل عليه احتمال الهوان كالميت الذى لا يتألم بالجراحة (٢) زمانى فاعل ضاق والذرع الطاقة وضاق بالأمر ذرعه وذراعه أى ضعفت طاقته ولم يجد من المكروه فيه مخلصا ولم يطقه ولم يقو عليه وأصل الذرع انما هو بسط اليد فكأنك تريد مددت يدى اليه فلم تنله وذرعا في قولهم ضاق به ذرعا نصبوه لأنه خرج مفسرا محولا لأنه كان فى الاصل ضاق ذرعى به فلما حول الفعل خرج قوله ذرعا مفسرا ومثله طبت به نفسا وقررت به عينا يقول : عجز الزمان عن أن يدخل على أمرا لا أحتمله ، أى لست أضيق بالزمان ذرعا وان كثرت ذنوبه واساآته الى ، ثم قال واستكرمتنى الكرام أى وجدنى الكرام كريما صبورا على نوائب الدهر غير جزوع ، ومن قولهم إستكرمت فاربط أى وجدت كريما فتمسك به

(٣) الأخمص باطن القدم ووافقا فى المصراعين حال . يقول : إذا علوت الأنام — الخلق — ووقفوا تحت أخمصى كنت فى تلك الحال واقفا تحت أخمص همتى أى أنى لم أبلغ مابلغته همتى وإن كنت فوق جميع الأنام لأن همتى تقتضى ماهو أسمى من ذلك

(٤) (٥) (٦) الهمزة للاستفهام الانكارى . والشرار ما تطاير من النار . والمرام المطلب . ويشرق يغص . والعراقان العراق العربى والعراق العجمى : والقنا الرماح . والشام الشام وأصله الهمز . والقمقام السيد . يقول : لا أستلذ القرار فوق شرار النار ، أى لا أصبر على مقاساة الذل ، ولا أبغى مطلبا مادام ظلمى يرام ويطلب ، كأنه يقول : لا أبغى مراما مالم أدفع الظلم عن نفسى وأترك هذه المواضع غاصة بالرماح كما يغص

الأَدِيبُ المُهَذَّبُ الأَصْيَدُ الضَّرْ ... بُ الذَّكِيُّ الجَعْدُ السَّرِيُّ الهُمَام (١)

وَالَّذِي رَيْبُ دَهْرِهِ مِنْ أُسَارَا ... هُ وَمِنْ حَاسِدِي يَدَيْهِ الغَمَام (٢)

يَتَدَاوَى مِنْ كَثْرَةِ المَالِ بِالاقْـ ... ـلَالِ جُودًا كَأَنَّ مَالاً سَقَام (٣)

حَسَنٌ فِي عُيُونِ أَعْدَائِهِ أَقْـ ... ـبَحُ مِنْ ضَيْفِهِ رَأَتْهُ السَّوَام (٤)

لَوْ حَمَى سَيِّدًا مِنَ المَوْتِ حَامٍ ... لَحَمَاكَ الإِجْلاَلُ وَالإِعْظَام (٥)

الجو بالغبار عند ركوب هذا الممدوح ، قال العكبرى : ولعل هذه البلاد قد كانت لآبائه ـ المتنبى ـ فاغتصبت منهم فهو يحاول أن يستردها . . وهذا من حماقته المعروفة ولابد له فى كل قصيدة من مثل هذا (١) الأصيد الملك العظيم الذى لا يلتفت كبرا . والضرب الماضى فى الأمور وأصله الخفيف اللحم . والجعد الكريم . والسرى الشريف . والهمام الذى ينفذ ما يهم به (٢) ريب الدهر صروفه ونوائبه . وأساراه جمع أسرى جمع أسير . يقول : انه حبس صروف الدهر على مراده فلا يتمكن ـ الدهر ـ من احداث شىء إلا ما يريده ولا يصيب أحدا إلا باذنه ، وقد تخرق فى الكرم وأطلق يديه بالبذل حتى صار الغمام ـ السحاب ـ حاسدا لهما لقصوره عنهما فى البذل والسخاء

(٣) يقول : كأن المال الكثير سقام وكأن الاقلال برء ذلك السقام فهو يتداوى من كثرة المال بالاقلال ، أى ببذل المال حتى يصير مقلا فيصير ذلك دواء له من الداء الذى هو الاكثار (٤) السوام الماشية . وقوله حسن أى هو حسن وتم الكلام ثم قال وهو فى عيون أعدائه أقبح من ضيفه فى عيون ماله الراعى لانه ينحر ابله للأضياف فهى تكرههم كما قال الآخر يصف الضيف

حَبِيبٌ إِلَى كَلْبِ الكَرِيمِ مُنَاخُهُ ... بَغِيضٌ إِلَى الكَوْمَاءِ وَالكَلْبُ أَبْصَرُ

فقوله فى عيون أعدائه ظرف لاقبح لا لحسن قدمه عليه كقولك زيد فى الدار أحسن منك (٥) لحماك الاجلال والاعظام أى لحماك من الموت اجلال الموت لك واعظامه إياك فلم يجسر عليك تهيبا ، وقال الواحدى . يقول : لو كان سيد محميا من الموت لحماك وحفظك منه اجلال الناس إياك واعظامهم ، أى أنهم يفدونك بنفوسهم من الموت لو قبل الفداء فكنت لا تموت

وَعَوَارٍ لَوَامِعٌ دِينُهَا الحِـــلُّ وَلَكِنَّ زِيَّهَا الإِحْرَامُ[1]

كُتِبَتْ فِي صَحَائِفِ المَجْدِ بِسْمٌ ثُمَّ قَيْسٌ وَبَعْدَ قَيْسٍ السَّلَامُ[2]

إِنَّمَا مُرَّةُ بْنُ عَوْفِ بْنِ سَعْدٍ جَمَرَاتٌ لَا تَشْتَهِيهَا النَّعَامُ[3]

(١) عوار عطف على الأجلال فى البيت السابق أى ولحماك سيوف عوار — مجردة — من الأغماد دينها استحلال قتل النفوس فهى لاتتحرج من شىء ولكن زيها الأحرام أى العرى كالمحرم فى الحج فانه يكون عاريا من الثياب (٢) يقول : كتب في صحائف المجد بسم الله — وهو افتتاح الكلام — ثم قيس — وهى قبيلة الممدوح — ثم السلام الذى يكتب فى أواخر الكتب، يعنى أن بنى قيس قد تفردوا بالمجد فلا يقال لغيرهم أهل مجد. هذا ومن قال بسم بالرفع أجرى الباء كبعض حروفها لطول صحبتها الاسم كما أنشد الفراء

فَلَا وَاللهِ لَا يُلْفَى لِمَا بِى وَلَا لِلِمَابِهِمْ أَبَدًا دَوَاءُ

وأنشد الآخر

وَكَاتِبٍ قَطَّطَ أَقْلَامَا وَخَطَّ بِسْمًا أَلِفًا وَلَامَا

ومن قال بسم بالخفض خفضه بالباء وأراد بسم الله وهذا قبيح جداً كما قال لواحدى أن يجعل مالبس من نفس الكلمة كالجزء منه ، وقوله وبعد قيس من كسر السين حذف التنوين لاجتماع الساكنين ومن نصب قيس ذهب إلى القبيلة فلم يصرفها للتعريف والتأنيث (٣) الجمرة كل قبيل انضموا فصاروا يدا واحدة ولم يحالفوا غيرهم قال أبو عبيدة جمرات العرب ثلاثة بنو ضبة بن أد وبنو الحرث بن كعب وبنو نمير بن عامر طفئت منهم جمرتان طفئت ضبة لأنها حالفت الرباب وطفئت بنو الحرث لأنها حالفت مذحج وبقيت نمير لم تطفأ لأنها لم تحالف ، وقال الجاحظ يقال لعبس وضبة ونمير الجمرات وانشد لأبى حية النميرى

لَنَا جَمَرَاتٌ لَيْسَ فِى الأَرْضِ مِثْلُهَا كِرَامٌ وَقَدْ جُرِّبْنَ كُلَّ التَّجَارِبِ

نُمَيْرٌ وَعَبْسٌ يُتَّقَى نَفَيَانُهَا وَضَبَّةُ قَوْمٌ بَأْسُهُمْ غَيْرُ كَاذِبِ

وهؤلاء يسمون جمرات لشوكتهم وشدتهم ، وقد فضل المتنبى هذه القبيلة على سائر الجمرات اذ جعلها لا تشتهيها النعام لأنها قبيلة ذات بأس وشدة لاذات جمر فى الحقيقة فهى جمرات حرب لاجمرات لهب والنعام تشتهى جمرة النار لفرط برودة فى طبعها

لَيْلُهَا صُبْحُهَا مِنَ النَّارِ وَالإِصْـــبَاحُ لَيْلٌ مِنَ الدُّخَانِ تِمَامُ (١)

هِمَمٌ بَلَّغَتْكُمُ رُتَبَاتٍ قَصُرَتْ عَنْ بُلُوغِهَا الأَوْهَامُ

وَنُفُوسٌ إِذَا انْبَرَتْ لِقِتَالٍ نَفِدَتْ قَبْلَ يَنْفَدُ الإِقْدَامُ (٢)

وَقُلُوبٌ مُوَطَّنَاتٌ عَلَى الرَّوْ عِ كَأَنَّ اقْتِحَامَهَا اسْتِسْلَامُ (٣)

قَائِدُوْ كُلِّ شَطْبَةٍ وَحِصَانٍ قَدْ بَرَاهَا الإِسْرَاجُ وَالإِلْجَامُ (٤)

(١) يقول : انهم يوقدون نار القرى ليلا ونهارا فليلهم صبح بضوء النار التي أوقدوها للأضياف ونهارهم ليل بسواد الدخان اذ يستر ضياء الشمس ويجوز أن يريد أنهم يغيرون فى النهار ويحاربون فيزول نور النهار بالغبار ، وهو معنى حسن وقد أخذه الحيص بيص فقال

نَفَى وَاضِحَ التَّشْرِيقِ عَنْ شَمْسِ أَرْضِهِ
دُخَانُ قُدُورٍ أَوْ عَجَاجَةُ قَسْطَلِ

وقوله تمام فليل التمام أطول ليالى الشتاء خصه لاشتداد ظلمته وأكثر ماجاء ليل التمام بالألف واللام والاضافة ولكنه أتبعه هنا للضرورة على أن المعنى تم بدونه وانما أتى به لأتمام القافية (٢) الانبراء التعرض للشيء . ونفد الشيء فنى . وقبل ينفد أى قبل أن ينفد يقول : أن نفوسهم لاتزال مقدمة فى الحرب حتى تفنى وإقدامها باق على حاله لانها لم تتأخر فتفادها قبل نفاد إقدامها ، ويجوز أن يكون المعنى انهم يعلمون الناس الاقدام فيفنون وإقدامهم باق ويجوز أيضا أن يريد أنهم متجسمون من الاقدام فاذا فنيت الروح فالجسم الباقى هو الاقدام (٣) توطين النفس على الشيء كالتمهيد قال ابن سيده وطن نفسه على الشيء وله فتوطنت حملها عليه فتحملت وذلت له قال كثير

فَقُلْتُ لَهَا يَا عَزَّ كُلُّ مُصِيبَةٍ إِذَا وُطِّنَتْ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتِ

وأراد بالروع الحرب . والاقتحام الدخول فى الحرب . والاستسلام طلب السلم والصلح يقول : كأن دخولهم فى الحرب طلب للسلم لاسترسالهم وانبساطهم

(٤) الشطبة الفرس الطويلة . وبراها هزلها ونحلها . وأراد براها أى الشطبة والحصان فاكتفى بضمير الاول كما فى قوله تعالى والله ورسوله أحق أن ترضوه

يَتَعَثَّرْنَ بِالرُّؤْسِ كَمَا مَرَّ بِتَاآتِ نُطْقِهِ التَّمْتَامُ (١)

طَالَ غِشْيَانُكَ الْكَرَائِهَ حَتَّى قَالَ فِيكَ الَّذِي أَقُولُ الْحُسَامُ (٢)

وَكَفَتْكَ الصَّفَائِحُ النَّاسَ حَتَّى قَدْ كَفَتْكَ الصَّفَائِحَ الأَقْلَامُ (٣)

وَكَفَتْكَ التَّجَارِبُ الْفِكْرَ حَتَّى قَدْ كَفَاكَ التَّجَارِبَ الإِلْهَامُ (٤)

فَارِسٌ يَشْتَرِي بِرَازَكَ لِلْفَخْـــرِ بِقَتْلٍ مُعَجَّلٍ لاَ يُلاَمُ (٥)

نَائِلٌ مِنْكَ نَظْرَةً سَاقَهُ الْفَقْـــرُ عَلَيْهِ لِفَقْرِهِ إِنْعَامُ (٦)

---

(١) يتعثرن أى الخيل . والتمتام الذى يتردد لسانه بالتاء . يقول : ان خيلهم تعثر برؤوس القتلى من الأعداء كما يعثر التمتام بالتاء ، يريد من كثرة القتلى لم يبق للخيل مجال إلا بين رؤوس القتلى (٢) غشيانك إتيانك . والكرائه جمع الكريهة والكريهة من أسماء الحرب فعيلة فى معنى مفعولة . والحسام السيف القاطع . يقول : طال إتيانك الحروب حتى إن السيف ليشهد لما أقول وأصفك به من الشجاعة والأقدام بانفلاله ، جعل ذلك ــ الانفلال ــ كالقول من السيف (٣) الصفائح السيوف العريضة يقول : هاب الناس سيوفك فكفوا عنك ولم تحتج إلى قتالهم ثم صرت الى أن كفتك الافلام السيوف لما استقر لك من الهيبة فى القلوب . والناس يروى البأس (٤) يقول : قد جربت الامور وعرفتها حتى لاتحتاج الى التفكر فيها ثم صار الصواب ديدنك حتى صرت لاتلهم سواه فكفاك إلهام الله التجارب . قال العكبرى : وهذا وما قبله من قول البحترى

يَوْمَ أَرْسَلْتَ مِنْ كَتَائِبِ آرَا ئِكَ جُنْدًا لاَ يَأْخُذَنَّ عَطَاءَ

وَيَوَدُّ الأَعْدَاءُ لَوْ تُضْعِفُ الْجَيْ شَ عَلَيْهِمْ وَتَصْرِفُ الآرَاءَ

(٥) البراز المبارزة وهى أن يبارز الرجل قرنه يقول : ان الفارس الذى يجعل نفسه قرينا لك ويبارزك في الحرب ينال بذلك فخراً عظيما فاذا قتلته كان قد اشترى الفخر بنفسه فلا يلام عليه (٦) يقول : الذى ينال منك نظرة ممن ساقه الفقر اليك أى دعاه فقره إلى زيارتك فان للفقر منة عليه ، لأنه كان سببا لهذه النظرة

خَيْرُ أَعْضَائِنَا الرُّؤُسُ وَلَكِنْ فَضَلَتْهَا بِقَصْدِكَ الأَقْدَامُ (١)

قَدْ لَعَمْرِي أَقْصَرْتُ عَنْكَ وَلِلْوَفْـ ـدِ ازْدِحَامٌ وَلِلْعَطَايَا ازْدِحَامُ (٢)

خِفْتُ إِنْ صِرْتُ فِي يَمِينِكَ أَنْ تَأْ خُذَنِي فِي هِبَاتِكَ الأَقْوَامُ (٣)

وَمِنَ الرُّشْدِ لَمْ أَزُرْكَ عَلَى الْقُرْ بِ عَلَى الْبُعْدِ يُعْرَفُ الإِلْمَامُ (٤)

وَمِنَ الْخَيْرِ بُطْءُ سَيْبِكَ عَنِّي أَسْرَعُ السُّحْبِ فِي الْمَسِيرِ الْجَهَامُ (٥)

قُلْ فَكَمْ مِنْ جَوَاهِرٍ بِنِظَامٍ وُدُّهَا أَنَّهَا بِفِيكَ كَلَامُ (٦)

---

(١) يقول : خير أعضاء الانسان الرأس لأنه مجمع الحواس وفيه الدماغ الذى هو محل العقل ولكن الاقدام صارت تقصدك أفضل من الرؤوس لأنها كانت آلة للسعى اليك وهذا كما قال أيضا

وَإِنَّ الفِئَامَ الَّتِي حَوْلَهُ لَتَحْسُدُ أَرْجُلَهَا الأَرْؤُسُ

(٢) اقصر عن الشيء تركه مع القدرة عليه . والوفد القوم الوافدون . يقول : لم آتك حين ازدحمت عليك الوفود وازدحمت عليهم عطاياك ، وتتمة المعنى فى البيت التالى

(٣) ذكر علة تأخره عنه وهى خوفه أن تأخذه الوفود فى جملة هباته، وهذا اغراق فى وصف كثرة عطاياه حتى يخاف شاعره وزائره أن يجعله من جملة تلك الهبات ، وهذا كقول البحترى

وَمَنْ لَوْ تُرَى فِي مِلْكِهِ عُدْتَ نَائِلاً لأَوَّلِ عَافٍ مِنْ مُرَجِّيهِ مُقْتِرِ

(٤) قوله على القرب تم الكلام عنده ثم استأنف مابعده . والألمام الزيارة . يقول: من اصابة الرشد انى لم أزرك وأنا قريب منك لأن حق الزيارة انما يعرف إذا كانت من موضع بعيد (٥) البطء اسم من الابطاء وهو التأخر . والسيب العطاء . والجهام السحاب الذى لاماء فيه . يقول : تأخر عطائك عنى أى تأخر وصوله الى بسبب تأخر زيارتى إياك يدل على كثرة ذلك العطاء كالسحاب انما يسرع منه ما كان جهاما ـ لاماء فيه ـ أما ما يكون فيه الماء فانه يكون ثقيل المشى (٦) يقول ـ للممدوح ـ قل وتكلم فان الجوهر المنظوم يتمنى أن يكون كلاما لك لحسن نطقك وانتظام كلماتك

هَابَكَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ فَلَوْ تَنْـــ ـهَاهُمَا لَمْ تَجُزْ بِكَ الْأَيَّامُ (١)

حَسْبُكَ اللهُ مَا تَضِلُّ عَنِ الْحَقِّ م وَمَا يَهْتَدِي إِلَيْكَ أَثَامُ (٢)

لِمَ لَا تَحْذَرُ الْعَوَاقِبَ فِي غَيْـــ ـرِ الدَّنَايَا أَوْ مَا عَلَيْكَ حَرَامُ (٣)

كَمْ حَبِيبٍ لَا عُذْرَ فِي اللَّوْمِ فِيهِ لَكَ فِيهِ مِنَ التُّقَى لُوَّامُ (٤)

رَفَعَتْ قَدْرَكَ النَّزَاهَةُ عَنْهُ وَثَنَتْ قَلْبَكَ الْمَسَاعِي الْجِسَامُ (٥)

إِنَّ بَعْضًا مِنَ الْقَرِيضِ هُذَاءٌ لَيْسَ شَيْئًا وَبَعْضَهُ أَحْكَامُ (٦)

مِنْهُ مَا يَجْلُبُ الْبَرَاعَةَ وَالْفَضْـــ ـلَ وَمِنْهُ مَا يَجْلُبُ الْبِرْسَامُ (٧)

---

(١) لم تجز لم تمر . يقول : ان الدهر يهابك ويأتمر بأمرك فلو نهيته عن المرور بك لم يمر ؛ أى لو أمرته أن يقف لوقف (٢) الآثام كسلام جزاء الأثم قال تعالى يلق أثاما وهو هنا الأثم . يقول : كافيك الله أى هو الذى يكفيك كل شر وغائلة فأنت مع الحق لاتضل عنه ولا يجد الاثم سبيلا اليك لانك لاتأتى ما تأثم به لعصمة الله إياك

(٣) الدنايا النقائص . وقوله أوما عليك حرام أى أو ما هو حرام عليك . يقول: أنت تقدم على المهالك وكل شىء ولا تفكر فى عاقبة شىء إلا ما كان من دنيئة أو شىء حرام فانت لاتقدم عليه ، فيقول لم تفعل ذلك ؟ وقال ابن القطاع : لم تلق نفسك فى المهالك أو ما تظن أن ذلك حرام ، يشير الى شجاعته ، وروى ابن حنى أما عليك حرام وقال يعنى لافراطك فى توقى الدنايا صار كأنه لاحرام عليك غيرها ، يعنى أنه لايفكر فى عاقبة شىء سوى الدنايا فكأنه لم يحرم عليه شىء (٤) يصفه بتقوى الله وخشيته يقول : كم حبيب يستحق المواصلة لتمام حسنه ولا تلام لو واصلته لكنك مع ذلك تتركه لتقوى الله فكأنك قد أقمت عليك من التقوى لواما يلومونك فيما لايوافق مقتضاها وقد أكد هذا بالبيت التالى (٥) يقول : نزاهتك وتباعدك عن الآثام رفعا قدرك عن مواصلته ، وصرفت قلبك عنه الأمور الجسام — العظام — التى تسعى فيها

(٦) القريض الشعر . وهذى يهذى هذاء وهذيانا إذا قال قولا لاطائل له . والأحكام جمع حكم بمعنى حكمة ، والبيت من الحديث ان من الشعر لحكما أى حكمة (٧) منه أى من

وورد على أبي الطيب كتاب من جدته لأمه تشكو شوقها اليه وطول غيبته عنها فتوجه نحو العراق ولم يمكنه وصول الكوفة على حالته تلك فانحدر الى بغداد وكانت جدته قد يئست منه فكتب اليها كتاباً يسألها المسير اليه فقبّلت كتابه وحمت لوقتها سروراً به وغلب الفرح على قلبها فقتلها فقال يرثيها

أَلَا لَا أُرِي الْأَحْدَاثَ حَمْدًا وَلَا ذَمًّا ... فَمَا بَطْشُهَا جَهْلًا وَلَا كَفُّهَا حِلْمًا (١)

إِلَى مِثْلِ مَا كَانَ الْفَتَى مَرْجِعُ الْفَتَى ... يَعُودُ كَمَا أُبْدِي وَيُكْرِي كَمَا أَزْمَى (٢)

لَكِ اللهُ مِنْ مَفْجُوعَةٍ بِحَبِيبِهَا ... قَتِيلَةِ شَوْقٍ غَيْرِ مُلْحِقِهَا وَصْمَا (٣)

أَحِنُّ إِلَى الْكَأْسِ الَّتِي شَرِبَتْ بِهَا ... وَأَهْوَى لِمَثْوَاهَا التُّرَابَ وَمَا ضَمَّا (٤)

القريض ـــ الشعر ـــ ما يجلبه الفضل والبراعة أي ما يكون عن فضل ومعرفة وتفوق ومنه ما يجلبه البرسام ـــ أي ما يكون عن مرض وهذيان ، فقوله ما يجلب أي ما يجلبه. والبرسام علة معروفة يقال برسم اذا خلط في مرضه (١) الأحداث نوب الدهر ومصائبه . والبطش الأخذ بغلبة وقوة . يقول: لا أحمد الحوادث السارة ولا أذم الضارة فانها إذا بطشت بنا أو آذتنا لم يكن ذلك جهلا منها واذا كفت عن البطش والضر لم يكن ذلك حلما ، يعني أن الفعل في جميع ذلك ليس لها وإنما تنسب الأفعال إليها استعارة ومجازا

(٢) أبدي هي أبدئ أي أبدأه الله أي خلقه فأصله الهمز ولينه للضرورة واكرى الشيء نقص . وأزمى أربى وزاد . يقول : ان كل واحد يرجع إلى مثل ما كان عليه من العدم ويعود إلى حالته الأولى كما أبدىء وينقص ما حدث فيه من الحياة كما زاد واذن لاذنب للحوادث حتى أذمها أو أحمدها/(٣) لك الله دعاء لها ومن من مفجوعة زائدة ومفجوعة في موضع نصب على التمييز. والوصم العيب. وعنى بحبيبها نفسه . يدعو لها ويقول هي مفجوعة قتلت بسبب شوقها إليه وليس هذا الشوق مما يلحق بها عيبا لأنه شوق الأم إلى ولدها (٤) يريد بالكأس التي شربت بها كأس الموت . ومثواها مقامها يعني القبر . يقول : لا أحب البقاء بعدها ، وأحب ـــ لأجل مقامها في التراب ـــ التراب

بَكَيْتُ عَلَيْهَا خِيفَةً فِى حَيَاتِهَا وَذَاقَ كِلَانَا ثُكْلَ صَاحِبِهِ قِدْمَا(١)

وَلَوْ قَتَلَ الْهَجْرُ الْمُحِبِّينَ كُلَّهُمْ مَضَى بَلَدٌ بَاقٍ أَجَدَّتْ لَهُ صَرْمَا(٢)

عَرَفْتُ اللَّيَالِى قَبْلَ مَا صَنَعَتْ بِنَا فَلَمَّا دَهَتْنِى لَمْ تَزِدْنِى بِهَا عِلْمَا(٣)

مَنَافِعُهَا مَا ضَرَّ فِى نَفْعِ غَيْرِهَا تَغَذَّى وَتَرْوَى أَنْ تَجُوعَ وَأَنْ تَظْمَا(٤)

وما ضمه التراب يعنى شخصها أو كل مدفون في التراب ، وحبه التراب يجوز أن يكون حبا للدفن فيه ويجوز أن يحب التراب لأنها فيه

(١) الثكل الفقد . وقدماقديما . يقول : كنت أبكي عليها فى حياتها خوفامن فقدها وضرب الدهر من ضربانه وفرق بيننا وتغربت عنها فذاق كل واحد منا ثكل صاحبه قبل الموت (٢) أجد بمعنى جدد ؛ والصرم القطيعة . يقول : لو كان الهجر يقتل كل محب كما قتلها هجرى لقتل بلدها أيضا ، يعنى أن بلدها كان يحبها لافتخاره بها لما لها عليه وعلى أهله من الافضال ولكن الهجر إنما يقتل بعض المحبين دون بعض (٣) يقول : كنت عالما بالليالى وتفريقها بين الأحبة قبل أن تصنع بنا هذا التفريق فلما دهتني هذه المصيبة لم تزدنى بها علما ، قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم من نظر بعين العقل ورأى عواقب الأمور قبل حلولها لم يجزع بحلولها ، ومن قول أبى تمام

حَلَّمَتْنِى زَعَمْتُمُ وَأَرَانِى قَبْلَ هَذَا التَّحْلِيمِ كُنْتُ حَلِيمًا

ومن قول بعض العرب وقد مات ولده فلم يجزع فقيل له فى ذلك فقال أمر كنا نتوقعه فلما وقع لم ننكره (٤) قال ابن فورجه الضمير فى منافعها للمرثية يعني أنها قتين — قليلة الطعم — تؤثر بالطعام على نفسها فتجوع وتظمأ لتنفع غيرها ، ثم جعل المصراع الثانى تفسيرا للمصراع الأول فقال غذاؤها وريها فى أن تجوع وتظما لأن سرورها بأطعام غيرها يقوم مقام شبعها وريها وعلى هذا فقوله ماضر تقديره ماضرها والجار والمجرور التاليان فى موضع الحال من فاعل ضر ، وقال الواحدى الضمير فى منافعها لليالى والأحداث يعنى أن منافع الليالى فى مضرة غيرها من الناس ثم فسر ذلك فقال غذاؤها وريها فى أن تجوع أيها المخاطب وتظمأ لولوعها بالأساءة بنا كأن ريها وشبعها فى جوعنا وظمئنا ، قال : ويروى نجوع ونظما بالنون على ماذكرنا من التفسير ، ويجوز أن يكون ان تجوع وأن تظما بالتاء خبرا عن الليالى والمعنى غذاؤها وريها جوعها .

أَتَاهَا كِتَابِي بَعْدَ يَأْسٍ وَتَرْحَةٍ ... فَمَاتَتْ سُرُورًا بِي فَمُتُّ بِهَا غَمًّا (١)

حَرَامٌ عَلَى قَلْبِي السُّرُورُ فَإِنَّنِي ... أَعُدُّ الَّذِي مَاتَتْ بِهِ بَعْدَهَا سُمًّا (٢)

تَعَجَّبُ مِنْ خَطِّي وَلَفْظِي كَأَنَّهَا ... تَرَى بِحُرُوفِ السَّطْرِ أَغْرِبَةً عُصْمَا (٣)

وَتَلْثِمُهُ حَتَّى أَصَارَ مِدَادُهُ ... مَحَاجِرَ عَيْنَيْهَا وَأَنْيَابَهَا سُحْمَا (٤)

رَقَا دَمْعُهَا الْجَارِي وَجَفَّتْ جُفُونُهَا ... وَفَارَقَ حُبِّي قَلْبَهَا بَعْدَ مَا أَدْمَى (٥)

وَلَمْ يُسْلِهَا إِلَّا الْمَنَايَا وَإِنَّمَا ... أَشَدُّ مِنَ السُّقْمِ الَّذِي أَذْهَبَ السُّقْمَا (٦)

طَلَبْتُ لَهَا حَظًّا فَفَاتَتْ وَفَاتَنِي ... وَقَدْ رَضِيَتْ بِي لَوْ رَضِيتُ بِهَا قِسْمَا (٧)

وعطشها أى لارى لها ولا شبع لانها لاتروى ولا تشبع من إهلاك الانفس وازهاق الارواح ، وتقدير ماضر فى نفع غيرها ما أثر فى نفع غيرها بالضرر كأنه قال منافعها فى ضر غيرها (١) الترحة الاسم من الترح وهو الحزن . يقول : اشتد حزنى عليها فكأنى مت بها غما وماتت هى من شدة سرورها بحياتى بعد اياسها منى (٢) يقول : السرور حرام على فانى بعد موتها بالسرور أعده سما فأتجنبه وأحرمه على نفسى (٣) تعجب بحذف إحدى التاءين أى تتعجب . والباء من قوله بحروف للتجريد . والأغربة جمع غراب . والعصم جمع أعصم وهو الذى فى جناحه بياض . والغراب الأعصم نادر الوجود . قال التبريزى : أنها كانت تتعجب من كتابى — عند رؤيته — حتى كأنها تنظر إلى مالا يوجد كالغراب الأعصم ، ووجه تعجبها أنه سافر عنها حتى يئست منه فلما نظرت إلى كتابه أكثرت النظر شغفا به لاعجبا حقيقيا (٤) المحاجر ماحول العينين . وسحما سودا . يقول : لم تزل تقبل كتابى وتضعه على عينيها حتى صارت أنيابها وما حول عينيها سودا بمداده — حبره — (٥) رقأ الدمع والدم انقطع فأصله الهمز ولكنه لينه هنا للضرورة . يقول : لما ماتت انقطع ما كان يجرى من دمعها على فراقى ويبست جفونها عن الدمع وسليت عنى بعدما أدمى حبى قلبها فى حياتها (٦) يقول : لم يسلها عنى إلا الموت والموت الذى أذهب سقمها بالحزن لأجلى كان أشد من السقم كما قال أبو تمام

أَقُولُ وَقَدْ قَالُوا اسْتَرَاحَتْ بِمَوْتِهَا ... مِنَ الْكَرْبِ رَوْحُ الْمَوْتِ شَرٌّ مِنَ الْكَرْبِ

(٧) يقول : انما سافرت وفارقتها لأطلب لها حظا من الدنيا ففاتتنى هى بموتها

فَأَصْبَحْتُ أَسْتَسْقِي الْغَمَامَ لِقَبْرِهَا
وَقَدْ كُنْتُ أَسْتَسْقِي الْوَغَى وَالْقَنَا الصُّمَّا(١)
وَكُنْتُ قَبِيلَ الْمَوْتِ أَسْتَعْظِمُ النَّوَى
فَقَدْ صَارَتِ الصُّغْرَى الَّتِي كَانَتِ الْعُظْمَى(٢)
هَبِينِي أَخَذْتُ الثَّأْرَ فِيكِ مِنَ الْعِدَا فَكَيْفَ بِأَخْذِ الثَّأْرِ فِيكِ مِنَ الْحُمَّى(٣)
وَمَا انْسَدَّتِ الدُّنْيَا عَلَيَّ لِضِيقِهَا وَلَكِنَّ طَرْفًا لَا أَرَاكِ بِهِ أَعْمَى(٤)
فَوَا أَسَفَا أَنْ لَا أُكِبَّ مُقَبِّلًا لِرَأْسِكِ وَالصَّدْرِ الَّذِي مُلِئَا حَزْمَا(٥)
وَأَنْ لَا أُلَاقِي رُوحَكِ الطَّيِّبَ الَّذِي كَأَنَّ ذَكِيَّ الْمِسْكِ كَانَ لَهُ جِسْمَا(٦)

وفاتنى ذلك الحظ لأنى لم أدركه وكانت قد رضيت بى حظا من الدنيا لو كنت قد رضيت أنا بها (١) استسقى طلب السقيا . والغمام السحاب . والوغى الحرب . والقنا الرماح . والصم الصلاب . يقول : بعد أن كنت أستسقى الحرب والرماح دماء الأعداء صرت استسقى السحاب قبرها فأقول سقى الله قبرها على عادة العرب فى الدعاء للقبور بسقيا السماء ، يعنى تركت الحرب وجدابها واشتغلت بالدعاء لها (٢) يقول : كنت قبل موتها أستعظم فراقها فلما ماتت صارت حادثة الفراق صغيرة وكانت عظيمة ، يعنى أن موتها أعظم من فراقها (٣) يقول : اجعلينى واحسبينى بمنزلة من أخذ تأرك من الأعداء لو قتلوك فكيف آخذ تأرك من العلة التى قتلتك وهى العدو الذى لا سبيل اليه

(٤) يقول : انه قد صار لفقدها كالأعمى فانسدت عليه المسالك لذلك لا لأن الدنيا قد ضاقت (٥) أكب على الشىء مثل انكب : والذى أراد اللذين فحذف النون لطول الاسم بالصلة وقيل بل هى لغة فى تثنية اللذ . يقول : ما أشد حزنى أن لا أكب عليك مقبلا رأسك وصدرك اللذين ملئا حزامة وعقلا . يتأسف لغيبته لدى وفاتها وانه لم يودعها قبل دفنها (٦) يقول : وواسفى أنى لا ألقى روحك الطاهر الذى كأن جسمه — أى جسم ذلك الروح — من المسك الذكى الشديد الرائحة

وَلَوْ لَمْ تَكُونِي بِنْتَ أَكْرَمِ وَالِدٍ ... لَكَانَ أَبَاكِ الضَّخْمَ كَوْنُكِ لِي أُمَّا (١)

لَئِنْ لَذَّ يَوْمُ الشَّامِتِينَ بِيَوْمِهَا ... فَقَدْ وَلَدَتْ مِنِّي لِأَنْفِهِمِ رَغْمَا (٢)

تَغَرَّبَ لَا مُسْتَعْظِمًا غَيْرَ نَفْسِهِ ... وَلَا قَابِلًا إِلَّا لِخَالِقِهِ حُكْمَا (٣)

وَلَا سَالِكًا إِلَّا فُؤَادَ عَجَاجَةٍ ... وَلَا وَاجِدًا إِلَّا لِمَكْرُمَةٍ طَعْمَا (٤)

يَقُولُونَ لِي مَا أَنْتَ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ ... وَمَا تَبْتَغِي مَا أَبْتَغِي جَلَّ أَنْ يُسْمَى (٥)

كَأَنَّ بَنِيهِمْ عَالِمُونَ بِأَنَّنِي ... جَلُوبٌ إِلَيْهِمْ مِنْ مَعَادِنِهِ الْيُتْمَا (٦)

وَمَا الْجَمْعُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالنَّارِ فِي يَدِي ... بِأَصْعَبَ مِنْ أَنْ أَجْمَعَ الْجَدَّ وَالْفَهْمَا (٧)

(١) الضخم العظيم . والجدة تسمى أما . يقول: لو لم يكن أبوك أكرم والد لكانت ولادتك اياى بمنزلة أب عظيم تنسبين اليه،أى اذا قيل لك أم أى الطيب قام ذلك مقام نسب عظيم لو لم يكن لك نسب (٢) لذ طاب . والشامت الفرح بمصيبة عدوه . وبيومها أى بيوم موتها . ومنى تجريد . يقول : ان كانوا قد شمتوا بموتها فقد خلفت منى من يرغم أنوفهم أي يلصقها بالرغام — التراب — أى يذلهم ويقهرهم

(٣) يقول : ولدت منى رجلا تغرب عن بلاده أى خرج عن بلده إلى الغربة لأنه لايستعظم غير نفسه فأراد أن يغادر الذين كانوا يتعظمون عليه بغير استحقاق ، ولا يقبل حكم أحد عليه الا حكم الله الذى خلقه (٤) العجاجة الغبار . يقول . ولاأسلك طريقا إلا قلب غبار الحرب، ولا أستلذ طعم شيء إلا طعم المكارم ، يعنى لا أجد لذتى إلا فى الحرب والمكارم (٥) يقول : يقول الناس لى لما يرون من كثرة اسفارى أى شيء أنت فانا نراك فى كل بلدة وما الذى تطلبه ؟ فأقول لهم إن ما اطلبه أجل من أن يذكر اسمه ، يعنى قتل الملوك والاستيلاء على ملكهم (٦) اليتما مفعول لجلوب والضمير فى معادنه لليتم . يقول : ان ابناء هؤلاء الذين يسألون عن حالى وسفرى كأنهم يعلمون أنى أجلب اليهم اليتم واصيرهم يتامى بقتل آبائهم،أى فهم لذلك يبغضونى

(٧) الجد الحظ والبخت يقول : ان الفهم والعلم والعقل لا تجتمع مع الحظ فى الدنيا وليس الجمع بين الضدين كالماء والنار باصعب من الجمع بين الحظ والفهم ، أى فهما لايجتمعان كما لا يجتمع الضدان ، وهذا كالتفسير لقول الحمدونى

إِنَّ الْمُقَدَّمَ فِي حِذْقٍ بِصَنْعَتِهِ ... أَنَّى تَوَجَّهَ فِيهَا فَهْوَ مَحْرُومُ

وَلٰكِنَّنِى مُسْتَنْصِرٌ بِذُبَابِهِ ... وَمُرْتَكِبٌ فِى كُلِّ حَالٍ بِهِ الْغَشْمَا (١)

وَجَاعِلُهُ يَوْمَ اللِّقَاءِ تَحِيَّتِى ... وَإِلاَّ فَلَسْتُ السَّيِّدَ الْبَطَلَ الْقَرْمَا (٢)

إِذَا قَلَّ عَزْمِى عَنْ مَدَى خَوْفُ بُعْدِهِ ... فَأَبْعَدُ شَىْءٍ مُمْكِنٌ لَمْ يَجِدْ عَزْمَا (٣)

وَإِنِّى لِمَنْ قَوْمٍ كَأَنَّ نُفُوسَنَا ... بِهَا أَنَفٌ أَنْ تَسْكُنَ اللَّحْمَ وَالْعَظْمَا (٤)

كَذَا أَنَا يَا دُنْيَا إِذَا شِئْتِ فَاذْهَبِى ... وَيَا نَفْسُ زِيدِى فِى كَرَائِهِهَا قُدْمَا (٥)

---

(١) بذبابه أى بذباب السيف وإن لم يتقدم له ذكر لدلالة المقام، وذباب السيف حده . والغشم الظلم . يقول : لكنى إن لم أقدر على الجمع بين الجد والفهم أطلب النصرة بذباب السيف وأركب الظلم فى كل حال ، يعنى أظلم أعدائى بسيفى

(٢) القرم فى الأصل البعير الذى لايحمل عليه وانما يعد للفحلة وهو هنا السيد . يقول : وأجعل أعدائى يوم الحرب بسيفى ، أى اجعله لهم بدل التحية كما قال عمرو ابن معد يكرب

وَخَيْلٍ قَدْ دَلَفْتُ لَهَا بِخَيْلٍ ... تَحِيَّةُ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وَجِيعُ

(٣) قل يروى بالقاف وبالقاف فبالقاف يرتفع خوف لانه فاعل وبالقاف ينتصب على المفعول له وقل السيف ثلمه استعاره للعزم على تشبيهه بالسيف.والمدى الغاية . وأبعد شىء مبتدا خبره ممكن . يقول : إذا أضعف عزمى عن غاية خوف بعد تلك الغاية فان الممكن وجوده لاينال أيضا إذا لم يكن لدى طالبه عزم ، يعنى لايدرك شىء ألبتة إلا بالعزم عليه وإذا كنت تحتاج إلى العزم لنيل القريب وتدركه بالعزم فاعزم أيضا على البعيد لتناله ولا يمنعك منه خوف بعده فانه يقرب بالعزم ويمكن (٤) الأنف الاستنكاف من الشىء . يقول : إنى من قوم ديدنهم التعرض أبدا للحرب ليقتلوا فكأن نفوسنا ترى السكنى فى أجسادهى لحم وعظم عارا تأنف منه ومن ثم تتطلع لسكنى غيرها لتتخلص من هذا العار ، أى تختار القتل على الحياة . قال الواحدى : ولو قال كأن نفوسهم لسكان أوجه لاعادة الضمير على لفظ الغيبة لكنه قال نفوسنا لأنهم هم القوم الذين عناهم ولأن هذا أمدح (٥) الكرائه جمع كريهة فعيلة بمعنى مفعولة . يقول ـ للدنيا ـ : أنا كما وصفت نفسى لا أقبل ضيما ولا أسف لدنية فاذهبى عنى إن شئت

فَلَا عَبَرَتْ بِي سَاعَةٌ لَا تَعُزُّنِي وَلَا صَحِبَتْنِي مُهْجَةٌ تَقْبَلُ الظُّلْمَا (١)

وقال يمدح الأمير أبا محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج بالرملة

أَنَا لَائِمِي إِنْ كُنْتُ وَقْتَ اللَّوَائِمِ عَلِمْتُ بِمَا بِي بَيْنَ تِلْكَ المَعَالِمِ (٢)

وَلَكِنَّنِي مِمَّا شُدِهْتُ مُتَيَّمٌ كَسَالٍ وَقَلْبِي بَائِحٌ مِثْلُ كَاتِمِ (٣)

وَقَفْنَا كَأَنَّا كُلُّ وَجْدٍ قُلُوبِنَا تَمَكَّنَ مِنْ أَذْوَادِنَا فِي القَوَائِمِ (٤)

وَدُسْنَا بِأَخْفَافِ المَطِيِّ تُرَابَهَا فَلَا زِلْتُ أَسْتَشْفِي بِلَثْمِ المَنَاسِمِ (٥)

فلست أبالى بك ، وبانفس زيدى قدما — أى تقدما — فيما تكرهه الدنيا من التعزز والتعظم عليها وترك الانقياد لها ، قال الواحدى : وإن شئت قلت فى كراتها أى فى كراتها أهلها يعنى زيدى تقدما في الحروب وهى — الحروب — مكروهة عند أهل الدنيا ولذلك تسمى الحرب الكريهة فيكون الكلام من باب حذف المضاف

(١) يقول : لامرت بى ساعة — لحظة — لا أكون فيها عزيزا ، ولا صحبتنى نفس تقبل أن يظلمها أحد (٢) أنا لائمى أى أنا لائم نفسى ان كنت الخ وفيه معنى القسم وأثبت ألف أنا ضرورة لأنها لاتثبت لفظا إلا فى الوقف . وقوله وقت اللوائم أى وقت لوم اللوائم . والمعالم أى معالم ديار الأحبة وهى حيث تظهر علامات الراحلين عن الديار من آثار النار والدواب والخيام . يذكر وقوفه على ديار الأحبة وما أصابه من الدهش والوجد لفرقتهم مما أذهب عقله حتى لم يشعر بما كان منه من الجزع والبكاء . يقول : ان كنت حين تلومنى اللوائم على فرط جزعى علمت مابى وما الذى دهانى هناك فأنا لائمى أى فأنا لائم نفسى فى قصور محبتى لأن ثبات علمى وعقلى معى فى ديارهم بعد ارتحالهم دليل على أن هواى قاصر (٣) شده الرجل كدهش فهو مشدوه إذا تحير ويروى مما ذهلت . والمتيم الذى تيمه الحب أى عبده وذلله . يقول : ولكننى من فرط دهشى وذهولى حتى كأننى ذهلت عن الهوى صرت كالسالى مع أنى متيم وباح قلبى بما فيه من الوجد وهو مع ذلك كالكاتم لأنه لم يقصد البوح ولا يدرى ما فعل

(٤) الأذواد جمع ذود وهو ما بين الثلاثة إلى العشرة من الأبل يقول : أطلنا الوقوف هناك فتمكن مافى قلوبنا من الوجد حل في قوائم أبلنا لأنها وقفت ولم تبرح

(٥) المناسم جمع المنسم وهو للخف كالسنبك للحافر . يقول : لما وطئت الأبل

دِيارُ اللَّوَاتِي دَارُهُنَّ عَزِيزَةٌ بِطُولِ الْقَنَا يُحْفَظْنَ لَا بِالتَّمَائِمِ (١)
حِسَانُ التَّثَنِّي يَنْقُشُ الْوَشْيُ مِثْلَهُ إِذَا مِسْنَ فِي أَجْسَامِهِنَّ النَّوَاعِمِ (٢)
وَيَبْسِمْنَ عَنْ دُرٍّ تَقَلَّدْنَ مِثْلَهُ كَأَنَّ التَّرَاقِي وُشِّحَتْ بِالْمَبَاسِمِ (٣)
فَمَالِي وَلِلدُّنْيَا طِلَابِي نُجُومُهَا وَمَسْعَايَ مِنْهَا فِي شُدُوقِ الْأَرَاقِمِ (٤)

تراب تلك المعالم جعلت أطلب شفاء ما بى بدثم — تقبيل — أخفاؤها لأنه علق بها ذلك التراب ، وفيه نظر إلى قول الآخر

أَمْسَحُ الرَّبْعَ بِخَدِّي أَنْ مَشَى فِيهِ الْخَلِيلُ

(١) القنا الرماح . والتمائم جمع تميمة العوذة . يقول : ديارهن منيعة لا يتوصل إليها ، وهن يحفظن بالرماح لا بالعوذ (٢) الوشى النقش فى الثوب والثياب المنقوشة . ومسن تبخترن . يقول : لنعومة أبدانهن ورقتهن إذا مشين متبخترات ينقش الوشى فى جلودهن مثل صورته كما قال السرى الرفاء

رَقَّتْ عَنِ الْوَشْيِ نَعْمَةً فَإِذَا صَافَحَ مِنْهَا الْجُسُومَ وَشَّاهَا

وفى مثل هذا يقول الآخر

رَقَّ فَلَوْ مَرَّتْ بِهِ نَمْلَةٌ مُنْعَلَّةٌ أَرْجُلُهَا بِالْحَرِيرِ
لَأَثَّرَتْ فِيهِ كَمَا أَثَّرَتْ مُدَامَةٌ فِي عَارِضٍ مُسْتَدِيرِ

(٣) التراقى جمع ترقوة وهى العظام التى فوق الصدر . والمباسم جمع المبسم الثغر . يقول : ان ثغورهن فى الصفاء وحسن النظم مثل الدر الذى تقلدنه فكأن تراقيهن حليت بثغورهن ، وفى مثل هذا يقول الآخر

تِلْكَ الثَّنَايَا مِنْ عِقْدِهَا نُظِمَتْ أَمْ نُظِمَ الْعِقْدُ مِنْ ثَنَايَاهَا

(٤) طلابى أى مطلوبى مبتدأ خبره نجومها . والأراقم ذكور الحيات . يشكو الدنيا وأنها لا تسعفه ولا تحقق ما يطلبه . يقول : مالى وللدنيا أطلب معالى الامور وأنا مرتبك فى نوائبها وخطوبها ؟ يعنى أن الدنيا عكست عليه الامر هو يطلب المعالى وهى تدفعه عنها بما توقعه فيه من النوائب . وكنى بنجوم الدنيا عما فيها من الشرف والمجد والذكر وبشدوق الاراقم عن الخطوب المهلكة والنوائب المفظعة

مِنَ الحِلْمِ أَنْ تَسْتَعْمِلَ الجَهْلَ دُونَهُ ... إِذَا اتَّسَعَتْ فِي الحِلْمِ طُرْقُ المَظَالِمِ (١)

وَأَنْ تَرِدَ المَاءَ الَّذِي شَطْرُهُ دَمٌ ... فَتَسْقَى إِذَا لَمْ يُسْقَ مَنْ لَمْ يُزَاحِمِ (٢)

وَمَنْ عَرَفَ الأَيَّامَ مَعْرِفَتِي بِهَا ... وَبِالنَّاسِ رَوَّى رُمْحَهُ غَيْرَ رَاحِمِ (٣)

فَلَيْسَ بِمَرْحُومٍ إِذَا ظَفِرُوا بِهِ ... وَلَا فِي الرَّدَى الجَارِي عَلَيْهِمْ بِآثِمِ (٤)

إِذَا صُلْتُ لَمْ أَتْرُكْ مَصَالًا لِصَائِلٍ ... وَإِنْ قُلْتُ لَمْ أَتْرُكْ مَقَالًا لِعَالِمِ (٥)

وَإِلَّا فَخَانَتْنِي القَوَافِي وَعَاقَنِي ... عَنِ ابْنِ عُبَيْدِ اللهِ ضَعْفُ العَزَائِمِ (٦)

عَنِ المُقْتَنِي بَذْلَ التِّلَادِ تِلَادَهُ ... وَمُجْتَنِبِ البُخْلِ اجْتِنَابَ المَحَارِمِ (٧)

---

(١) الحلم الاناة والعقل . والجهل هنا نقيض الحلم . والمظالم جمع المظلمة بكسر اللام وهى الظلم . يقول : اذا كان حلمك داعيا إلى ظلمك فان من الحلم أن تجهل لان الحلم إنما يلجأ إليه لتدارك الشر فاذا تفاقم به الشر ولم يتدارك الشر الا بالجهل كان الجهل حلما

فلا خيرَ فى حلم إذا لم يكنْ له ... بوادرُ تحمى صفوَه أن يُكدَّرَا

وهذا معنى قديم تداوله الشعراء وغير الشعراء كثيرا (٢) يقول : ومن الحلم أن ترد الماء الذى كثر القتل عليه حتى امتزج بدماء المقتولين عليه . يعنى أن تزاحم على الامر المتنافس عليه ، وهذا المعنى ينظر إلى قول القائل

لا يَشْرَبُ الماءَ إلَّا من قَلِيبِ دَمٍ ... ولَا يَبِيتُ لَهُ جارٌ على وَجَلِ

(٣) و (٤) يقول : من عرف الناس حق المعرفة كمعرفتى أنا بهم قتلهم غير راحم لهم لأنهم اذا ظفروا بمن عرفهم لم يرحموه فاذا قتلهم والحالة هذه فلا اثم عليه على أنه ان لم يبادر بقتلهم فانهم ميتون البتة حتف أنوفهم وهذا هو مغزى قوله الردى الجارى عليهم (٥) صال عليه وثب واستطال يريد أنه بلغ الغاية فى الشجاعة والعلم فاذا صال أو قال أوفى على الغاية وكفى غيره وكان المقدم الذى لايجارى ولا يشق له غبار

(٦) يقول : وان كنت كاذبا فيما قلت فلا وفت لى القوافى ـ القصائد ـ أى الشعر ـ حتى أعجز عن نظمها ، وضعفت عزيمتى فى قصد الممدوح حتى يعوقنى عنه ضعف عزمى أى فلا أصل بقصدى عنه إلى المطلوب ويكون حرمانى من افضاله كالعقوبة لى على ذلك

(٧) التلاد والتليد المال القديم الموروث نقيض الطارف والطريف . يقول : عن

تَمَنَّى أَعَادِيهِ مَحَلَّ عفَاتِهِ وَتَحْسُدُ كَفَّيْهِ ثِقَالُ الْغَمَائِمِ (١)
وَلاَ يَتَلَقَّى الْحَرْبَ إِلاَّ بِمُهْجَةٍ مُعَظَّمَةٍ مَذْخُورَةٍ لِلْعَظَائِمِ (٢)
وَذِي لَجَبٍ لاَ ذُو الْجَنَاحِ أَمَامَهُ بِنَاجٍ وَلاَ الْوَحْشُ الْمُثَارُ بِسَالِمِ (٣)
تَمُرُّ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَهْيَ ضَعِيفَةٌ تُطَالِعُهُ مِنْ بَيْنِ رِيشِ الْقَشَاعِمِ (٤)

الذى يحرص على بذل ماله التالد كما يحرص غيره على حفظ تلاده وعبارة الواحدى أى عن الذى يدخر البذل مالا فيقوم بذل ماله مقام مايقتنيه ، يعنى أنه يلازم البذل ملازمة المال المقتنى . « هذا » وخص التلاد لأنه اذا كان هذا فعله بالمال القديم فكيف بالحادث (١) العفاة جمع عاف وهو طالب المعروف . والغمائم السحائب واراد بكونها ثقالا أن ماءها كثير . يقول : أن أعداءه يتمنون أن يكونوا فى مكان عفاته منه لأن عفاته منه فى أمان من نوائب الدهر وهذا أقصى مايتمناه أعداؤه ، ويجوز أن يكون المعنى أن عفاته يغيرون على أمواله ويترفهون فى نعمائه وهذا مايتمناه أعاديه ، ثم قال ان السحاب المثقل بالماء يحسد كفيه لأنهما أندى منه فلهذا يحسدهما لعجزه عن ادراكهما

(٢) المهجة النفس . يقول : ولا يستقبل الحرب إلا بنفس مرفوعة عن الدنايا لاتسف لأمر دنئ وهى مدخرة لكفاية الأمور العظيمة التى لاتكفى إلا بمثله

(٣) وذى لجب عطف على مهجة أى ولا يتلقى الحرب إلا بجيش ذى لجب الخ واللجب اختلاط الأصوات . والمثار الذى أثاره الخوف من مكمنه . قال ابن فورجه المعنى عندى ان هذا الجيش جيش ملك تصحبه الفهود والبزاة والكلاب فلا الطائر يسلم منه ولا الوحش ، قال : ونكت بقوله المثار فان الجيش الكثير يثير ما كمن من الوحوش ، لأجل ذلك قال مالك بن الريب

بِجَيْشٍ لُهَامٍ يَشْغَلُ الْأَرْضَ جَمْعُهُ عَلَى الطَّيْرِ حَتَّى مَا يَجِدْنَ مَنَازِلاَ

وقال التبريزى : اذا طار ذو الجناح أمامه فليس بناج لكثرة الرماة فى الجيش وان ثار وحش أخذ ، وقال ابن جنى . الجيش يصيد الوحوش والعقبان فوقه تسايره

* ثِقَةً بِالشِّبْعِ مِنْ جُزَرِهِ *

فتخطف الطير أمامه (٤) القشاعم النسور . يقول : تمر الشمس على هذا الجيش وهى ضعيفة من شدة غباره او من كثرة عقبانه التى تحيم عليه وتتبعه ولا ينفذ ضوؤها

إذَا ضَوْؤُهَا لَاقَى مِنَ الطَّيْرِ فُرْجَةً تَدَوَّرَ فَوْقَ الْبَيْضِ مِثْلَ الدَّرَاهِمِ (١)

وَيَخْفَى عَلَيْكَ الْبَرْقُ وَالرَّعْدُ فَوْقَهُ مِنَ اللَّمْعِ فِى حَافَاتِهِ وَالْهَمَاهِمِ (٢)

أَرَى دُونَ مَا بَيْنَ الْفُرَاتِ وَبَرْقَةٍ ضِرَابًا يُمَشِّى الْخَيْلَ فَوْقَ الْجَمَاجِمِ (٣)

وَطَعْنَ غَطَارِيفٍ كَأَنَّ أَكُفَّهُمْ عَرَفْنَ الرَّدَيْنِيَّاتِ قَبْلَ الْمَعَاصِمِ (٤)

حَمَتْهُ عَلَى الْأَعْدَاءِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ سُيُوفُ بَنِى طُغْجِ بْنِ جُفِّ الْقَمَاقِمِ (٥)

اليه إلا من خلال ريش النسور وهو ماذكره فى البيت التالى (١) الفرجة بضم الفاء الخلل بين الشيئين أى الانفراج أما بفتح الفاء فهى التفصى من الهم ونحوه قال أمية بن أبى الصلت

لاتَضِيقَنَّ فِى الْأُمُورِ فَقَدْ تُكْـ ـشَفُ غَمَّاؤُهَا بِغَيْرِ احْتِيَالِ

رُبَّمَا تَكْرَهُ النُّفُوسُ مِنَ الْأَمْـ ـرِ لَهُ فَرْجَةٌ كَحَلِّ الْعِقَالِ

والبيض جمع بيضة وهى الخوذة . شبه ما يتساقط من الضوء فى فرج أجنحة الطير بالدراهم وشبهه فى موضع آخر بالدنانير وهو قوله

وَأَلْقَى الشَّرْقُ مِنْهَا فِى ثِيَابِى دَنَانِيرًا تَفِرُّ مِنَ الْبَنَانِ

(٢) حافاته جوانبه . والهماهم جمع همهمة وهو صوت يتردد فى الصدر لايفهم . يقول : لكثرة ما فى ذلك الجيش من بريق الأسلحة ولمعانها يخفى عليك البرق اذا برقت السماء فلا تعرفه لغلبة ضوئها عليه، ولكثرة ما فيه من الأصوات وشدتها يخفى عليك الرعد (٣) الفرات النهر المعروف وبرقة قرية في العراق . يقول : أرى دون وصول الأعداء إلى هذا الموضع محاربة بالسيوف يكثر فيها قطع الرؤس حتى تطأها الخيل فتمشى فوق جماجم القتلى (٤) طعن عطف على ضرابا . والغطاريف جمع غطريف وهو السيد الكريم والردينيات جمع ردينى وهو الرمح نسبة إلى ردينة امرأة من العرب كانت تقوم الرماح . والمعاصم جمع معصم وهو موضع السوار من الساعد يصف قوم الممدوح . يقول : لحذقهم بالطعان كأنهم عرفوا الرماح قبل أن تشد على سواعدهم ، أى فى طفولتهم

(٥) الضمير فى حمته عائد على مابين الفرات وبرقة . وطغج بن جف جد الممدوح

هُمُ الْمُحْسِنُونَ الْكَرَّ فِي حَوْمَةِ الْوَغَى وَأَحْسَنُ مِنْهُ كَرُّهُمْ فِي الْمَكَارِمِ (١)
وَهُمْ يُحْسِنُونَ الْعَفْوَ عَنْ كُلِّ مُذْنِبٍ وَيَحْتَمِلُونَ الْغُرْمَ عَنْ كُلِّ غَارِمِ (٢)
حَيِيُّونَ إِلَّا أَنَّهُمْ فِي نِزَالِهِمْ أَقَلُّ حَيَاءً مِنْ شِفَارِ الصَّوَارِمِ (٣)
وَلَوْلَا احْتِقَارُ الْأُسْدِ شَبَّهْتُهَا بِهِمْ وَلَكِنَّهَا مَعْدُودَةٌ فِي الْبَهَائِمِ (٤)
سَرَى النَّوْمُ عَنِّي فِي سُرَايَ إِلَى الَّذِي صَنَائِعُهُ تَسْرِي إِلَى كُلِّ نَائِمِ (٥)

قال ابن جنى والأجود أن تكسرها وتحذف التنوين لالتقاء الساكنين . وطغج فى الأصل بضم الغين وإنما غيره لأن العرب إذا نطقت بالأعجمى اجترأت على تغييره كيف شاءت . والقماقم جمع قمقام وهو السيد العظيم وأصله البحر وكان حق الجمع قماقيم ولكنه حذف الياء ضرورة . يقول : جعلت سيوفهم هذا المكان حمى على الأعداء فلا يحومون حوله ولا يستطيع أحد أن يصل إليه من أية ناحية من نواحيه لمكانهم — بنى طغج — من القوة والشجاعة (١) الكر الرجوع على العدو بعد الفر للجولان فى الحرب . وحومة كل شىء معظمة . والوغى الحرب . يقول : انهم يكرون فى الحرب على أعدائهم وكذلك يعودون فى المكارم فيضاعفونها، فهم يفعلون ذلك مرة بعد مرة ولا يقتصرون فى الأمرين على مرة واحدة (٢) الغرم ما يلزم الرجل أداؤه من دية أو ضمان أو غير ذلك والرجل غارم أى لزمه ما يغرم عنه

(٣) الشفار جمع شفرة وهي حد السيف . والصوارم السيوف القواطع . يقول : هم حيون إلا فى وقت الحرب فانهم فيها صفاق الوجوه لا يلينون لأقرانهم ، وهذا من قول بكر بن النطاح

يتلقى الندى بوجه حيي وصدور القنا بوجه وقاح

(٤) قال العكبرى : الأسد — جمع أسد — معدودة من البهائم ولولا ذلك لكنت أشبهها بهم فأقول الاسد مثلهم وانما يقع التشبيه للمفضول بالفاضل إذا كانت بينهما مناسبة ولا مناسبة بين هؤلاء وبين الاسود إلا بالاقدام . قال : وهذا البيت مما وقع فيه جماعة من الناس فينشدونه شبهتهم بها وهو على الظاهر بين وانما أغرب أبو الطيب

(٥) السرى السير ليلا . والصنائع جمع صنيعة وهي المعروف . يقول : ذهب النوم عنى فى مسيرى اليه — الممدوح — وهو الذى تسير عطاياه إلى كل نائم عن قصده

إِلَى مُطْلِقِ الأَسْرَى وَمُخْتَرِمِ الْعِدَا
وَمُشْكِي ذَوِي الشَّكْوَى وَرَغْمِ الْمُرَاغِمِ (١)

كَرِيمٌ نَفَضْتُ النَّاسَ لَمَّا بَلَغْتُهُ كَأَنَّهُمُ مَا جَفَّ مِنْ زَادِ قَادِمِ (٢)

وَكَادَ سُرُورِي لاَ يَفِي بِنَدَامَتِي عَلَى تَرْكِهِ فِي عُمْرِيَ الْمُتَقَادِمِ (٣)

وَفَارَقْتُ شَرَّ الأَرْضِ أَهْلاً وَتُرْبَةً بِهَا عَلَوِيٌّ جَدُّهُ غَيْرُ هَاشِمِ (٤)

بَلاَ اللهُ حُسَّادَ الأَمِيرِ بِحِلْمِهِ وَأَجْلَسَهُ مِنْهُمْ مَكَانَ الْعَمَائِمِ (٥)

فَإِنَّ لَهُمْ فِي سُرْعَةِ الْمَوْتِ رَاحَةً وَإِنَّ لَهُمْ فِي الْعَيْشِ حَزًّا لِغَلاَصِمِ (٦)

فضلاعمن يقصده (١) اخترمهم الدهر أهلكهم واستأصلهم . ومشكى من أشكيت الرجل إذا أزلت شكواه والهمزة فيه للسلب مثلها فى قولهم أعتبت الرجل أى أزلت عتبه أى أرضيته . والرغم القهر والاذلال والمراغم المغاضب والمراغمة المغاضبة تقول راغم أهله أى نبذهم وتمرد عليهم وعاداهم . يقول : انه يمن على الأسرى فيطلقهم من الاسار ويختطف الاعداء فى الحرب بسيوفه وأسنته ويزيل شكوى ذوى الشكوى بالاحسان إليهم ويرغم ــ يذل ــ المراغم ــ أى الذى يراغمه ويغاضبه ــ

(٢) يقول : نفضت الناس لما بلغته نفض القادم حثالة زاده لاستغنائه عنها بعد القدوم وكذلك أنا استغنيت به عن غيره (٣) يقول : لما انصلت به عظم سرورى بهذا الاتصال فعظمت من أجله ندامتى على حرمانى من الاتصال به فيما مضى من عمرى حتى كاد هذا السرور لايفى بذلك الندم (٤) شر الارض قال ابن حنى هى طبرية وفيها أعداء أبى الطيب الذين قال فيهم : أتانى وعيد الأدعياء . . . البيت وتربة عطف على شر الأرض وجملة بها علوى نعت لتربة . يقول : لما انصلت به فارقت أرضا أهلها شر الأهل وتربة بها رجل يدعى نسبه إلى على وليس من ولده فليس بشريف

(٥) يقول : ابتلى الله حساده بحلمه حتى لا يقتلهم ، ورفعه فوقهم حتى يكون منهم مكان عمائمهم ، وذلك إن بقاءهم أصعب عليهم من الموت لأنهم يعيشون فى ذلة وخوف. كما بين ذلك فى البيت التالى (٦) الغلاصم جمع غلصمة وهى الموضع الناتئ فى الحلق وقيل اللحم الذى بين الرأس والعنق . يقول : سرعة الموت راحة لهم من حسدهم لأن

كَأَنَّكَ مَاجَاوَدْتَ مَنْ بَانَ جُودُهُ عَلَيْكَ وَلَا قَاتَلْتَ مَنْ لَمْ تُقَاوِمِ (١)

وأقسم عليه أبو محمد أن يشرب فأخذ الكأس وقال ارتجالا

حُيِّيتَ مِنْ قَسَمٍ وَأَفْدِي الْمُقْسِمَا أَمْسَى الْأَنَامُ لَهُ مُجِلًّا مُعْظِمَا (٢)

وَإِذَا طَلَبْتُ رِضَا الْأَمِيرِ بِشُرْبِهَا وَأَخَذْتُهَا فَلَقَدْ تَرَكْتُ الْأَحْرَمَا (٣)

وحدث أبو محمد عن مسيرهم فى الليل لكبس بادية

وان المطر أصابهم فقال

غَيْرُ مُسْتَنْكَرٍ لَكَ الْإِقْدَامُ فَلِمَنْ ذَا الْحَدِيثُ وَالْإِعْلَامُ

قَدْ عَلِمْنَا مِنْ قَبْلُ أَنَّكَ مَنْ لَمْ يَمْنَعِ اللَّيْلُ هَمَّهُ وَالْغَمَامُ (٤)

وقال وقد كبست انطاكية فقتل مهره الطخرور والحجر أمه

إِذَا غَامَرْتَ فِى شَرَفٍ مَرُومِ فَلَا تَقْنَعْ بِمَا دُونَ النُّجُومِ (٥)

فى عيشهم وبقائهم موتا يتجدد على مر اللحظات (١) جاودنى غالبنى فى الجود فجدته أى كنت أجود منه . قال الواحدى : هذا تعريض بالذين يبارون الممدوح فى الجود والشجاعة من حساده . يقول : أيها الانسان الذى تباريه فى الجود ويظهر عليك جوده كأنك ماجاودته لان الفضل والغلبة له عليك وكأنك لم تقاتل من لم تقاومه فى الحرب لأن من غلبك فى الحرب لم تنفعك محاربتك إياه ، والمعنى أن مفاخرتهم — أى حساده — إياه — الممدوح — لا تنفعهم إذ كانت الغلبة له (٢) الخطاب فى حييت للقسم ومن قسم فى محل نصب على التمييز ومن زائدة وقوله أمسى الانام له فى موضع الحال من المقسم. ولك أن تجعلها فى موضع خفض على الصفة للقسم فيكون الضمير فى له عائدا على القسم لا المقسم (٣) يقول : إن شربها حرام وعصيان الامير حرام لكن عصيانه أحرم من شربها فاذا شربها وترك عصيانه فقد ترك الاحرم (٤) همه مايهم به (٥) المغامرة الدخول فى المهالك والغمرات الشدائد . وفى شرف أى فى طلب شرف . ومروم مطلوب . يقول : إذا حاولت الشرف وخاطرت بنفسك فى سبيل الحصول عليه فلا تقنع بما دون أعلاه ولا ترض باليسير منه

فَطَعْمُ الْمَوْتِ فِي أَمْرٍ صَغِيرٍ ... كَطَعْمِ الْمَوْتِ فِي أَمْرٍ عَظِيمِ (١)

سَتَبْكِي شَجْوَهَا فَرَسِي وَمُهْرِي ... صَفَائِحُ دَمْعُهَا مَاءُ الْجُسُومِ (٢)

قَرَبْنَ النَّارَ ثُمَّ نَشَأْنَ فِيهَا ... كَمَا نَشَأَ الْعَذَارَى فِي النَّعِيمِ (٣)

وَفَارَقْنَ الصَّيَاقِلَ مُخْلَصَاتٍ ... وَأَيْدِيهَا كَثِيرَاتُ الْكُلُومِ (٤)

يَرَى الْجُبَنَاءُ أَنَّ الْعَجْزَ عَقْلٌ ... وَتِلْكَ خَدِيعَةُ الطَّبْعِ اللَّئِيمِ (٥)

---

(١) يقول : ان طعم الموت فى الامر الهين كطعمه فى الامر الشديد الصعب واذن فلا سبيل للمغامر إلا أن يقصد أسمى الامور

(٢) صفائح فاعل تبكى وفرسى مفعول . والشجو الحزن وهو مصدر وضع موضع الحال على تقدير مشجوة شجوها والصفائح جمع صفيحة السيف العريض. وماء الجسوم كناية عن الدم . يقول : ستبكى حزنا على فرسى ومهرى سيوف دمعها الدماء ، يشير إلى أنه سيقتل من قتلهما فتكون دماء قتلاه التى تقطر من سيوفه دموعا تبكى بها سيوفه، وكل هذا مجاز واستعارة كما ترى والمعنى أنه سيقتل من قتل فرسه ومهره

(٣) قربن من قولهم قربت الابل الماء اذا وردته صبيحة ليلها ، قال الواحدى : يريد أن السيوف وردت النار ، وهذا قلب للمعهود لان القرب انما يستعمل فى ورود الماء فجعل النار لهذه السيوف كالماء الذى ترده الشارية ، والنار تهلك وتفنى وقد أنمت هذه السيوف وربتها تربية النعيم للعذارى ، يريدانها تخلصت من الخبث وحسنت صنعتها بحسن تأثير النار فى تخليصها ، وانما طبعت وصارت سيوفا ــ بعد أن كانت زبرا ــ قطعا ــ بالنار ، فذلك نشاؤها نشاء العذارى فى النعيم . . وقربن هى رواية ابن جنى وتروى قُرين من القرى ــ ما يقرى به الضيف ــ أى جعلت النار قرى لها فنشأن بحسن القرى ، وتروى قَرين النار بالبناء للمعلوم ، جعل السيوف بما تؤديه الى النار من الخبث قارية لها وكان حكم النماء أن يكون للمقرى لا للقارى فعكس موجب القرى بأن جعل النشاء ــ النشء ــ للقارى (٤) الصياقل جمع صيقل وهو القين الذى يصنع السيوف . ومخلصات أى خالصات من الخبث . والكلوم الجراح جمع كلم . يقول : أن الصياقل لم تستطع أن تحفظ ايديها من هذه السيوف لشدة مضائها فأيدى الصياقل جراح منها (٥) الجبان نقيض الشجاع . يقول : أن لؤم طبع الجبان يريه العجز عن

وَكلُّ شَجَاعَةٍ فِى المَرْءِ تُغْنِى ... وَلاَ مِثْلَ الشَّجَاعَةِ فِى الحَكِيمِ (١)
وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلاً صَحِيحاً ... وَآفَتُهُ مِنَ الفَهْمِ السَّقِيمِ (٢)
وَلَكِنْ تَأْخُذُ الآذَانُ مِنْهُ ... عَلَى قَدْرِ القَرَائِحِ وَالعُلُومِ (٣)

وسار أبو الطيب من الرملة يريد انطاكية فى سنة ست وثلاثين فنزل بطرابلس وبها اسحق بن ابراهيم الأعور ابن كيغلغ وكان جاهلا وكان يجالسه ثلاثة نفر من بنى حيدرة وكان بينه وبين أبى الطيب عداوة قديمة فقالوا له أتحب أن يتجاوزك ولا يمدحك وجعلوا يغرونه فراسله أن يمدحه فاحتج عليه بيمين لحقته لا يمدح أحداً الى مدة فعاقه عن طريقه ينتظر المدة وأخذ عليه الطريق وضبطها ومات النفر الثلاثة الذين كانوا يغرونه فى مدة أربعين يوما فهجاه أبو الطيب وأملاها على من يثق به فلما ذاب الثلج خرج كأنه يسير فرسه وسار الى دمشق فاتبعه ابن كيغلغ خيلا ورجلا فأعجزهم وظهرت القصيدة وهى

اقتحام العظائم فى صوره العقل حتى يظن أن عجزه وجريه على حكم الحين عقل وليس الأمر كذلك وانما ذلك لسوء طبعه الردىء وصغر همته

(١) تغنى من الغناء يقول : أن الشجاعة كيفما كانت وفيمن كانت مغنية كافية واذا كانت فى الرجل الحكيم العاقل كانت أتم وأحسن لانضمام العقل اليها ، يعنى أن الشجاعة فى غير الحكيم ليست مثل الشجاعة فى الحكيم (٢) الآفة العاهة والضمير فى آفته للقول ، وهذا المعنى من قول أبى تمام — وقد قال له أبو سعيد الضرير يا أبا تمام لم لا تقول مايفهم فقال له يا أبا سعيد لم لا تفهم ما يقال ؟ (٣) القريحة فى الأصل أول ما يخرج من البئر حين تحفر وقريحة الانسان طبيعته التى جبل عليها لأنها أول خلقته

لِهَوَى النُّفُوسِ سَرِيرَةٌ لَا تُعْلَمُ عَرَضًا نَظَرْتُ وَخِلْتُ أَنِّي أَسْلَمُ (١)

يَا أُخْتَ مُعْتَنِقِ الْفَوَارِسِ فِي الْوَغَى لَأَخُوكِ ثُمَّ أَرَقُّ مِنْكِ وَأَرْحَمُ (٢)

يَرْنُو إِلَيْكِ مَعَ الْعَفَافِ وَعِنْدَهُ أَنَّ الْمَجُوسَ نُصِيبُ فِيمَا تَحْكُمُ (٣)

ويقال لفلان قريحة جيدة يراد استنباط العلم بجودة الطبع . يقول : أن كل اذن تأخذ مما تسمع على قدر قريحة صاحبها وعلمه ، يعنى أن الغبى الجاهل اذا سمع شيئا لم يفهمه ولم يعلمه وكل أحد يدرك ما يسمع على قدر طبعه وعلمه فاذا عاب انسان قولا صحيحا فذلك لانه لم يفهمه وانما أتى من سقم قريحته ، وهذا معنى رائع بديع وهو كثير قال جل شأنه : واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم ، وقال أبو العلاء المعرى

والنَّجْمُ تَسْتَصْغِرُ الْأَبْصَارُ صُورَتَهُ والذَّنْبُ لِلطَّرْفِ لَا لِلنَّجْمِ فِي الصِّغَرِ

(١) لهوى النفوس يروى لهوى القلوب . والسريرة السر . وعرضا أى فجاءة واعتراضا عن غير قصد وهو منصوب على أنه مفعول مطلق أى نظرت نظرا عرضا فيكون صفة مصدر محذوف . وخلت حسبت يقول : ان سر الهوى لا يعرف ولا يدرى من أين يأتى ويتسرب الى قلب العاشق كما قال

إِنَّ الْمَحَبَّةَ أَمْرُهَا عَجَبُ تُلْقَى عَلَيْكَ وَمَا لَهَا سَبَبُ

ثم قال . إنى نظرت اليها عن غير قصد — يعنى إلى المحبوبة — فعشقتها وكنت أظن أنى أسلم من هواها

(٢) و (٣) معتنق الفوارس وصف للشجاع لأنه يعتنقهم عند الضرب بالسيف . والوغى الحرب . وثم هناك . ورنا إليه يرنو أدام النظر . وقد اضطربت كلمة الشراح فى هذين البيتين قال ابن جنى : يرميه بأخته وبالابنة وثم اشارة إلى المكان الذى يخلو فيه للحال المكروهة، ويجوز أن تكون اشارة إلى موضع الحرب يصفه بالجبن وقال العروضى : شبب بامرأة أخوها مبارز فتاك فقال لها أخوك على قساوة قلبه وارقته الدماء أرحم منك ، وكيف يرميه بالابنة وبأخته وهو يقول يرنو إليك مع العفاف ؟ وهذه العفة من جهة الاسلام وألا فهو يرى أن تزوج الاخوات عند المجوس من حكمهم فمن حسنها يرى أن المجوس أصابوا فى حكمهم . قال : وقد روى أن بشارا كان فى جماعة من نساء يداعبهن فقلن له ليتنا يانك فقال وأنا على دين كسرى . . . وقال ابن فورجه : شبب بامرأة ومدح أخاها وزعم أنها من بيت الفوارس الأنجاد كما قال فى أخرى

راعتكِ رائعةُ البياضِ بعارضي ... ولوانّها الأُولى لراعَ الأسحمُ[1]

متى تزُرْ قومَ من تهوى زيارتها ... لايتحفوكَ بغير البيضِ والأسلِ

وكقوله أيضا

ديارُ اللواتى دارُهنّ عزيزةٌ ... بطولِ القنا يُحفظنَ لا بالتمائمِ

وكقوله

* تحولُ رماحُ الخطِّ دونَ سبائهِ *

ثم قال لحبيبته أنت قاسية القلب وأخوك على بسالته اذا لقى العدو كان أرحم منك لى وأرق منك على ثم أراد المبالغة فى ذكر حسنها فقال أخوك يود لو كان دينه دين المجوس فيتزوج بك، ومن الدليل على النهاية في الحسن أن يود أخوها أنها تحل له ولهذا قال أبو بكر الخوارزمى

* تخشى عليها أمُّها أباها *

وقال أبو تمام فى مثل هذا

بأبى مَنْ إذا رآها أبوها ... شغفاً قالَ ليتَ أنّا مجوسُ

ومثله لعبد الصمد بن المعذل فى جارية كان يسميها بنته

أُحِبُّ بُنَيَّتى حُبًّا أراهُ ... يزيدُ على محبّاتِ البناتِ

أرانى منكِ أهوى قرصَ خدٍّ ... ورشفاً للثنايا واللّثاتِ

والصاقاً ببطنٍ منكِ بطنى ... وضمّاً للقرونِ الواردات

وشيئاً لستُ أذكرُهُ مليحاً ... بهِ يحظى الفتى عندَ الفتاةِ

أرى حُكمَ المجوسِ إذا لدينا ... يكونُ أحلَّ من ماءِ الفراتِ

(١) رائعة البياض الشعرة البيضاء التى تروع الناظر ورواها ابن جنى راعية البياض قال : والراعية من الشعر أول شعرة تطلع من الشيب وجمعها رواع وأنشد

أهلاً برَاعِيَةِ الشَّيْبِ واحِدَةٍ ... تَنعَى الشباب وَتَنهانا عَنِ الغَزَلِ

والأسحم الأسود والعارض صفحة الخد . يقول راعك — أفزعك — شيبى ولو كان أول لون الشعر بياضا ثم يسود لراعك الأسود إذا ظهر فلا تراعى إذن بالبياض لأنه كالسواد

لَوْ كَانَ يُمْكِنُنِى سَفَرْتُ عَنِ الصِّبَا ... فَالشَّيْبُ مِنْ قَبْلِ الأَوَانِ تَلَثُّمُ (١)

وَلَقَدْ رَأَيْتُ الحَادِثَاتِ فَلاَ أَرَى ... يَقَقاً يُمِيتُ وَلا سَوَادًا يَعْصِمُ (٢)

وَالْهَمُّ يَخْتَرِمُ الجَسِيمَ نَحَافَةً ... وَيُشِيبُ نَاصِيَةَ الصَّبِيِّ وَيُهْرِمُ (٣)

ذُو الْعَقْلِ يَشْقَى فِى النَّعِيمِ بِعَقْلِهِ ... وَأَخُو الجَهَالَةِ فِى الشَّقَاوَةِ يَنْعَمُ (٤)

(١) سفرت من سفور المرأة أى كشفها عن وجهها . يقول : لو أمكننى أن أظهر صبای لكشفت عنه فانى حدث السن ولكن الشيب جار على عاجلا فستر شبابى فكأنه تلثم بستر ماتحته من السواد ، يعنى أن على شبابه لثاما من الشيب الذي عجل اليه قبل وقته

(٢) اليقق الأبيض . ويعصم يحفظ . يقول : ليس بياض الشعر موجبا للموت فقد يعيش الشيخ ، وليس سواده واقيا من الموت فقد يموت الشاب كما هو مشاهد

(٣) يختزم يقتطع ويستأصل . والجسيم العظيم الجسم . والنحافة الهزال ونصبه على التمييز . والناصية شعر مقدم الرأس . يقول : ان الحزن اذا استولى على المرء أذهب جسمه العظيم الجسد وهزله حتى يأتى عليه من الهزال ، ويشيب الصبى قبل الاوان حتى يصير كالهرم من الضعف والعجز . يشير إلى علة مشيبه وأن الهم هو الذى أشابه كما قال أبو نواس

وَمَا إِنْ شِبْتُ مِنْ كِبَرٍ وَلَكِنْ ... لَقِيتُ مِنَ الحَوادِثِ مَا أَشَابَا

(٤) يقول : ان العاقل يشقى وان كان فى نعمة لتفكيره فى عاقبة الأمور وعلمه بتحول الأحوال ، والجاهل ينعم وهو فى الشقاوة لغفلته وقلة تفكيره فى العواقب ، قال البحترى

أَرَى الحِلْمَ بُؤْسًا فِى المَعِيشَةِ لِلْفَتَى ... وَلاَ عَيْشَ إِلاَّ مَا حَبَاكَ بِهِ الجَهْلُ

وقال أبو نصر ابن نباته

مَنْ لِى بِعَيْشِ الأَغْبِيَاءِ فَإِنَّهُ ... لاَ عَيْشَ إِلاَّ عَيْشُ مَنْ لَمْ يَعْلَمِ

وقال ابن المعتز

وَحَلاَوَةُ الدُّنْيَا لِجَاهِلِهَا ... وَمَرَارَةُ الدُّنْيَا لِمَنْ عَقَلاَ

وقال ابن ميكال

العَقْلُ عَنْ دَرْكِ المَطَالِبِ عُقْلَةٌ ... عَجَبًا لأَمْرِ العَاقِلِ المَعْقُولِ

وَالنَّاسُ قَدْ نَبَذُوا الحِفَاظَ فَمُطْلَقٌ ... يَنْسَى الَّذِي يُولَى وَعَافٍ يَنْدَمُ (١)

لَا يَخْدَعَنَّكَ مِنْ عَدُوٍّ دَمْعُهُ ... وَارْحَمْ شَبَابَكَ مِنْ عَدُوٍّ تَرْحَمُ (٢)

لَا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الأَذَى ... حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ (٣)

يُؤْذِي القَلِيلُ مِنَ اللِّئَامِ بِطَبْعِهِ ... مَنْ لَا يَقِلُّ كَمَا يَقِلُّ وَيَلْؤُمُ (٤)

أَظْلَمُ مِنْ شِيَمِ النُّفُوسِ فَإِنْ تَجِدْ ... ذَا عِفَّةٍ فَلِعِلَّةٍ لَا يَظْلِمُ (٥)

يَحْمِي ابْنُ كَيْغَلَغَ الطَّرِيقَ وَعِرْسُهُ ... مَا بَيْنَ رِجْلَيْهَا الطَّرِيقُ الأَعْظَمُ (٦)

وَأَخُو الدَّرَايَةِ وَالنَّبَاهَةِ مُتْعَبٌ ... وَالعَيْشُ عَيْشُ الجَاهِلِ المَجْهُولِ

(١) نبذ الشيء ألقاه وطرحه . والحفاظ المحافظة على الحقوق والعهود . وأولاه كذا أنعم به عليه . وعاف من العفو عن الأساءة . يقول : ان الناس لا يحافظون على الحقوق ولا يراعون الاذمة — جمع ذمة — الحرمة والحق — ويتركون عرفان النعم . فمطلق من الاسار ينسى احسان مطلقه وعاف عن مسيء يندم لما يرى من كفران صنيعته وعدم شكرها (٢) يقول : لا تنخدع ببكاء عدو يستعطفك ولا ترحمه وارحم نفسك منه فانك إن رحمته وأبقيت عليه ثم ظفر بك لم يرحمك ولم يبق عليك (٣) يقول : لا يسلم للشريف شرفه من أذى الحساد والمعادين حتى يقتل حساده واعداءه فاذا أراق — سفك — دماءهم سلم شرفه لانه يصير مهيبا فلا يتعرض له (٤) القليل هنا ليس قليل العدد وانما هو الخسيس الحقير واللئام جمع لئيم ضد الكريم . يقول : ان اللئيم مطبوع على أذى الكريم لعدم المشاكلة بينهما

* إِنَّ الكِرَامَ مَشَاغِلُ السُّفَهَاءِ * « شوقي »

وَأَنِّي شَقِيٌّ بِاللِّئَامِ وَلَا تَرَى ... شَقِيًّا بِهِمْ إِلَّا كَرِيمَ الشَّمَائِلِ

(٥) الشيم جمع شيمة وهي الخليقة والطبيعة ومن شيم النفوس يروى في خلق النفوس . يقول : أن الناس جبلوا على الظلم فاذا رأيت عفيفا لا يظلم فانما تركه الظلم لعلة كالخوف والعجز ونحوهما (٦) قال الواحدي : إنما قال هذا لأنه — ابن كيغلغ — كان قد أخذ الطريق على المتنبي وسأله أن يمدحه فلم يفعل وهرب منه . ومعنى البيت من قول الفرزدق .

وَأَبَحْتَ أُمَّكَ يَا جَرِيرُ كَأَنَّهَا ... لِلنَّاسِ بَارِكَةٌ طَرِيقٌ مُعْمَلُ

أَقِمِ المَسَالِحَ فَوْقَ شُفْرِ سَكِينَةٍ ... إِنَّ المَنِيَّ بِحَلْقَتَيْهَا خِضْرِمِ (١)

وَارْفُقْ بِنَفْسِكَ إِنَّ خَلْقَكَ نَاقِصٌ ... وَاسْتُرْ أَبَاكَ فَإِنَّ أَصْلَكَ مُظْلِمُ (٢)

وَغِنَاكَ مَسْئَلَةٌ وَطَيْشُكَ نَفْخَةٌ ... وَرِضَاكَ فَيْشَلَةٌ وَرَبُّكَ دِرْهَمُ (٣)

وَاحْذَرْ مُنَاوَاةَ الرِّجَالِ فَإِنَّمَا ... تَقْوَى عَلَى كَمَرِ الْعَبِيدِ وَتُقْدِمُ (٤)

وقد أبدع ابن الرومى فى مثل هذا إذ يقول فى امرأة ابن المعلم

وَتَبِيتُ بَيْنَ مُقَابِلٍ وَمُدَابِرٍ ... مِثْلَ الطَّرِيقِ لِمُقْبِلٍ ولمدبرِ

كَاجْرَى المِنْشَارِ يَعْتَوِرَانِهِ ... مُتَنَازِعَيْهِ فِى فَلِيحِ صَنَوبَرِ

وَتَقُولُ لِلضَّيْفِ المُلِمِّ بِسَاحَةٍ ... إِنْ شِئْتَ فِى اسْتِى فَأْتِنِى أَوْ فِى حِرِى

أَنَا كَعْبَةُ النِّيكِ الَّتِى خُلِقَتْ لَهُ ... فَتَلَقَّ مِنِّى حَيْثُ شِئْتَ وكَبِّرِ

أَنَا زَوْجَةُ الأَعْمَى المُبَاحِ حَرِيمُهُ ... أَنَا عِرْسُ ذِى القَرْنَيْنِ لَا الإِسْكَنْدَرِ

قَالَتْ اذا أَفْرَدْتُ عِدَّةَ نَيْكِهَا ... تَدْعُو عَدِمْتُ الفَرْدَعَيْنَ الأَعْوَرِ

فَإِذَا أُضِفْتَ إِلَى الفَرِيدِ قَرِينَهُ ... قَالَتْ عَدِمْتُ مُصَلِّيًا لَمْ يُوتِرِ

مَازَالَ دَيْدَنَهَا وَذَلِكَ دَيْدَنِى ... حَتَّى بَدَا عَلَمُ الصَّبَاحِ الأَزْهَرِ

أَرْمِى مَشِيمَتَهَا بِرَأْسٍ مُلْمَلِمٍ ... رَيَّانَ مِن مَاءِ الشَّبِيبَةِ أَعْجَرِ

عَبْلٍ إِذَا قَلِقَ النِّسَاءُ بِحَدِّهِ ... نِلْنَ الأَمَانَ مِنَ الوِلَادِ الأَعْسَرِ

---

(١) المسالح المواضع يعلق عليها السلاح والشفر والشافران حرفا فرج المرأة . ويريد بحلقتيه الفرج والرحم . والخضرم البحر الكثير الماء . شبه المنى لكثرته فى رحمها بالبحر

(٢) وارفق بنفسك يريد لا تتحكك بالشعراء كى لا يذكروا خلقك الناقص لأنه أعور قصير — وأصلك دنىء لئيم (٣) يقول : أنت مكد فيكون غناك فى مسألة الناس وليس وراء طيشك حقيقة وانما ذلك نفخة نفخت فيك ورضاك أن ترى ذا فيشلة — ذكر — من عبد أو ممن مائل العبد ، وربك الذى تعبده درهم . . . — يعنى أنه بخيل — (٤) المناواة المعاداة وأصله المناواة والكمر جمع كمرة وهى رأس الذكر . يقول : لا تعاد الرجال فانك لا تقدر عليهم ولا لك بهم طاقة وانما قدرتك واقدامك على أيور

وَمِنَ الْبَلِيَّةِ عَذْلُ مَنْ لَا يَرْعَوِى ... عَنْ غَيِّهِ وَخِطَابُ مَنْ لَا يَفْهَمُ (١)

يَمْشِى بِأَرْبَعَةٍ عَلَى أَعْقَابِهِ ... تَحْتَ الْعُلُوجِ وَمِنْ وَرَاءٍ يُلْجَمُ (٢)

وَجُفُونُهُ مَا تَسْتَقِرُّ كَأَنَّهَا ... مَطْرُوفَةٌ أَوْقُتَّ فِيهَا حِضْرِمُ (٣)

وَإِذَا أَشَارَ مُحَدِّثًا فَكَأَنَّهُ ... قِرْدٌ يُقَهْقِهُ أَوْ عَجُوزٌ تَلْطِمُ (٤)

يَقْلِى مُفَارَقَةَ الْأَكُفِّ قَذَالُهُ ... حَتَّى يَكَادَ عَلَى يَدٍ يَتَعَمَّمُ (٥)

وَتَرَاهُ أَصْغَرَ مَا تَرَاهُ نَاطِقًا ... وَيَكُونُ أَكْذَبَ مَا يَكُونُ وَيُقْسِمُ (٦)

العبيد ، يصفه بالأبنة (١) العذل اللوم . ويرعوى يكف ويقلع . وعن غيه فالغى نقيض الرشد ويروى عن جهله (٢) قوله بأربعة كان القياس أن يقول بأربع لانه يريد اليدين والرجلين لكنه ذهب الى الاعضاء فذكر . والعلوج جمع علج وهو فى الاصل حمار الوحش لاستعلاج خلقه وغلظه ويقال للرجل القوى الضخم من كفار العجم — غير العرب — علج وهو المراد هنا . يقول : يمشى القهقرى حبا للاستدخال ، أى أن العلوج كانت تركبه فيمشى إلى خلفه على غير العادة فان من عادة المركوب أن يمشى إلى قدام ، وهو يلجم من ورائه بخلاف المركوب . . .

(٣) طرفت عينه اذا أصيبت بشىء فدمعت . والحضرم العنب الأحضر وهو معروف انه حامض . قال الواحدى يقول : انه أبدا يحرك جفونه يستدعى العلوج ويشير بها إليهم فتبقى وكأنها أصيبت بقذى أو عصر فيها الحضرم لأنها لاتفتر عن التحريك

(٤) يريد قبح وجهه وكثرة تشنجه وجعل حديثه كضحك القرد حيث أنه ألكن عى لايفصح ولهذا جعله مشيرا لأنه لايقدر على الكلام فيشير وجعل اشارته كلطم العجوز إذا ولولت (٥) قلاه يقليه قلى وقلاء وقليه يقلاه لغة طىء والقلى البغض . والقذال جماع مؤخر الرأس . يريد : أنه صفعان تعود أن يصفع فيكاد يتعمم على يده لتصفعه يده أيضا (٦) يقول : تراه أحقر ما يكون حين ينطق لأنه عى فلا يكاد يبين أو لأنه ينطق بغير معقول ، وأكذب مايكون إذا حلف أى حين يكون الصدق أوجب وذلك كما قال الآخر

فلا تحلفْ فأنَّك غيرُ بَرٍّ ... وأكذبُ ماتكونُ اذا حلفتا

وَالذُّلُّ يُظْهِرُ فِي الذَّلِيلِ مَوَدَّةً ... وَأَوَدُّ مِنْهُ لِمَنْ يَوَدُّ الأَرْقَمُ (١)

وَمِنَ الْعَدَاوَةِ مَا يَنَالُكَ نَفْعُهُ ... وَمِنَ الصَّدَاقَةِ مَا يَضُرُّ وَيُؤْلِمُ (٢)

أَرْسَلْتَ تَسْأَلُنِي المَدِيحَ سَفَاهَةً ... صَفْرَاءُ أَضْيَقُ مِنْكَ مَاذَا أَزْعُمُ (٣)

أَتُرَى القِيَادَةَ فِي سِوَاكَ تَكَسُّبًا ... يَا ابْنَ الأُعَيِّرِ وَهْيَ فِيكَ تَكَرُّمُ (٤)

وقوله ويقسم يريد وهو يقسم « هذا » وقد قال ابن الشجرى فى أماليه . فعل الرؤية من العين يعدى الى مفعول واحد ، واصغر نصب على المصدر لانه أضيف الى ما المصدرية وناطقا نصب على الحال وأفعل المضاف الى المفضل عليه انما هو بعض ما يضاف اليه فصار كقولك سرت أشد السير ، واكذب حكمه فى ذلك حكم أصغر ونصب ناطقا ترى الاول من الرؤية وانتصابه على الحال وتقديره وتراه ناطقا أحقر رؤيتك اياه فالتحقير تناول الرؤية فى اللفظ والمراد تحقير المرئى والمعنى تراه ناطقا أحقر منه اذا رأيته ساكتا ويكون كلاهما بمعنى يوجد وان جعلت يكون الاول ناقصا وخبره أكذب لم يجز لما ذكرته من انتصاب اكذب على المصدر لاضافته الى المصدر والمضمر فى يكون عائد على المهجو وخبر كان اذا كان مفردا فهو واسمها عبارة عن شئ واحد بطل ان يحمل يكون ناقصا لفساد الاخبار عن الجثث بالاحداث والواو فى قوله ويقسم واو الحال والجملة بعده حال عمل فيها يكون الاول وهى جملة ابتداء والمبتدا محذوف والتقدير وهو يقسم فحذف هو (١) الأرقم ضرب من الحيات فيه سواد وبياض . وقوله لمن يود أى لمن يوده أى لمن يظهر له وده . يقول : ان الذليل يظهر المودة ــ المحبة ــ لمن أذله اذ ليس يقدر على مكافأته ولا امتناع عنده فيتودد إليه على أن الحية أقرب إلى المصافاة من الذليل إذا أظهر الود ، وهذا من قول سديف

ذُلُّهَا أَظْهَرَ المَوَدَّةَ مِنْهَا ... وَبِهَا مِنْكُمُ كَحَزِّ المَوَاسِي

(٢) قال ابن جنى : يعنى أن عداوة الساقط تدل على مباينة طبعه فتنفع ــ يريد لا تضر ــ وصداقته تدل على مناسبته فتضر ، قال الواحدى: وهو من قول صالح بن عبد القدوس

عَدُوُّكَ ذُو العَقْلِ خَيْرٌ مِنَ الـ ... ـصَدِيقِ لَكَ الوَامِقِ الأَحْمَقِ

« الوامق المحب » (٣) صفراء اسم أمه يقول : هى على سعتها أضيق منك فكيف يتجه لى مدحك ؟ (٤) أعير تصغير أعور قال الواحدى : وكان أبوه ــ واسمه ابراهيم ــ أعور . يقول : ان القيادة في غيرك كسب وأنت تتكرم بها أى تحسبها كرما

فَلَشَدَّ مَا جَاوَزْتَ قَدْرَكَ صَاعِدًا ... وَلَشَدَّ مَا قَرُبَتْ عَلَيْكَ الأَنْجُمُ (١)

وَأَرَغْتَ مَالِأَبِي الْعَشَائِرِ خَالِصًا ... إِنَّ الثَّنَاءَ لِمَنْ يُزَارُ فَيُنْعِمُ (٢)

وَلِمَنْ أَقَمْتَ عَلَى الْهَوَانِ بِبَابِهِ ... تَدْنُو فَيُوجَأُ أَخْدَعَاكَ وَتُنْهَمُ (٣)

وَلِمَنْ يُهِينُ الْمَالَ وَهْوَ مُكَرَّمٌ ... وَلِمَنْ يَجُرُّ الْجَيْشَ وَهْوَ عَرَمْرَمُ (٤)

وَلِمَنْ إِذَا الْتَقَتِ الْكُمَاةُ بِمَأْزِقٍ ... فَتَصِيبُهُ مِنْهَا الْكَمِيُّ الْمُعْلَمُ (٥)

وَلَرُبَّمَا أَطَرَ الْقَنَاةَ بِفَارِسٍ ... وَثَنَى فَقَوَّمَهَا بِآخَرَ مِنْهُمُ (٦)

---

(١) يقول : ما أشد تجاوزك قدرك حين تطلب منى المديح ! وأراد بالأنجم أبيات شعره

(٢) الأراغة الطلب تقول أرغت الصيد وفلان يريغ كذا وكذا ويليصه أى يطلبه ويديره ، قال

يُدِيرُونَنِي عَنْ سَالِمٍ وَأُرِيغُهُ ... وَجِلْدَةُ بَيْنَ العَيْنِ وَالأَنْفِ سَالِمُ

« يديرونني كيريغونني ويقال فلان يريغني أو يديرني على أمر وعن أمر أى يراودني ويطلبه منى » يقول : طلبت من المديح ماهو خالص لأبى العشائر لانه الذى ينعم على زواره وقصاده ، فقوله خالصا حال أى الذى ثبت لابى العشائر خالصا لاينازع فيه

(٣) ولمن عطف على لمن يزار . والاخدعان عرقان فى صفحتى العنق قد خفيا وبطنا ويقال لأقيمن أخدعيك أى لاذهبن كبرك . والوجء الكلز والضرب ومراده بوجء أخدعيه صفعه . والنهم الزجر الشديد . يقول : والثناء لمن تزلفت اليه فاقت ببابه ذليلا تصفع هزؤا واستخفافا ثم تزجر مطرودا والبيت من قول جرير

قَوْمٌ إِذَا حَضَرَ الْمَلُوكَ وُفُودُهُمْ ... نُتِفَتْ شَوَارِبُهُمْ عَلَى الأَبْوَابِ

(٤) وهو مكرم أى والمال مكرم يضن بمثله فالضمير عائد على المال ولك أن ترجعه للممدوح أى يهين المال ويكرم عند الناس . والعرمرم الكثير العظيم

(٥) الكماة جمع كمى وهو البطل المشتمل بالسلاح . والمأزق المضيق ومنه سمى موضع الحرب مأزقا . والمعلم الذى وسم نفسه بسيماء الحرب . وفى هذا البيت نظر إلى قول أبى تمام

إِنَّ الأُسُودَ أُسُودَ الغَابِ هِمَّتُهَا ... يَوْمُ الْكَرِيهَةِ فِي الْمَسْلُوبِ لا السَّلَبِ

(٦) أطره عطفه وثناه ولواه وتأطر الرمح تثنى . يقول : إذا اعوجت قناته فى

وَالْوَجْهُ أَزْهَرُ وَالْفُؤَادُ مُشَيَّعٌ ... وَالرُّمْحُ أَسْمَرُ وَالْحُسَامُ مُصَمَّمٌ (١)

أَفْعَالُ مَنْ تَلِدُ الْكِرَامُ كَرِيمَةٌ ... وَفِعَالُ مَنْ تَلِدُ الأَعَاجِمِ أَعْجَمُ (٢)

واجتاز ببعابك فخلع عليه على بن عسكر وسأله أن يقيم عنده وكان يريد السفر الى انطاكية فقال يستأذنه

رَوِّينَا يا ابْنَ عَسْكَرِ الْهُمَامَا ... وَلَمْ يَتْرُكْ نَدَاكَ بِنَا هُيَامَا (٣)

وَصَارَ أَحَبُّ مَا تُهْدِي إِلَيْنَا ... لِغَيْرِ قِلًى وَدَاعَكَ وَالسَّلَامَا (٤)

وَلَمْ نَمْلَلْ تَفَقُّدَكَ الْمَوَالِي ... وَلَمْ نَذْمُمْ أَيَادِيَكَ الْجِسَامَا (٥)

مطعون طعن بها آخر فثقفها بذلك، يريد شدة طعنه وتتابعه (١) يقول : اذا التقى هو والكماة فى مأزق فوجهه أزهر — نير مشرق أبيض — وفؤاده مشيع — أى جريئ — ورمحه يطعن به وسيفه مصمم أى يطبق المفصل ويصيب المحز (٢) الفعال هنا الفعل. يقول : ان الفعل يشابه النسب والأصل فمن كرمت مناسبه كرمت أفعاله ومن كان لئيم النسب كان لئيم الفعل ، والأعاجم عند العرب لئام وهم يسمون من لم يتكلم بلغتهم أعجم من أى جيل كان قال الراجز

سَلُومُ لَوْ أَصْبَحْتِ وَسْطَ الأَعْجَمِ ... فِى الرُّومِ أَوْ فَارِسَ أَوْ فِى الدَّيْلَمِ *

إِذاً لَزُرْنَاكِ وَلَوْ بِسُلَّمِ

وقال حميد بن ثور

وَلَمْ أَرَ مِثْلِى شَاقَهُ صَوْتُ مِثْلِهَا ... وَلَا عَرَبِيًّا شَاقَهُ صَوْتُ أَعْجَمِ

فانه عنى بالأعجم حمامة سمع صوتها (٣) الهمام العظيم الهمة والسيد الشجاع السخى . والهيام أشد العطش . يقول : نزلنا بفنائك فروينا من عطشنا ولم تترك بنا عطشا ، يريد أنهم غمروا بانعامه واحسانه اليهم حتى اكتفوا (٤) القلى البغض والغير قلى احتراس جميل . يقول قد استغنينا عن الهدايا وأردنا الارتحال فأحب ما تهديه الينا أن نودعك ونسلم عليك (٥) الموالى بفتح الميم جمع مولى وهو هنا العبد ورواها العكبرى الموالى بضم الميم أى الذى يلى بعضه بعضا . والأيادى النعم . والجسام العظام . يقول : لسنا نرتحل عنك لأنا ملنا تفقدك ايانا بالاحسان ولا لأنا ذممنا نعمك العظيمة

---

* يقال رجل أعجم وقوم أعجم

وَلَكِنَّ الْغُيُوثَ إِذَا تَوَالَتْ ... بِأَرْضِ مُسَافِرٍ كَرِهَ الْغَمَامَا (١)

وكان مع أبى العشائر ليلا على الشراب فكلما أراد النهوض وهب له شيأ حتى وهب له ثيابا وجارية ومهرا فقال

أَعَنْ إِذْنِي تَهُبُّ الرِّيحُ رَهْوًا ... وَيَسْرِي كُلَّمَا شِئْتُ الْغَمَامُ (٢)

وَلَكِنَّ الْغَمَامَ لَهُ طِبَاعٌ ... تَبَجَّسُهُ بِهَا وَكَذَا الْكِرَامُ (٣)

وقال يمدح كافورا وقد أهدى اليه مهرا أدهم فى شهر ربيع الآخر سنة ٣٤٧

فِرَاقٌ وَمَنْ فَارَقْتُ غَيْرُ مُذَمَّمٍ ... وَأَمٌّ وَمَنْ يَمَّمْتُ خَيْرُ مُيَمَّمٍ (٤)

وَمَا مَنْزِلُ اللَّذَّاتِ عِنْدِي بِمَنْزِلٍ ... إِذَا لَمْ أُبَجَّلْ عِنْدَهُ وَأُكَرَّمِ (٥)

سَجِيَّةُ نَفْسٍ مَا تَزَالُ مُلِيحَةً ... مِنَ الضَّيْمِ مَرْمِيًّا بِهَا كُلُّ مَخْرَمِ (٦)

(١) توالت تتابعت . والغمام السحاب . وهذا تتمة لما ذكر فى البيت السابق . يقول: ان المسافر اذا كثر عليه المطر مل مقامه — اقامته — واحتباسه لأجل المطر ، كذلك نحن عطاياك تأتينا وأنت قيدتنا باحسانك وأنا مسافر أريد الارتحال ولولا أنى على سفر لم أمل نعمتك ، والمطر يسأله كل أحد الا المسافر

(٢) هذا استفهام معناه الانكار . والرهو السير السهل . يقول : الريح لاتهب ساكنة سهلة باذنى وكذا الغمام لايسرى بمشيئتى ويريد بالريح والغمام الممدوح على تشبيهه بهما فى سرعة العطاء وكثرته ، يعنى أن الذى يفعله ليس يفعله باذنى ومشيئتى انما يفعله طبعا طبع عليه كما بين فى البيت التالى (٣) تبجسه مبتدا وبها خبره والتبجس التفجر

(٤) أم أى قصد ويممت قصدت يقول — عند ارتحاله — هذه الحالة التى أنا فيها فراق والذى أفارقه — يعنى سيف الدولة — غير مذموم — وهذا الفراق هو فى الوقت عينه قصد لأنسان آخر — يعنى كافورا — وهو خير مقصود (٥) عنده أى فيه يقول : لا أقيم بمكان للذة العيش وطيب الحياة اذا لم أكن مكرما معظما لأنه مع الذل لايطيب لى (٦) مليحة مشفقة خائفة يقال الاح من الأمر إذا أشفق منه . والمخرم الطريق فى الجبل . يقول : هذا الفراق أو هذا الذى أذكره من أنفتى والاحتفاظ بكرامتى سجية — طبيعة — نفسى التى هى أبداً خائفة من أن تظلم ويبخس حقها من

رَحَلْتُ فَكَمْ بَاكٍ بِأَجْفَانِ شَادِنٍ عَلَيَّ وَكَمْ بَاكٍ بِأَجْفَانِ ضَيْغَمِ (١)

وَمَا رَبَّةُ الْقُرْطِ المَلِيحِ مَكَانُهُ بِأَجْزَعَ مِنْ رَبِّ الْحُسَامِ الْمُصَمِّمِ (٢)

فَلَوْ كَانَ مَابِي مِنْ حَبِيبٍ مُقَنَّعٍ عَذَرْتُ وَلَكِنْ مِنْ حَبِيبٍ مُعَمَّمِ (٣)

رَمَى وَاتَّقَى رَمْيِي وَمِنْ دُونِ مَا اتَّقَى

هَوًى كَاسِرٌ كَفِّي وَقَوْسِي وَأَسْهُمِي (٤)

إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ وَصَدَّقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّمِ (٥)

الاكرام وأنا أرمى بها كل طريق هاربا عن الضيم والذل (١) الشادن ولد الغزال . والضيغم الأسد . يقول : فكم من رجال ونساء بكوا على فراقى وجزعوا لارتحالى عنهم ! فالباكى بجفن الشادن المرأة المليحة الحسناء والباكى بأجفان الضيغم الرجل الشجاع الكريم . قال ابن اجنى : بأجفان ضيغم يريد سيف الدولة ، وهذا وفاء لما أوعده به من قوله

* لَيَحْدُثَنَّ لِمَنْ فَارَقْتُهُ نَدَمُ *

(٢) القرط الذى يعلق في شحمة الأذن . ومكانه فاعل المليح . والحسام السيف القاطع . والمصمم الذى يطبق المفاصل ولك أن تجعله صفة لرب . يقول : لم تكن المرأة بأجزع على فراقى من الرجل (٣) يقول : لو كان الذى اشكوه من الغدر بى كان من امرأة عذرتها لأن شيمة النساء الغدر ولكنه من رجل فلا أعذره . فكنى بالحبيب المقنع عن المرأة وبالحبيب المعمم عن الرجل (٤) قال الواحدى : هذا مثل . يقول : لم يحسن إلى — أى سيف الدولة — ولم أصبه لحبى إياه فضرب المثل لإساءته اليه بالرمى ولأمنه من المكافأة — المجازاة — بالهجاء بالانتقاء بحب يكسر كفه وقوسه وسهامه ان أراد أن يرميه ، والمعنى أن حبى اياه منعنى عن مكافأته بالإساءة فكان كرام يرمينى وهو وراء جنة — سترة — من حبى تمنعنى من أن أرميه

(٥) يعتاده يتتابه ومن توهم بيان لما . يقول : اذا كان فعل المرء سيئا قبيحاً ساء ظنه بالناس لسوء ما انطوى عليه واذا توهم فى أحد ريبة أسرع الى تصديق ما توهمه لما يجد من مثل ذلك فى نفسه . وعبارة الواحدى . المسىء يسىء الظن لأنه لا يأمن من أساء اليه . وما يخطر بقلبه من التوهم على اساءة غيره يصدق ذلك فكلما سمع عن شخص كلام سوء يظنه فيه لسوء وهمه وفعله ، وهو كقول الآخر

وَعَادَى مُحِبِّيهِ بِقَوْلِ عُدَاتِهِ ... وَأَصْبَحَ فِي لَيْلٍ مِنَ الشَّكِّ مُظْلِمِ (١)

أُصَادِقُ نَفْسَ الْمَرْءِ مِنْ قَبْلِ جِسْمِهِ ... وَأَعْرِفُهَا فِي فِعْلِهِ وَالتَّكَلُّمِ (٢)

وَأَحْلُمُ عَنْ خِلِّي وَأَعْلَمُ أَنَّهُ ... مَتَى أَجْزِهِ حِلْمًا عَلَى الْجَهْلِ يَنْدَمِ (٣)

وَإِنْ بَذَلَ الْإِنْسَانُ لِي جُودَ عَابِسٍ ... جَزَيْتُ بِجُودِ التَّارِكِ الْمُتَبَسِّمِ (٤)

وما فَسَدَتْ لي يَشْهَدُ اللهُ نِيَّةٌ ... عَلَيْكَ بَلِ اسْتَفْسَدْتَنِي فَاتَّهَمْتَنِي

(١) يقول: ولسوء ظنه بعادى الذين يحبونه بوشاية أعدائه فلا يميز صديقه من عدوه إذ يشك فى كل أحد ويصبح فى كل أموره حائراً بسبب أنه يصدق ما يتوهمه

(٢) يريد بالنفس المعانى الكريمة والفضائل الانسانية التى تستشف من الانسان بذكر لطف حسه ودقة علمه وانه قبل أن يقع بينه وبين من يحبه معرفة يصادق نفسه أولا ويستدل عليها بكلامه وفعله قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم الائتلاف بالجواهر قبل الائتلاف بالاجسام

(٣) يقول : واصفح عن خليلى علما بأنى متى جازيته على سفهه وجهله بالحلم ندم على قبيح فعله فاعتذر إلى واعتبنى — أرضانى — ورجع الى مرادى ، وهذا من قول سالم بن وابصة

وَنَيْرَبٍ مِنْ مَوَالِي السُّوءِ ذِي حَسَدٍ ... يَقْتَاتُ لَحْمِي وَمَا يَشْفِيهِ مِنْ قَرَمِ (١)

دَاوَيْتُ صَدْراً طَوِيلاً غِمْرُهُ حَقِداً ... مِنْهُ وَقَلَّمْتُ أَظْفَارًا بِلا جَلَمِ (٢)

بِالْحَزْمِ وَالْخَيْرِ أُسْدِيهِ وَأُلْحِمُهُ ... تَقْوَى الْإِلَهِ وَمَا لَمْ يَرْعَ مِنْ رَحِمِ

فَأَصْبَحَتْ قَوْسُهُ دُونِي مُوَتَّرَةً ... تَرْمِي عَدُوًّى جِهَارًا غَيْرَ مُكْتَتِمِ

وَإِنَّ فِي الْحِلْمِ ذُلاًّ أَنْتَ عَارِفُهُ ... وَالْحِلْمُ عَنْ قُدْرَةٍ فَضْلٌ مِنَ الْكَرَمِ

ومن روى

وأحلم عن خلى وأعلم أننى ... متى أَجْزِهِ يوماً على الجهل أندمُ

يكون المعنى : متى جهلت عليه كما جهل على ندمت على ذلك لأن السفه والجهل ليسا من أخلاقى (٤) يقول : انى لا آخذ من الانسان الصلة — العطية — حتى يكون معها

---

(١) رجل نيرب ، وذو نيرب ذو شر ونميمة . والقرم شدة الشهوة إلى اللحم

(٢) الغمر الحقد والغل والجلم أحد شقى المقراض وانما هو جلمان

وَأَهْوَى مِنَ الْفِتْيَانِ كُلَّ سَمَيْذَعٍ نَجِيبٍ كَصَدْرِ السَّمْهَرِيِّ الْمُقَوَّمِ (١)
خَطَتْ تَحْتَهُ الْعِيسُ الْفَلَاةَ وَخَالَطَتْ بِهِ الْخَيْلُ كَبَّاتِ الْخَمِيسِ الْعَرَمْرَمِ (٢)
وَلَا عِفَّةٌ فِي سَيْفِهِ وَسِنَانِهِ وَلَكِنَّهَا فِي الْكَفِّ وَالْفَرْجِ وَالْفَمِ (٣)
وَمَا كُلُّ هَاوٍ لِلْجَمِيلِ بِفَاعِلٍ وَلَا كُلُّ فَعَّالٍ لَهُ بِمُتَمِّمِ (٤)
فَدًى لِأَبِي الْمِسْكِ الْكِرَامُ فَإِنَّهَا سَوَابِقُ خَيْلٍ يَهْتَدِينَ بِأَدْهَمِ (٥)

بشر وبشاشة واذا بذلها وهو عابس جدت عليه بترك تلك الصلة وأنا مبتسم راض بتركها . وقال ابن القطاع : صحف هذا البيت سائر الرواة فرووه بجود التارك ولا معنى للتارك وانما هو الباذل ومعناه وان بذل الانسان لى جوده وهو عابس الوجه غير منشرح الصدر جازيته مجازاة من بذل لى جوده وهو ضاحك ولم أكافئه

(١) السميدع والسميذع السيد الكريم الجميل الجسم الموطأ الاكناف وقيل هو الشجاع . والنجيب الفاضل الكريم — ضد اللئيم — والسمهرى الرمح القوى الصلب وصدره مقدمه مما يلى السنان . يقول : أحب من الفتيان كل سيد يغشى الناس بيته للضيافة نجيب جميل طويل القد كالرمح المقوم (٢) خطت جابت وقطعت والضمير من تحته للسميذع . والعيس الأبل البيض والكبة الحملة فى الحرب من قولهم كبه لوجهه إذا القاه قال بعض العرب : طعنته فى الكبة ، طعنة فى السبة، فأخرجتها من اللبة ، فقيل له ليف طعنة فى السبة — وهى حلقة الدبر — فقال ان رمحه كان قد سقط من يده فأكب ليأخذه فطعنته . والخميس الجيش من خمس فرق . والعرمرم الكثير . يقول قد سافر كثيرا وقطعت به الأبل الفلوات وشهد الحروب وألفها فخالطت به الخيل الجيوش وحملاتها (٣) يقول : ليس بعفيف السيف والرمح فانه اذا شهد الحرب قتل الاقران ولم يتعفف عن دمائهم وانما عفته فى كفه لا يأخذ من مال أحد شيأ، وفى فرجه لا يقرب الزنا ، وفى فمه فهو يمسك لسانه عن كل مالا يحل ولا يأكل الا من حل

(٤) يقول : ليس كل من احب الأمر الجميل يصنعه ولا كل من يصنعه يتممها

(٥) فدى خبر مقدم والكرام مبتدأ مؤخر . والأدهم الأسود . جعل الكرم كخيل سوابق وجعله كأدهم يتقدم تلك السوابق وهن يجرين على أثره ، يعنى أنه امام الكرام وسابقهم

أَغَرَّ بِمَجْدٍ قَدْ شَخَصْنَ وَرَاءَهُ إِلَى خُلُقٍ رَحْبٍ وَخَلْقٍ مُطَهَّمِ (١)

إِذَا مَنَعَتْ مِنْكَ السِّيَاسَةُ نَفْسَهَا فَقِفْ وَقْفَةً قُدَّامَهُ تَتَعَلَّمِ (٢)

يَضِيقُ عَلَى مَنْ رَاءَهُ الْعُذْرُ أَنْ يُرَى ضَعِيفَ الْمَسَاعِي أَوْ قَلِيلَ التَّكَرُّمِ (٣)

وَمَنْ مِثْلُ كَافُورٍ إِذَا الْخَيْلُ أَحْجَمَتْ وَكَانَ قَلِيلاً مَنْ يَقُولُ لَهَا اقْدُمِي (٤)

شَدِيدٌ ثَبَاتُ الطَّرْفِ وَالنَّقْعُ وَاصِلٌ إِلَى لَهَوَاتِ الْفَارِسِ الْمُتَلَثِّمِ (٥)

---

(١) أغر أى بأدهم أغر فهو نعت لأدهم وبمجد متعلق بأغر وشخصن رفعن أبصارهن والرحب الواسع ومطهم تام . يقول : ان هذا الأدهم أغر غير أن غرته المجد لا البياض وهذه السوابق قد مدت أعينها وراء هذا الأغر تنظر منه إلى خلق واسع وخلق تام الجمال (٢) يقول : اذا لم تحسن السياسة فاخدمه بالقيام أمامه مرة تتعلم منه حسن السياسة (٣) راءه مقلوب رآه . والمساعى جمع مسعاة وهي السعى فى طلب المجد يقول : من رآه ورأى افعاله لم يكن له عذر فى أن يكون ضعيف المساعى قليل الكرم ، يعنى منه تتعلم هذه الأشياء فمن رآه ولم يتعلمها منه فهو غير معذور ، وقد جعل ابن جنى هذا داخلا فى الهجاء على معنى أن مثله فى خسته ولؤم أصله اذا كان له مسعاة وتكرم فلا عذر لأحد بعده فى تركها كما قال الآخر

لا تيْأَسَنَّ مِنَ الإِمارَةِ بَعْدَ ما خَفَقَ اللِّواءُ على عِمامَةِ جَرْوَلِ

(٤) يقول : من مثله اذا أحجمت الكتيبة – تأخرت – وقل من يحثها على ورود المعركة ؟ أى أنه يحث الجيش عند الاحجام ويشجعه على لقاء العدو ، قال الواحدى : والرواية أقدمى بضم الدال أى تقدمى من قدم يقدم اذا تقدم ومن روى اقدمى بفتح الدال فمعناه ردى الحرب – من الورود – من قدم يقدم قدوما

(٥) الطرف الفرس ، والنقع الغبار . واللهوات جمع لهاة وهى اللحمة المتدلية فى أقصى الحلق . يقول : اذا سطع الغبار وثار حتى وصل إلى لهوات من شد على فمه اللثام اتقاء الهواء والغبار فهو حينئذ ثابت فى المعركة لا يحجم ولا يتأخر ولا يتسرب اليه الفزع . ومن روى الطرف بفتح الطاء أى العين فمعناه أن عينه لا تبرق (١) ولا يتداخله الفزع

---

(١) برق البصر يبرق من باب طرب اذا تحير فلم يطرف

أَبَا المِسْكِ أَرْجُو مِنْكَ نَصْرًا عَلَى العِدَا ... وَآمُلُ عِزًّا يَخْضِبُ البِيضَ بِالدَّمِ (١)

وَيَوْمًا يَغِيظُ الحَاسِدِينَ وَحَالَةً ... أُقِيمُ الشَّقَا فِيهَا مَقَامَ التَّنَعُّمِ (٢)

وَلَمْ أَرْجُ إِلَّا أَهْلَ ذَاكَ وَمَنْ يُرِدْ ... مَوَاطِرَ مِنْ غَيْرِ السَّحَائِبِ يَظْلِمِ (٣)

فَلَوْ لَمْ تَكُنْ فِي مِصْرَ مَا سِرْتُ نَحْوَهَا ... بِقَلْبِ المَشُوقِ المُسْتَهَامِ المُتَيَّمِ (٤)

وَلَا نَبَحَتْ خَيْلِي كِلَابُ قَبَائِلٍ ... كَأَنَّ بِهَا فِي اللَّيْلِ حَمْلَاتِ دَيْلَمِ (٥)

وَلَا اتَّبَعَتْ آثَارَنَا عَيْنُ قَائِفٍ ... فَلَمْ تَرَ إِلَّا حَافِرًا فَوْقَ مَنْسِمِ (٦)

(١) أبا المسك أى يا أبا المسك . والبيض السيوف . يقول : أرجو منك عزا أتمكن به من أعدائى فأعصف بهم وآتى عليهم (٢) يقول . أرجو ان أدرك بعزك حالة شقائى فيها عندى مثل التنعم ، اى أشقى فى حرب الأعداء فأتنعم بهذا الشقاء ، و يجوز أن يكون المعنى أنى أبدل تنعم الأعداء بالشقاء لما أجلب لهم من الحسد لنعمتى والغيظ لمكانى فيشقون بى (٣) يقول : أنت أهل لأن يرجى لديك ما رجوته ولم أضع الرجاء منك فى غير موضعه كمن يرجو مطرا من غير سحاب فيقال له ظلمت — أى وضعت الشىء فى غير محله — حين رجوت المطر من غير موضعه (٤) المستهام الذى ذهب على وجهه من عشق ونحوه . والمتيم الذى ملك عليه الحب أمره واستعبده (٥) الديلم جيل من الترك كانت بينهم وبين العرب عداوة فصار اسمهم عبارة عن الاعداء حتى جاء أن الديلم هم الأعداء قال عنترة

شَرِبَتْ بِمَاءِ الدُّحْرُضَيْنِ فَأَصْبَحَتْ ... زَوْرَاءَ تَنْفِرُ عَنْ حِيَاضِ الدَّيْلَمِ

« الدحرضان ما آن » وقال عنترة

جَاؤُا يَجُرُّونَ البُرُودَ جَرًّا ... صُهْبَ السِّبَالِ يَبْتَغُونَ الشَّرَّا

أراد أن عداوتهم كعداوة الروم للعرب والروم صهب السبال وألوان العرب السمرة والأدمة . وقال ابن جنى سأل أبا الطيب بعض من حضر فقال أتريد بالديلم الأعداء أم هذا الجيل من العجم فقال من العجم . وحملات جمع حملة وأسكنه ضرورة . يقول : انه كان يمر بالليل فى طريقه إلى مصر على القبائل فتصول كلابها على خيله كأنها أعداء تحمل عليها (٦) القائف الذى يقفو الآثار — يتبعها — والمنسم خف البعير . يقول : ان الذى اتبعنا واقتفى آثارنا ليردنا عن المسير اليك لم ير إلا آثار الابل والخيل ، أى

وَسَمْنَا بِهَا الْبَيْدَاءَ حَتَّى تَغَمَّرَتْ مِنَ النِّيلِ وَاسْتَذْرَتْ بِظِلِّ الْمُقَطَّمِ (١)

وَأَبْلَخَ يَعْصِي بِاخْتِصَاصِي مُشِيرَهُ

عَصَيْتُ بِقَصْدِيهِ مُشِيرِي وَلُؤْمِي (٢)

فَسَاقَ إِلَيَّ الْعُرْفَ غَيْرَ مُكَدَّرٍ وَسُقْتُ إِلَيْهِ الشُّكْرَ غَيْرَ مُجَمْجَمِ (٣)

فَدَاخْتَرْتُكَ الْأَمْلَاكَ فَاخْتَرْ لَهُمْ بِنَا حَدِيثًا وَقَدْ حَكَّمْتُ رَأْيَكَ فَاحْكُمِ (٤)

لم يدركنا لسرعة سيرنا ، وكان من عادتهم اذا طالت عليهم الرحلة أن يركبوا الابل ويجنبوا الخيل فلذلك قال إلا حافرا فوق منسم أى إلا أثر حافر فوق أثر خف ، ومن هذا قول مقاس العائذى

أَوْلَى فَأَوْلَى يَا امْرَءَ الْقَيْسِ بَعْدَمَا خَصَفْنَا بِآثَارِ الْمَطِيِّ الْحَوَافِرَا

« يقال خصفت الابل الخيل تبعتها »

(١) تغمرت أى شربت قليلا من الغمر وهو القدح الصغير واستذرت أى نزلت فى ذراء أى فى كنفه وناحيته والمقطم الجبل المعروف بمصر . يقول : وسمنا البيداء بآثار خيلنا وركابنا — يعنى سرنا فى أرض غفل لا أثر بها لسالك فصارت آثار الخيل والابل كالسمة لها — أى العلامة — حتى وردت النيل — نيل مصر — فشربت منه دون الرى ، وذلك لانها وردت الماء مكدودة فقل شربها ومنه قول طفيل

أَنَخْنَا فَسُمْنَاهَا النِّطَافَ فَشَارِبٌ قَلِيلًا وَآبٍ صَدَّ عَنْ كُلِّ مَشْرَبِ

« النطاف جمع نطفة وهى الماء الصافى قل أو كثر » (٢) الابلخ العظيم فى نفسه وهو من صفات الملوك ويروى بالجيم فهو الجميل الوجه وهو عطف على المقطم وقوله بقصديه أى بقصدى اياه . يقول : واستذرت بظل أبلخ يعصى من يشير عليه بتركى بأن يختصنى دون غيرى كما أنى عصيت من أشار على بترك المسير اليه . قال الواحدى : يقال أنه أراد بهذا ابن حنزابه — جعفر بن الفرات — وزير الاسود ولم يكن المتنبى مدحه

(٣) العرف المعروف . والمجمجم من قولهم جمجم كلامه اذا عماه وستره ولم يأت به على الوجه الذى يهتدى اليه . يقول : لم يكدر احسانه إلى بالمن ولم ينغصه بالاذى فكان شكريه صريحا خالصا غير مشوب (٤) قوله اخترتك الاملاك يريد اخترتك من الأملاك — الملوك — فحذف من وأوصل الفعل كما فى قوله تعالى واختار موسى

فَأَحْسَنُ وَجْهٍ فِي الْوَرَى وَجْهُ مُحْسِنٍ ... وَأَيْمَنُ كَفٍّ فِيهِمِ كَفُّ مُنْعِمِ (١)

وَأَشْرَفُهُمْ مَنْ كَانَ أَشْرَفَ هِمَّةً ... وَأَكْبَرَ إِقْدَامًا عَلَى كُلِّ مُعْظَمِ (٢)

لَمَنْ تَطْلُبُ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تُرِدْ بِهَا ... سُرُورَ مُحِبٍّ أَوْ إِسَاءَةَ مُجْرِمِ (٣)

وَقَدْ وَصَلَ الْمُهْرُ الَّذِي فَوْقَ فَخْذِهِ ... مِنَ اسْمِكَ مَا فِي كُلِّ عُنْقٍ وَمِعْصَمِ (٤)

لَكَ الْحَيَوَانُ الرَّاكِبُ الْخَيْلَ كُلَّهُ ... وَإِنْ كَانَ بِالنِّيرَانِ غَيْرَ مُوَسَّمِ (٥)

وَلَوْ كُنْتُ أَدْرِي كَمْ حَيَاتِي قَسَمْتُهَا ... وَصَيَّرْتُ ثُلْثَيْهَا انْتِظَارَكَ فَاعْلَمِ (٦)

قومه سبعين رجلا . يقول : اخترتك من بين ملوك الدنيا وآثرتك بقصدى إياك دونهم فاختر لهم بنا حديثا من مدح أو هجاء بمنع أو حرمان ، أى انهم سيتحدثون بنا وبما كان منا فاختر ما تريد من ثناء واطراء بالبر والاحسان أو ذم وهجاء بالبخل والحرمان فانت المحكم فيما تختار (١) أيمن من اليمن وهو البركة . قال الواحدي : هذا البيت يورى عن هجاء له بقبح الصورة وأنه لامنقبة له يمدح بها غير أنه إذا أحسن بالأعطاء فوجهه أحسن الوجوه ويده أيمن الأيدى بالأنعام وكذلك البيت الذى بعده

(٢) معظم أى أمر عظيم قال الواحدى : يريد أنه خال عما يمدح به الملوك من حسب أو نسب أو شرف تليد ـ قديم موروث ـ فان لم يستحدث لنفسه شرفا بعلو همه واقدام لم يكن له خصلة يمدح بها (٣) لمن استفهام انكار . يقول : انما تراد الدنيا ويتناحر عليها ويتنافس فيها لنفع الأولياء وضر الأعداء وليس تصلح لغير هذين قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم : إذا لم تصن بالمال أبناء الجنس وتقتل به أعداء النفس فما تصنع بالأعراض ؟ (٤) المعصم موضع السوار من الزند . يريد ان المهر الذى أهداه اليه كان موسوما باسمه الذى هو سمة لكل حيوان ، يعنى أنه ملك يملك كل حى كما بين ذلك فى البيت التالى (٥) أراد بالحيوان الراكب الخيل الانسان والموسم المعلم . يقول : لك الخيل ومن يركبها وكل حيوان وان كانت غير معلمة

(٦) هذا استبطاء لما يرجوه منه يقول : لو كنت أعرف كم مقدار بقائى فى الدنيا لجعلت ثلثى ذلك المقدار مدة انتظار عطائك ، وهذا من قول مسلم بن الوليد

لَوْ كَانَ عِنْدَكَ مِيثَاقٌ يُخَلِّدُنَا ... إِلَى الْمَشِيبِ انْتَظَرْنَا سَلْوَةَ الْكِبَرِ

وَلَكِنَّ مَا يَمْضِي مِنَ الْعُمْرِ فَائِتٌ فَجُدْ لِي بِحَظِّ الْبَادِرِ الْمُتَغَنِّمِ (١)
رَضِيتُ بِمَا تَرْضَى بِهِ لِي مَحَبَّةً وَقُدْتُ إِلَيْكَ النَّفْسَ قَوْدَ الْمُسَلِّمِ (٢)
وَمِثْلُكَ مَنْ كَانَ الْوَسِيطَ فُؤَادُهُ فَكَلَّمَهُ عَنِّي وَلَمْ أَتَكَلَّمِ (٣)

وقال يذكر همّى كانت تغشاه بمصر ويعرض بالرحيل عن مصر وذلك فى ذى الحجة سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة

مَلُومُكُمَا يَجِلُّ عَنِ الْمَلَامِ وَوَقْعُ فِعَالِهِ فَوْقَ الْكَلَامِ (٤)
ذَرَانِي وَالْفَلَاةَ بِلَا دَلِيلٍ وَوَجْهِي وَالْهَجِيرَ بِلَا لِثَامِ (٥)
فَإِنِّي أَسْتَرِيحُ بِذِي وَهَذَا وَأَتْعَبُ بِالْإِنَاخَةِ وَالْمُقَامِ (٦)
عُيُونُ رَوَاحِلِي إِنْ حِرْتُ عَيْنِي وَكُلُّ بُغَامِ رَازِحَةٍ بُغَامِي (٧)

(١) البادر المسرع . والمتغنم الذى يغتنم الشىء . يقول : مافات من العمر لايعود أى ان مابقى من الحياة غير طويل فان الماضى غير مستدرك فجدلى بحظ من يستعجل ويبادر إلى الأمور ويغتنمها وقت القدرة والأمكان (٢) هذا كالعود من عتاب الاستبطاء يقول : ان كنت ترضى بتأخير ما أرجوه فأنا أرضى به أيضا محبة لك وانجذابا الى هواك وموافقة لرضاك لأنى قدت نفسى إليك قود من يسلم لك مانفعله والمسلم لايعارض بشىء (٣) يقول : مثلك فى كرمك وسماحتك يكون فؤاده وسيطا بينه وبينى فيكلمه عنى ولا يحوجنى الى الكلام (٤) الفعال بمعنى الفعل . يقول : ــ لصاحبيه اللذين يلومانه على تجشم الاسفار واخطاره بنفسه فى طلب المعالى ــ : ملومكما ــ يعنى نفسه ــ أجل من أن يلام لان فعله يجوز طوق القول فلا يدرك فعله بالوصف والقول ولانه لامطمع للائم فيه بأن يطيعه أو يخدعه هو بلومه (٥) ذرانى دعانى واتركانى . والفلاة الصحراء . ونصب الفلاة والهجير لانهما مفعولان معهما . والهجير حر نصف النهار . يقول : دعانى مع الفلاة أسلكها بغير دليل لاهتدائى فيها وخبرتى بمسالكها ، ودعانى مع الهجير اسير فيه بغير لثام يقى وجهى لانى قد اعتدت ذلك (٦) الاناخة النزول . والمقام مصدر ميمى بمعنى الاقامة وقوله بذى وهذا يعنى بالفلاة والهجير . يقول : راحتى فيهما وتعبى فى النزول والاقامة (٧) الرواحل جمع راحلة وهى الناقة . وبغام الناقة صوت

فَقَدْ أَرِدُ الْمِيَاهَ بِغَيْرِ هَادٍ ... سِوَى عَدِّى لَهَا بَرْقَ الْغَمَامِ (١)

يُذِمُّ لِهُجْتِى رَبِّى وَسَيْفِى ... إِذَا احْتَاجَ الْوَحِيدُ إِلَى الذِّمَامِ (٢)

وَلَا أُمْسِى لِأَهْلِ الْبُخْلِ ضَيْفًا ... وَلَيْسَ قِرَى سِوَى مُخِّ النَّعَامِ (٣)

فَلَمَّا صَارَ وُدُّ النَّاسِ خِبًّا ... جَزَيْتُ عَلَى ابْتِسَامٍ بِابْتِسَامِ (٤)

وَصِرْتُ أَشُكُّ فِيمَنْ أَصْطَفِيهِ ... لِعِلْمِى أَنَّهُ بَعْضُ الْأَنَامِ (٥)

لاتفصح به وبغمت الناقة تبغم بغاما قطعت الحنين ولم تمده . ورزحت الناقة سقطت من الاعياء . قال الواحدى : قال ابن جنى : معناه ان حارت عينى فأنا بهيمة مثل رواحلى وعينى عينها وصوتى صوتها كما تقول ان فعلت كذا فأنت حمار وأنت بلا حاسة وزاد ابن فورجه هذا بيانا فقال يريد أنه بدوى عارف بدلالات النجوم فى الليل فيقول ان تحيرت فى المفازة فعينى البصيرة عين راحلتى ومنطق الفصيح بغامها ، وقال التبريزى : عيون رواحلى تنوب عنى اذا ضللت اهتدى بها وصوتها اذا احنجت الى أن أصوت ليسمع الحى يقوم مقام صوتى وانما قال بغامى على الاستعارة

(١) يقول : لا أحتاج فى ورود الماء الى دليل يدلنى سوى أن أعد برق الغمام واستدل بذلك على المطر فأتبع موقعه على عادة العرب فى عدها بروق الغمام ، وذلك أن العرب كانوا اذا لاح البرق عدوا سبعين برقة وقيل مائة فاذا كملت وثقوا بأن البرق برق ماطر فرحلوا يطلبون موضع الغيث (٢) يقال أذم له أى أعطاه الذمة وهى العهد والخفارة. والمهجة الروح . يقول : من احتاج فى سفره الى ذمة ليأمن بذلك فانى أكون فى ذمة الله وذمة سيفى لا أستصحب أحداً فى سفرى لآمن بصحبته

(٣) وليس قرى أى وليس لى قرى يقول ، لا أمسى ضيفاً للبخيل وان لم يكن لى طعام البتة — لانه لامخ للنعام — ويجوز أن يريد بهذا أن البخيل لا قرى عنده ، ويروى مع بالحاء المهملة — وهو صفرة البيض وقيل مافى جوف البيض من أصفر وأبيض كله مح — والمعنى على هذا لو لم يكن لى قرى سوى بيض النعام شربته ولم آت بخيلا

(٤) الخب الخداع . يقول : لما فسد ود الناس وصار خداعا يبشون بوجوههم وكشحهم منطو على الخبث عاملتهم بمثل ما يعاملوننى به ، فهم يكاشرونى وأنا أكاشرهم

(٥) يقول : لعموم الفساد فى الخلق كلهم صرت اذا اصطفيت — اخترت — أحدا لمودتى

يُحِبُّ الْعَاقِلُونَ عَلَى التَّصَافِي ... وَحُبُّ الْجَاهِلِينَ عَلَى الْوَسَامِ (١)

وَآنَفُ مِنْ أَخِي لِأَبِي وَأُمِّي ... إِذَا مَا لَمْ أَجِدْهُ مِنَ الْكِرَامِ (٢)

أَرَى الْأَجْدَادَ تَغْلِبُهَا كَثِيرًا ... عَلَى الْأَوْلَادِ أَخْلَاقَ اللِّئَامِ (٣)

وَلَسْتُ بِقَانِعٍ مِنْ كُلِّ فَضْلٍ ... بِأَنْ أُعْزَى إِلَى جَدٍّ هُمَامِ (٤)

عَجِبْتُ لِمَنْ لَهُ قَدٌّ وَحَدٌّ ... وَيَنْبُو نَبْوَةَ الْقَضِمِ الْكَهَامِ (٥)

وَمَنْ يَجِدُ الطَّرِيقَ إِلَى الْمَعَالِي ... فَلَا يَذَرُ الْمَطِيَّ بِلَا سَنَامِ (٦)

لم أكن على ثقة من مودته لعلمي أنه من جملة الحاق . حكى عن المتنبي أنه قال كنت اذا دخلت على كافور أنشده يضحك إلى ويبش فى وجهى حتى أنشدته هذين البيتين فما ضحك بعدها فى وجهى إلى أن تفرقنا فعجبت من فطنته وذكائه (١) الوسام والوسامة حسن الصورة . يقول : العاقل انما يحب من يحبه لاجل صفاء الود بينهما فمن أصفى له الود أحبه أما الجاهل الاحمق فانه يحب على جمال الصورة ، وذلك حب الجهال — الحمق — لانه ليس كل جميل المنظر يستحق المحبة كخضراء الدمن (١) رائق اللون وبيء المذاق (٢) آنف أى أستنكف (٣) يقول : اذا لؤمت الاخلاق غلبت الاصل الطيب الكريم حتى يكون صاحبها لئيما وإن كان من أصل كريم كما قال آخر

أَبُوكَ أَبٌ حُرٌّ وَأُمُّكَ حُرَّةٌ ... وَقَدْ يَلِدُ الْحُرَّانِ غَيْرَ نَجِيبِ

وقال آخر

لَئِنْ فَخَرْتَ بِآبَاءٍ لَهُمْ شَرَفٌ ... لَقَدْ صَدَقْتَ وَلَكِنْ بِئْسَ مَا وَلَدُوا

(٤) أعزى أنسب . والهمام السيد الشجاع السخى يقول : لا أقنع من الفضل بأن أنسب إلى جد فاضل ، يعنى اذا لم أكن فاضلا بنفسى لم يغن عنى فضل جدى

(٥) وحد أى حد السيف يريد لمن كان له بأس ونبا السيف كل عن الضريبة والقضم السيف الذى فيه فلول والكهام الذى لا يقطع . يقول : عجبت لمن توافرت له قوة الشباب وبأسه ثم لا ينفذ فى الامور ولا يكون ماضيا (٦) المطى الابل . والسنام

---

(١) أصل الدمن ما تدمنه الابل والغنم من ابعارها وأبوالها أى تلبده فى مرابضها فربما نبت فيها النبات الحسن النضير وأصله من دمنة فذلك النبت هو خضراء الدمن وفى الحديث إياكم وخضراء الدمن قيل وما ذاك يا رسول الله قال المرأة الحسناء فى المنبت السوء ، شبه المرأة بما ينبت فى الدمن من الكلأ له غضارة وهو وبيء المرعى منتن الاصل

وَلَمْ أَرَ فِي عُيُوبِ النَّاسِ شَيْئاً ... كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ (١)

أَقَمْتُ بِأَرْضِ مِصْرَ فَلاَ وَرَائِي ... تَخُبُّ بِي الْمَطِيُّ وَلاَ أَمَامِي (٢)

وَمَلَّنِيَ الْفِرَاشُ وَكَانَ جَنْبِي ... يَمَلُّ لِقَاءَهُ فِي كُلِّ عَامِ (٣)

قَلِيلٌ عَائِدِي سَقِمٌ فُؤَادِي ... كَثِيرٌ حَاسِدِي صَعْبٌ مَرَامِي (٤)

عَلِيلُ الْجِسْمِ مُمْتَنِعُ الْقِيَامِ ... شَدِيدُ السُّكْرِ مِنْ غَيْرِ الْمُدَامِ (٥)

وَزَائِرَتِي كَأَنَّ بِهَا حَيَاءً ... فَلَيْسَ تَزُورُ إِلاَّ فِي الظَّلاَمِ (٦)

بَذَلْتُ لَهَا الْمَطَارِفَ وَالْحَشَايَا ... فَعَافَتْهَا وَبَاتَتْ فِي عِظَامِي (٧)

يَضِيقُ الْجِلْدُ عَنْ نَفْسِي وَعَنْهَا ... فَتُوسِعُهُ بِأَنْوَاعِ السَّقَامِ (٨)

ما شخص من ظهر البعير . يقول : وعجبت لمن وجد الطريق إلى معالى الامور فلا يبادر إلى قطعها ليصل اليها ولا يتعب مطاياه فى ذلك الطريق حتى تذهب أسنمتها

(١) يقول: ولا عيب أبلغ من قدر أن يكون كاملاً فى الفضل فلم يكمل ، أى لا عذر له فى ترك الكمال اذا قدر على ذلك ثم تركه ، والعيب الزم له من الناقص الذى لا يقدر على الكمال . يشير بهذه الابيات إلى نفسه ويعرض بالرحيل عن مصر

(٢) الخبب ضرب من السير : والركاب الابل . يقول : أقمت بمصر لانسير بى الابل الى خلف ولا الى قدام ، يعنى أنه لزم الاقامة بها لايريم (٣) يقول : ان مرضه قد طال حتى ملّه الفراش وكان هو يمل الفراش وان لاقاه جنبه فى العام مرة واحدة لانه أبدا كان يكون على سفر (٤) يقول : انى بمصر غريب فليس يعودنى بها الا القليل من الناس ، وفؤادى سقيم لترا كم الاحزان على ، وحسادى كثير لوفور فضلى ، ومرامى — مطلبى — صعب لانى أطلب الملك (٥) قوله من غير المدام أى أنى سكران من غير خمر وانما من الضعف والهموم (٦) وزائرتى أى ورب زائرة لى — يريد الحمى وكانت تأتيه ليلا — يقول : كأنها حيية إذ كانت لا تزورنى إلا فى دجنات الظلام

(٧) المطارف جمع مطرف وهو رداء من خز فى جنبه علمان . والحشايا جمع حشية وهى ما حشى من الفراش مما يجلس عليه . وعافتها كرهتها وأبتها . يقول : هذه الزائرة — يعنى الحمى — لا تبيت فى الفراش وانما تبيت فى عظامى (٨) يقول : جلدى لا يسعها ولا يسع أنفاسى للصعداء والحمى تذهب لحمى وتوسع جلدى بما تورده على من أنواع السقام

إِذَا مَا فَارَقَتْنِي غَسَّلَتْنِي كَأَنَّا عَاكِفَانِ عَلَى حَرَامِ (١)

كَأَنَّ الصُّبْحَ يَطْرُدُهَا فَتَجْرِي مَدَامِعُهَا بِأَرْبَعَةٍ سِجَامِ (٢)

أُرَاقِبُ وَقْتَهَا مِنْ غَيْرِ شَوْقٍ مُرَاقَبَةَ الْمَشُوقِ الْمُسْتَهَامِ (٣)

وَيَصْدُقُ وَعْدُهَا وَالصِّدْقُ شَرٌّ إِذَا أَلْقَاكَ فِي الْكُرَبِ الْعِظَامِ (٤)

أَبِنْتَ الدَّهْرِ عِنْدِي كُلُّ بِنْتٍ فَكَيْفَ وَصَلْتِ أَنْتِ مِنَ الزِّحَامِ (٥)

جَرَحْتِ مُجَرَّحًا لَمْ يَبْقَ فِيهِ مَكَانٌ لِلسُّيُوفِ وَلَا السِّهَامِ (٦)

أَلَا يَا لَيْتَ شِعْرَ يَدِي أَتُمْسِي تَصَرَّفُ فِي عِنَانٍ أَوْ زِمَامِ (٧)

---

(١) قال الواحدي : يريد أنه يعرق عند فراقها فكأنها تغسله لعكوفهما على ما يوجب الغسل وإنما خص الحرام للقافية والا فالاجتماع على الحلال كالاجتماع على الحرام في وجوب الغسل . وقال ابن الشجري وانما خص الحرام لأنه جعلها زائرة غريبة ولم يجعلها زوجة ولا مملوكة (٢) سجم الدمع سال وانسكب . يقول : انها تفارقه عند الصبح فكأن الصبح يطردها وكأنها تكره فراقه فتبكي بأربعة آماق ، يريد كثره الرحضاء ، والدمع يجرى من الموقين فاذا غلب وكثر جرى من اللحاظين أيضا فأراد بالأربعة اللحاظين والموقين للعينين (٣) يقول : انه لجزعه من ورودها يراقب وقت زيارتها خوفا لا شوقا (٤) يقول : انها صادقة الوعد في الورود — لأنها لا تتخلف عن ميقاتها — وذلك الصدق شر من الكذب لانه صدق يضر ولا ينفع كمن أوعد ثم صدق في وعيده

(٥) يريد ببنت الدهر الحمى وبنات الدهر شدائده . يقول للحمى — : عندي كل نوع من أنواع الشدائد فكيف لم يمنعك ازدحامها من الوصول إلى ؟ وهذا من قول الآخر

أَتَيْتُ فُؤَادَهَا أَشْكُو إِلَيْهِ فَلَمْ أَخْلُصْ إِلَيْهِ مِنَ الزِّحَامِ

(٦) يقول : لقد جرحت رجلا من كثرة ملاقاته الحروب لم يبق فيه مكان لضرب السيوف ولا للسهام (٧) يقولون ليت شعري ما حال فلان أي ليتني أشعر وخبر ليت محذوف أي ليت شعري حاصل ونحوه . والعنان سير اللجام . والزمام المقود : يقول :

وَهَلْ أَرْمِي هَوَايَ بِرَاقِصَاتٍ مُحَلَّاةِ الْمَقَاوِدِ بِاللُّغَامِ (١)
فَرُبَّتَمَا شَفَيْتُ غَلِيلَ صَدْرِي بِسَيْرٍ أَوْ قَنَاةٍ أَوْ حُسَامِ (٢)
وَضَاقَتْ خُطَّةٌ فَخَلَصْتُ مِنْهَا خَلَاصَ الْخَمْرِ مِنْ نَسْجِ الْفِدَامِ (٣)
وَفَارَقْتُ الْحَبِيبَ بِلَا وَدَاعٍ وَوَدَّعْتُ الْبِلَادَ بِلَا سَلَامِ (٤)
يَقُولُ لِيَ الطَّبِيبُ أَكَلْتَ شَيْئًا وَدَاؤُكَ فِي شَرَابِكَ وَالطَّعَامِ (٥)
وَمَا فِي طِبِّهِ أَنِّي جَوَادٌ أَضَرَّ بِجِسْمِهِ طُولُ الْجِمَامِ (٦)
تَعَوَّدَ أَنْ يُغَبِّرَ فِي السَّرَايَا وَيَدْخُلَ مِنْ قَتَامٍ فِي قَتَامِ (٧)

ليت يدى علمت هل تتصرف بعد هذا فى عنان خيل أو زمام إبل ؟ يعنى ليتنى علمت هل أصح وأبرأ فأسافر على الخيل والابل (١) هواى أى مايهواه ويطلبه . وبراقصات أى بأبل تسير الرقص وهو ضرب من الحبب يقال رقص البعير رقصا إذا خب ، ومحلاة من الحلية . واللغام زبد يخرج من فم البعير . يقول : وهل أقصد ما أهواه من المطالب والمقاصد بأبل تسير الرقص وقد جعد الزبد على مقاودها فصار عليها مثل الحلى الفضية ، وهذا كما قال منصور النمرى

وَيَقْطَعُ الْبِيدَ مِنْهَا كُلُّ يَعْمَلَةٍ خُرْطُومُهَا بِاللُّغَامِ الْجَعْدِ مُلْتَفِعُ

(٢) الغليل العطش ويراد به كل ماحز فى الصدر . والقناة الرمح . والحسام السيف القاطع . يقول : إنه لما كان صحيحا كان يسافر ويقاتل فيشفى غليله بالسير إلى مايهواه وبالسيف والرمح (٣) الخطة الأمر والقصة . والفدام ما يجعل على فم الأبريق ليصفى به مافيه يقول : ربما ضاق أمر على فخلصت منه كما تخلص الخمر من النسيج الذى تقدم به أفواه الأباريق (٤) يقول : وربما فارقت الحبيب بلا وداع لعجلتى ، يريد أنه قد هرب من أشياء كرهها فلم يقدر على توديع الحبيب ولا على أن يسلم على أهل ذلك البلد الذى هرب منه (٥) و (٦) الجمام الراحة . يقول : إن الطبيب يظن أن سبب دائى الأكل والشرب فيقول أكلت كذا وكذا مما يضر وليس فى طبه أن الذى أضر بجسمى طول لبثى وقعودى عن الأسفار كالفرس الجواد يضر بجسمه طول قيامه فى المرابط فيفتر ويبقى (٧) السرايا جمع سرية وهى القطعة من الجيش تسرى إلى العدو .

فأمسكَ لا يُطَالُ لَهُ فَيَرْعَى ... وَلاَ هُوَ فى العَلِيقِ ولَا اللِّجَامِ (١)

فإنْ أَمْرَضْ فَمَرَضَ اصْطِبَارِى ... وَإنْ أُحْمَمْ فَمَا حُمَّ اعتِزَامِى (٢)

وَإنْ أَسْلَمْ فَمَا أَبْقَى وَلَكِنْ ... سَلِمْتُ مِنَ الحِمَامِ إلَى الحِمَامِ (٣)

تَمَتَّعْ مِنْ سُهَادٍ أَوْ رُقَادٍ ... وَلاَ تأْمُلْ كَرًى تَحْتَ الرِّجَامِ (٤)

فإنَّ لِثَالِثِ الحَالَيْنِ مَعْنًى ... سِوَى مَعْنَى انْتِبَاهِكَ وَالمَنَامِ (٥)

والقتام الغبار وأراد بدخول القتام حضور الحرب . يقول : تعود هذا الجواد — يعنى نفسه — أن يثير الغبار فى الجيوش ويخرج من حرب فيدخل فى غيرها

(١) لا يطال له أى لا يرخى طوله وهو حبل طويل تشد به قائمة الدابة وترسل فى المرعى . يقول : أمسك هذا الجواد لا يرخى له الطول فيرعى فيه ولا هو فى السفر فيعتلف من المخلاة — التى تعلق على رأسه — وليس هو فى اللجام ، وهذا مثل ضربه لنفسه وانه حليف الفراش ممنوع عن الحركة (٢) أحمم من الحمى . يقول : ان كنت قد مرضت فى بدنى فان صبرى وعزمى باقيان على ما كانا عليه لم يمرضا بمرض جسمى

(٣) الحمام الموت . يقول : وان سلمت من الحمى لم أبق خالدا ولكنى أسلم من الموت بها إلى الموت بغيرها ، وهذا قريب من قول طرفة بن العبد

لَعَمْرُكَ إنَّ الموْتَ ما أخْطأ الفَتَى ... لَكَالطِّوَلِ المُرْخَى وثِنْيَاهُ باليَدِ

ومن قول الآخر

إذَا بَلَّ مِن دَاءٍ بِهِ خَالَ أنَّهُ ... نَجَا وَبِهِ الدَّاءُ الَّذِى هوَ قَاتِلُهْ

(٤) السهاد السهر . والكرى يريد به النوم . والرجام القبور واحدها رجم وأصلها حجارة ضخام تجعل على القبر ومنه قول عبد الله بن مغفل لا ترجموا قبري أى لا تجعلوا عليه الرجم أى لا تسنموه بل سوّوه بالأرض . يقول : مادمت حيا فتمتع من حالتى السهر والنوم ولا ترج النوم فى القبر ، وفيه نظر إلى قول الآخر

تمتَّعْ بالرقادِ على شِمالٍ ... فنَوْمُكَ قد يطولُ على اليمينِ

(٥) يريد بثالث الحالين الموت . يقول : ان الموت حال غير حالى السهر والنوم فلا يتمتع فيه بشىء

وقال يهجو كافورا

مِنْ أَيَّةِ الطُّرُقِ يَأْتِي نَحْوَكَ الكَرَمُ ... أَيْنَ المَحَاجِمُ يَا كَافُورُ وَالْجَلَمُ (١)

جَازَا لأُلَى مَلَكَتْ كَفَّاكَ قَدْرَهُمُ ... فَعُرِّفُوا بِكَ أَنَّ الكَلْبَ فَوْقَهُمُ (٢)

لَا شَيْءَ أَقْبَحُ مِنْ فَحْلٍ لَهُ ذَكَرٌ ... تَقُودُهُ أَمَةٌ لَيْسَتْ لَهَا رَحِمُ (٣)

سَادَاتُ كُلِّ أَنَاسٍ مِنْ نُفُوسِهِمِ ... وَسَادَةُ المُسْلِمِينَ الأَعْبُدُ القَزَمُ (٤)

أَغَايَةُ الدِّينِ أَنْ تُحْفُوا شَوَارِبَكُمْ
يَا أُمَّةً ضَحِكَتْ مِنْ جَهْلِهَا الأُمَمُ (٥)

---

(١) المحاجم جمع المحجمة وهى القارورة يحجم بها الجلد . والجلم الذى يجز به وهما جلمان . يقول : لاطريق للكرم اليك فانك لست منه فى شىء انما أنت أهل لأن تكون حجاما مزينا فأين آلة الحجامة حتى تشتغل بها ؟ وفيه اشارة الى أن الذي اشتراه قديما كان حجاما (٢) يقول : ان هؤلاء الذين تملكهم قد تجاوزوا قدرهم بالبطر والطغيان فملكك الله عليهم تحقيرا لهم ووضعا من قدرهم حين ملكهم كلب

(٣) قال الواحدى : يريد بالفحل ذى الذكر رجال عسكره وبالأمة التى لارحم لها الأسود — كافورا — يوبخهم بانقيادهم له . يقول : لاشىء أقبح فى الدنيا من رجل ينقاد لأمة حتى تقوده إلى ماتريد ، وقال ابن فورجه : يريد أن ابن طغج فحل له ذكر وكافورا خصى فهو كالأمة من حيث أنه خصى لكنه قد خالفها بكونه لارحم له فكأنه أنقص من أمة فهذا اغرابه ، يقول : لم تملكه أمرك وأنت فحل وهو أمة فى العجز ودناءة القدر

(٤) القزم رذال الناس وسفلتهم يستوى فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع وروى ابن جنى القزم بضمتين وهو جمع مثل أسد وأسد . وهذا اغراء لأهل مملكته به يقول : كل جيل وأمة يملكهم من هو من جنسهم فكيف ساد المسلمين عبيد رذال لئام

(٥) أحفى شاربه استأصله . يقول — لأهل مصر — : لاشىء عندكم من الدين إلا احفاء الشوارب حتى ضحكت منكم الأمم ، وهذا انكار عليهم طاعة الأسود وتقريره فى المملكة

أَلاَ فَتًى يُوْرِدُ الهِنْدِيَّ هَامَتَهُ كَيْمَا تَزُولَ شُكُوكُ النَّاسِ والتُّهَمُ (١)
فَإِنَّهُ حُجَّةٌ يُؤْذِي القُلُوبَ بِهَا مَنْ دِينُهُ الدَّهْرُ والتَّعْطِيلُ والقِدَمُ (٢)
مَا أَقْدَرَ اللهَ أَنْ يُخْزِي خَلِيقَتَهُ وَلا يُصَدِّقَ قَوْمًا فِي الَّذِي زَعَمُوا (٣)

وقال يهجوه أيضا

أَمَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا كَرِيمٌ تَزُولُ بِهِ عَنِ القَلْبِ الهُمُومُ (٤)
أَمَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مَكَانٌ يُسَرُّ بِأَهْلِهِ الجَارُ المُقِيمُ (٥)
تَشَابَهَتِ البَهَائِمُ والعَبِيدَى عَلَيْنَا والمَوَالِي والصَّمِيمُ (٦)

---

(١) الهندى السيف نسبة إلى الهند : والهامة الرأس . يحرض على قتله . يقول : الا رجل منكم يقتله حتى يزول عن العاقل الشك والتهمة ؟ وذلك أن تمليك مثله يشكك العاقل فى حكمة البارى جل شأنه حتى يفضى به إلى أن يظن أن الناس معطلون عن صانع يدبرهم (٢) يقول : ان الدهرى يقول لو كان للعالم مدبر وكانت الأمور جارية على تدبير حكيم لما ملك هذا العبد (٣) ولا يصدق أى لا يجعلهم صادقين . يقول — كما قال الواحدى : ان الله تعالى قادر على اخزاء الخليقة بأن يملك عليهم لئيما ساقطا من غير أن يصدق الملاحدة الذين يقولون بقدم الدهر ، يشير الى أن تأمير مثله اخزاء للناس وان الله تعالى فعل ذلك عقوبة لهم وليس كما يقول الملحدة ، وذهب بعضهم الى أنه يحتمل أن يكون المراد ان الله قادر أن يخزى الملحدين ويكذب زعمهم بأن يسلط عليه — على كافور — من يقتله ويبطل حجتهم

(٤) يشكو خلو الدنيا من الكرام . يقول : أما فيها كريم يؤنس به و يستروح اليه وتزول به الهموم (٥) يقول : أن كل الأمكنة التى وصل اليها قد عمها اللؤم والأذى أليس فى الدنيا مكان يحفظ أهله الجار ويرعونه فيسر بجوارهم (٦) العبدي العبيد جمع عبد والمراد بهم هنا العباد أى الناس . والموالى جمع مولى المملوك . والصميم الصريح النسب الخالص . يقول عم الجهل الناس كلهم — الذين هم عبيد الله — حتى التبسوا علينا بالبهائم اذ أشبهوها في الجهل ، وملك المملوكون فالتبس الصميم — الأحرار — بالموالي — أي الذين كانوا عبيداً أرقاء — وذلك أن نفاذ الأمر يترجم عن علو القدر .

وَمَا أَدْرِى أَذَا دالٍ حَدِيثٌ ... أَصَابَ النَّاسَ أَمْ دَاءٌ قَدِيمُ (١)

حَصَلْتُ بِأَرْضِ مِصْرَ عَلَى عَبِيدٍ ... كَأَنَّ الْحُرَّ بَيْنَهُمُ يَتِيمُ (٢)

كَأَنَّ الأَسْوَدَ اللَّابِىَّ فِيهِمْ ... غُرَابٌ حَوْلَهُ رَخَمٌ وَبُومُ (٣)

أُخِذْتُ بِمَدْحِهِ فَرَأَيْتُ لَهْوًا ... مَقَالِى لِلأُحَيْمِقِ يَاحَلِيمُ (٤)

وَلَمَّا أَنْ هَجَوْتُ رَأَيْتُ عِيًّا ... مَقَالِى لِابْنِ آوَى يَالَئِيمُ (٥)

فَهَلْ مِنْ عَاذِرٍ فِى ذَا وَفِى ذَا ... فَمَدْفُوعٌ إِلَى السُّقْمِ السَّقِيمُ (٦)

إِذَا أَتَتِ الإِسَاءَةُ مِنْ لَئِيمٍ ... وَلَمْ أَلُمِ الْمُسِىءَ فَمَنْ أَلُومُ (٧)

والأمارة اذا صارت الى اللئام التبسوا على هذا الأصل بالكرام ، يعنى أن التملك انما يستحقه الكرام فاذا صار الى اللئام ظنوا كراما (١) يقول : لست أدرى أهذا الذى أصاب الناس من تملك العبيد واللئام عليهم حدث الآن أم هو قديم كان قبلنا فيما تقدم (٢) يعنى أن الحر بينهم مجفو مهان كاليتيم (٣) اللابى نسبة الى اللاب بلد بالنوبة ويقال اسود لوبى ونوبى نسبة الى اللوبة والنوبة وهما فى الأصل الأرض التى قد ألبستها حجارة سود . والبوم الطائر المعروف الذى يسكن الخراب وبه يضرب المثل فى الشؤم. والرخم طائر من الجوارح الكبيرة الجثة الوحشية الطباع. شبه الاسود بالغراب وهو طير خسيس كثير العيوب وشبه أصحابه أيضا بخساس الطير حول الغراب (٤) يقول : أكرهت على مدحه فرأيتنى لاهيا أن أصف الأحمق بالحلم وان أمدحه بما ليس فيه (٥) ولما أن هجوت أى ولما هجوت فان زائدة . والعى ضد الفصاحة عى فى منطقه عيا اذا لم يوفق الى التعبير عما فى نفسه . وابن آوى ضرب من الكلاب البرية تنذر بالسبع بصياحها . يقول : ولما هجوته وهو ظاهر اللؤم كان نسبتى إياه إلى اللؤم عيا لأن التكلم بما لايحتاج فيه إلى بيان عى ومن قال لابن آوى — وهو من ألأم السباع وأخسها — يالئيم كان متكلفا (٦) يقول : فهل من عاذر لى يقوم بعذرى فى مدحه وهجائه فانى كنت مضطرا لم يكن لى فيهما اختيار كالسقم يطرأ على السقيم من غير اختياره (٧) يعتذر من تكلفه هجاءه يقول : اذا أساء الىّ وضيع لئيم ولم أوجه اللوم اليه فألى من أوجه ؟ وهذا من قول أبى تمام

اذا أنا لم ألُمْ عثَراتِ دَهْرٍ ... أُصِبتُ بِهِ الغَدَاةَ فَمَنْ ألومُ

ودخل عليه صديق له بالكوفة وبيده تفاحة من نَدٍّ عليها اسم فاتك وكانت مما أهداه له فاستحسنها الرجل فقال المتنبي

يُذَكِّرُنِي فَاتِكاً حِلمُهُ ... وَشَيْءٌ مِنَ النَّدِّ فِيهِ اسْمُهُ(١)

وَلَسْتُ بِنَاسٍ وَلَكِنَّنِي ... يُجَدِّدُ لِي رِيحَهُ شَمُّهُ(٢)

وَأَيَّ فَتًى سَلَبَتْنِي المَنُونُ ... وَلَمْ تَدْرِ مَا وَلَدَتْ أُمُّهُ(٣)

وَلاَ مَا تَضُمُّ إِلَى صَدْرِهَا ... وَلَوْ عَلِمَتْ هَالَهَا ضَمُّهُ(٤)

بِمِصْرَ مُلُوكٌ لَهُمْ مَالُهُ ... وَلَكِنَّهُمْ مَالَهُمْ هَمُّهُ(٥)

فَأَجْوَدُ مِنْ جُودِهِمْ بُخْلُهُ ... وَأَحْمَدُ مِنْ حَمْدِهِمْ ذَمُّهُ(٦)

وَأَشْرَفُ مِنْ عَيْشِهِمْ مَوْتُهُ ... وَأَنْفَعُ مِنْ وُجْدِهِمْ عُدْمُهُ(٧)

وَإِنَّ مَنِيَّتَهُ عِنْدَهُ ... لَكَالخَمْرِ سُقِّيَهُ كَرْمُهُ(٨)

(١) الند عود يتبخر به والضمير فى اسمه لفاتك (٢) الضمير فى ريحه لفاتك وفى شمه للند (٣) المنون الموت وامه تنازعه كل من تدر وولدت أى لم تدر أمه ما ولدت (٤) هالها أفزعها يقول : لو علمت أمه التى كانت تضمه الى صدرها فى صغره أنه شجاع فاتك فتال لفزعت منه ولهالها ضم ذلك الولد الى صدرها (٥) قوله بمصر ملوك يعرض بكافور وهمه أى همته يقول : ان لهم مالا كثيراً مثل ماله ولكن ليس لهم مثل علو همته، وهذا من قول أشجع السلمى

ولَيْسَ بأَوْسعِهِمْ فى الغِنى ... ولكنَّ معروفَه أَوْسع

وقول الآخر

ولم يكُ اكثرَ الفتيان مالاً ... ولكن كان اوْسعَهم ذِراعاً

(٦) يقول : اذا بخل كان أجود منهم واذا ذم كان أحمد منهم (٧) الوجد الغنى . والعدم الفقر . يقول : أنه وهو ميت أشرف منهم وهم أحياء ، وهو فى حال عدمه أنفع منهم وهم أغنياء لأنه كان يجود بما يجد وهم يبخلون مع الوجد والغنى (٨) المنية الموت والخمر تذكر وتؤنث فمن ذكرها ذهب بها الى النبيذ يقول : ان منه كانت تنبت المنية

فذاكَ الَّذِى عَبَّهُ مَاؤُهُ وَذَاكَ الَّذِى ذَاقَهُ طَعْمُهُ (١)

وَمَنْ ضَاقَتِ الأَرْضُ عَنْ نَفْسِهِ حَرِىٌّ أَنْ يَضِيقَ بِهَا جِسْمُهُ (٢)

وقال يذكر مسيره من مصر ويرثى فاتكا

وأنشأها يوم الثلاثاء لتسع خلون من شعبان سنة ٣٥٢

حَتَّامَ نَحْنُ نُسَارِى النَّجْمَ فِى الظُّلَمِ وَمَا سُرَاهُ عَلَى خُفٍّ وَلاَ قَدَمِ (٣)

فى الناس ثم عادت عليه فأهلكته فكانت فى ذلك كالخمر التى أصلها الكرم ومنه خرجت ثم عادت فسقيها الكرم وردت اليه

(١) عبه تجرعه وشربه قال ابن جنى : يعنى أن الزمان أتى من موته بما فيه نقض العادة وذلك أن الماء مشروب لاشارب والطعم مذوق لاذائق فموته كانقلاب الامر وهو أن يعب الماء مع كونه مشروبا ويذوق الطعم مع كونه مذوقا . وقال ابن فورجه عند ابن جنى أن الضمير فى عبه لفاتك وكذلك الهاء فى ذاقه على ما ذكر فى تفسيره وليس كذلك لأنه قد قال فى البيت الذى قبله أن الموت الذى أصابه هو بمنزلة الخمر سقيها الكرم أى كانت المنية مما يسقيه الناس بسيفه فصارت شرابا له ثم قال فذاك الذى عبه — يعنى الخمر — هو ماء الكرم فعبه ، وذاك الذى ذاقه هو الموت وهو طعم نفسه الذى كان يموت به الخلق ، قال الواحدى والمعنى على ما قاله ابن فورجه لكنه لم يبينه بيانا شافيا والمعنى أن هذا مثل وهو أن الكرم اذا سقى الخمر فشربه فقد شرب ماء نفسه والذى ذاقه من طعم الخمر هو طعم الكرم ، كذلك موت فاتك لما أهلكه فشرب شراب الموت وذاق طعمه فكأنه شرب شراب نفسه وذاق طعم نفسه

(٢) حرى أى خليق وجدير . يقول : أن من ضاقت الأرض عن همته لخليق أن يضيق جسمه بهمته فلا يسعها واذا لم يسعها ولم يطق احتمالها هلك لعظم ما يطلبه كما قال الآخر

عَلى النفوسِ جِنايَاتٌ مِنَ الهِمم

(٣) حتام هي حتى وما وحذفت ألف ما لامتزاجها بحتى وكثرة استعمالها ويجوز اثباتها على الأصل . ونسارى نفاعل من السرى وهو السير ليلا . والنجم اسم جنس أى النجوم قال تعالى وبالنجم هم يهتدون . والواو من وما سراه حالية . والخف للبعير

وَلاَ يُحِسُّ بِأَجْفَانٍ يُحِسُّ بِهَا فَقْدَ الرُّقَادِ غَرِيبٌ بَاتَ لَمْ يَنَمِ (١)

تُسَوِّدُ الشَّمْسُ مِنَّا بِيضَ أَوْجُهِنَا وَلاَ تُسَوِّدُ بِيضَ الْعُذْرِ وَاللِّمَمِ (٢)

وَكَانَ حَالُهُمَا فِي الْحُكْمِ وَاحِدَةً لَوِ احْتَكَمْنَا مِنَ الدُّنْيَا إِلَى حَكَمِ (٣)

وَنَتْرُكُ الْمَاءَ لاَ يَنْفَكُّ مِنْ سَفَرٍ مَا سَارَ فِي الْغَيْمِ مِنْهُ سَارَ فِي الأَدَمِ (٤)

لاَ أُبْغِضُ الْعِيسَ لَكِنِّي وَقَيْتُ بِهَا

قَلْبِي مِنَ الْحُزْنِ أَوْ جِسْمِي مِنَ السَّقَمِ (٥)

بمنزلة الحافر للدابة . يقول : الى متى نسرى مع النجوم فى ظلم الليل وليست تسرى هي على خف — كالابل — ولا على قدم — كالناس — أى أن النجوم لا يصيبها الكلال من السرى كما يصيبنا ويصيب مطايانا (١) فاعل يحس الأولى يعود على النجم وفاعل يحس الثانية غريب . يقول : ان النجوم لايؤثر فيها عدم النوم كما يؤثر فى رجل بعيد عن أهله بات يسرى ساهراً ، يعنى نفسه (٢) العذر جمع عذار واصلها عذر بضم الذال ولكنه أسكنها هنا على لغة والعذار جانب اللحية أى الشعر الذى يحاذى الأذن واللمم جمع لمة وهو الشعر المجاوز شحمة الأذن والذى يلم بالمنكب . يقول : أن الشمس تغير ألواننا فتسود وجوهنا البيض ولكنها لاتؤثر ذلك التأثير فى شعورنا البيض ، وهذا من قول أبى تمام

ترَى قَسَمَاتِنا تسوَدُّ فيها وما أخلاقنا فيها بسودِ

« القسمات بفتح السين وكسرها الوجوه » (٣) الحكم الحاكم واحتكمنا تحاكمنا . يقول : لو احتكمنا الى حاكم من الدنيا لحكم بأن مايسود الوجه يسود الشعر ولكن الله قضى بأن الشمس انما تسود الوجه ولا تسود الشعر

(٤) الأدم بفتحتين وبضمتين جمع أديم وهو الجلد المدبوغ . يقول : ونجعل الماء لايزال مسافراً أما فى السحاب واما فى قربنا لأنا نغترفه من السحاب فنودعه الأداوى

(٥) العيس الابل . يقول ليست الابل ببغيضة الى ، فليس اتعابى اياها فى السفر بغضا لها منى ولكني أسافر عليها لأقى قلبى من الحزن أو جسمى من السقم ، وذلك أن السقيم اذا غير الهواء والماء وسافر صح جسمه وكذلك المحزون يتنسم برَوح الهواء أو يصير الى مكان يسرفيه بالاكرام

طَرَدْتُ مِنْ مِصْرَ أَيْدِيهَا بِأَرْجُلِهَا ... حَتَّى مَرَقْنَ بِنَا مِنْ جَوْشَ وَالْعَلَمِ (١)
تَبْرِي لَهُنَّ نَعَامُ الدَّوِّ مُسْرَجَةً ... تُعَارِضُ الْجُدُلَ الْمُرْخَاةَ بِاللُّجُمِ (٢)
فِي غِلْمَةٍ أَخْطَرُوا أَرْوَاحَهُمْ وَرَضُوا ... بِمَا لَقِينَ رِضَا الْأَيْسَارِ بِالزَّلَمِ (٣)
تَبْدُو لَنَا كُلَّمَا أَلْقَوْ عَمَائِمَهُمْ ... عَمَائِمٌ خُلِقَتْ سُودًا بِلَا لُثُمِ (٤)
بِيضُ الْعَوَارِضِ طُعَّانُونَ مَنْ لَحِقُوا ... مِنَ الْفَوَارِسِ شَلَّالُونَ لِلنَّعَمِ (٥)

(١) ايديها وأرجلها أي العيس وأسكن الياء فى أيديها ضرورة ومرقن أى خرجن من مرق السهم من الرمية اذا خرج من الجانب الآخر . وجوش والعلم مكانان . يقول : حثثتها على السير وأعجلتها حتى كأن ارجلها طاردة لأيديها كما قال بعض العرب

كَأَنَّ يَدَيْهَا حِينَ جَدَّ نَجَاؤُهَا ... طَرِيدَانِ وَالرِّجْلَانِ طَالِبَتَا وَتْرِ

وذلك أن اليد أمام الرجل كالمطرود يكون أمام الطارد ، شبه خروجها من هذين المكانين بخروج السهم من الرمية لسرعة سيرها ، ولذلك قال مرقن

(٢) تبرى تعارض يقال برى له وانبرى له اذا عارضه . والدو الفلاة . وأراد بنعام الدو الخيل جعلها كالنعام فى سرعة عدوها وظهر بقوله مسرجة أنها الخيل . والجدل جمع جديل وهو حبل من أدم أو شعر فى عنق البعير . يقول : تنبرى الخيل للعيس وتعارض أزمتها بلجمها وأعنتها ، أى تباريها فى السير . وقال ابن جنى : يقول — المتنبى — : الخيل لعلو أعناقها واشرافها تبارى أعناق الابل فتكون اللجم فى أعناقها كالجدل — الازمة — فى أعناق الابل (٣) غلمة جمع غلام . وأخطروا أرواحهم أى خاطروا بها . ولقين أى الارواح . والايسار جمع يسر وهم الذين يتقامرون ويجتمعون على الميسر . والزلم السهم من سهام الميسر . يقول : سرت من مصر فى غلمة حملوا أرواحهم على الخطر لبعد المسافة وصعوبة الطريق ورضوا بما يستقبلهم من فوز أو تهلكة كما يرضى المقامرون بما يخرج لهم بالازلام (٤) اللثم جمع لثام ما يلقى على الوجه من طرف العمامة . يقول : ان هؤلاء الغلمة كلما ألقوا عمائمهم التى على رؤسهم ظهر من شعورهم على رؤسهم عمائم سود ليس لها لثم ، وذلك ان العرب تجعل العمائم بعضها لثما على الوجه وبعضها على الرأس فهو يقول أن شعورهم على رؤسهم كالعمائم وليس فيها شىء على وجوههم ، يعنى أنهم مرد لم يتصل شعر العوارض والوجوه بشعر الرأس كما بين ذلك فى البيت التالى (٥) العوارض جمع عارض صفحة الخد . وشلالون

قَدْ بَلَّغُوا بِقَنَاهُمْ فَوْقَ طَاقَتِهِ ... وَلَيْسَ يَبْلُغُ مَا فِيهِمْ مِنَ الْهِمَمِ (١)

فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِلاَّ أَنَّ أَنْفُسَهُمْ ... مِنْ طِيبِهِنَّ بِهِ فِي الأَشْهُرِ الْحُرُمِ (٢)

نَاشُوا الرِّمَاحَ وَكَانَتْ غَيْرَ نَاطِقَةٍ ... فَعَلَّمُوهَا صِيَاحَ الطَّيْرِ فِي الْبُهَمِ (٣)

تَخْدِي الرِّكَابُ بِنَا بِيضًا مَشَافِرُهَا ... خُضْرًا فَرَاسِنُهَا فِي الرُّغْلِ وَالْيَنَمِ (٤)

طرادون . والنعم الماشية وغلب على الابل . يقول : انهم مرد صعاليك * قتالون للفوارس طرادون للنعم يغيرون عليها اينما وجدوها (١) بلغوا بالتشديد مبالغة فى بلغوا بالتخفيف . والقنا يذكر ويؤنث . يقول : قد استفرغوا وسع الرماح طعنا ومع ذلك لم تبلغ الرماح غاية همهم (٢) الضمير فى به للقنا . يقول : هم أبدا فى القتال والغارة كفعل أهل الجاهلية إلا أن أنفسهم طابت بالقتل وسكنت إليه فكأنهم فى الاشهر الحرم أمنا وسكونا ، وكان أهل الجاهلية يأمنون فى الاشهر الحرم لأن القتال يترك فيها ، وعبارة ابن القطاع : المعني انهم لتمرنهم فى الحرب والقتل فى مثل أحوال الجاهلية الا أن أنفسهم غير خائفة من الحرب لشجاعتهم وثقة بظهورهم على أعدائهم فكأنهم فى الأشهر الحرم. « هذا » والاشهر الحرم أربعة ثلاثة سرد وهي ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب (٣) ناشوا تناولوا . والبهم جمع بهمة وهو الشجاع الذى لايدرى من أين يؤتى . يقول: تناولوا الرماح وكانت جمادا لا تنطق فأسمعوا الناس صريرها فى طعان الشجعان فصارت كأنها طير تصيح ؛ وهذا من قول الآخر

تَصِيحُ الرُّدَيْنِيَّاتُ فِينَا وَفِيهِمْ ... صِيَاحَ بَنَاتِ الْمَاءِ اصْبَحْنَ جُوَّعَا

ومثله قول بعض العرب

زُرْقٌ تَصَايَحُ فِي المتون كما ... هَاجَ دَجَاجَ المدِينَةِ السَّحَرُ

(٤) خدت الناقة تخدى أى أسرعت مثل وخدت وخودت . والركاب الأبل . والمشافر جمع المشفر وهوللبعير بمنزلة الشفة للانسان . والفراسن جمع فرسن لحم خف البعير . والرغل واليتم نبتان . يقول : تسير الابل بنا وهي بيض المشافر باللغام — زبد أفواه الأبل — وقال ابن جنى : لأنها لاتترك ترعى لشدة السير — خضر الفراسن لكثرة وطئها هذين النبتين

---

* لصوص قطاع طريق وصعاليك العرب ذؤبانها ولصوصها

مكعومةً بسياطِ القومِ نضربُها
عن منبتِ العشبِ نبغي منبتَ الكرمِ (١)

وأينَ منبتُهُ من بعدِ منبتِهِ أبي شجاعٍ قريعِ العربِ والعجمِ (٢)

لا فاتكٌ آخرٌ في مصرَ نقصدُهُ ولا لهُ خلفٌ في الناسِ كلِّهمِ (٣)

من لا تُشابهُهُ الأحياءُ في شيمٍ أمسى تُشابهُهُ الأمواتُ في الرممِ (٤)

عدمتُهُ وكأني سرتُ أطلبُهُ فما تزيدُني الدنيا على العدمِ (٥)

مازلتُ أضحكُ إبلي كلما نظرتْ إلى من اختضبتْ أخفافُها بدمِ (٦)

---

(١) كعم البعير شد فمه كيلا يعض أو يأكل ومثله عكم. يقول : ان السياط كانت تمنعها من المرعى فكأنما قد شدت أفواهها وهذا من قول ذى الرمة

يهماء خابطُها بالخوفِ مكعومُ

« أى لا يتكلم فيها خوفا فكأن الخوف قد كعم فمه » وكنا نضربها عن الرعى فى منبت العشب لأنا نبغى منبت الكرم . والبيت من قول الأسدى

إليك أميرَ المؤمنينَ بعثتُها من الرملِ تنوى منبتَ الزرجونِ

« الزرجون الكرم ويعنى بمنبت الزرجون الشأم لانها أكثر البلاد عنبا »

(٢) القريع السيد . يقول : أين منبت الكرم بعد موت هذا الرجل الذى كان منبت الكرم وكان سيد العرب والعجم ، وهذا استدراك كما ترى لما ذكره فى البيت السابق

(٣) يقول : ليس لنا فى مصر رجل آخر مثله فى جوده فنقصده وليس له خلف مثله كرما وشجاعة ، فقوله لا فاتك كأنه يقول لا رجل آخر مثل فاتك ومن ثم نعته بنكرة

(٤) الشيم الخلائق جمع شيمة . والرمم العظام البالية . يقول : من لم يكن له شبيه من الاحياء فى شيمه وأخلاقه صار الاموات يشابهونه فى العظام البالية ، أى مات فأشبه الاموات وأشبهوه (٥) يقول : لكثرة أسفارى وترددى فى الدنيا كأنى أطلب له نظيرا ولكنى لا أحصل الا على العدم ، أى لا أجد مثله بعده (٦) أبلى بسكون الباء تخفيف ابل بكسرها . يقول : مازلت أسافر على ابلى الى من لا يستحق القصد اليه فلو أنها مما يضحك لضحكت اذا نظرت الى من جشمتها جوب الفلوات اليه حتى اختضبت

أُسِيرُهَا بَيْنَ أَصْنَامٍ أُشَاهِدُهَا ... وَلَا أُشَاهِدُ فِيهَا عِفَّةَ الصَّنَمِ (١)

حَتَّى رَجَعْتُ وَأَقْلَامِي قَوَائِلُ لِي ... أَلْمَجْدُ لِلسَّيْفِ لَيْسَ الْمَجْدُ لِلْقَلَمِ (٢)

أُكْتُبْ بِنَا أَبَدًا بَعْدَ الْكِتَابِ بِهِ ... فَإِنَّمَا نَحْنُ لِلْأَسْيَافِ كَالْخَدَمِ (٣)

أَسْمَعْتَنِي وَدَوَائِي مَا أَشَرْتَ بِهِ ... فَإِنْ غَفَلْتُ فَدَائِي قِلَّةُ الْفَهَمِ (٤)

مَنِ اقْتَضَى بِسِوَى الْهِنْدِيِّ حَاجَتَهُ ... أَجَابَ كُلَّ سُؤَالٍ عَنْ هَلٍ بِلَمِ (٥)

أخفافها بالدم استخفافا به ، وفى الكلام محذوف به يتم المعنى تقديره الى من اختضبت أخفافها بالدم فى قصده أو فى المسير اليه قال العكبرى : وفيه تعريض ببعض أهل بغداد

(١) أسار دابته كسيرها ويروى أسيرها مضارع سرت أى أسير عليها . وعنى بالاصنام قوما يطاعون ويعظمون وهم كالجماد لااهتزاز فيهم للكرم ولاأريحية للجود ، ثم فضل الصنم عليهم فقال ليست لهم عفة الصنم لأن الصنم وان لم ينفع فهو غير موصوف بالفضائح والقبائح وهؤلاء لايعفون عن منكر ولا قبيح (٢) يقول : حتى عدت الى وطنى وقد علمت أن المجد انما يدرك بالسيف لا بالقلم لان ذا الفضل لايعظم ولا يهاب كما يهاب صاحب السيف ولا يدرك من معانى المجد والشرف ما يدركه

(٣) الكتاب مصدر كالكتابة . وهذا من حكاية قول الاقلام يقول : قالت لى الاقلام اخرج على الناس بالسيف واقتلهم ثم اكتب بنا مافعلت بالسيف وما تقول من الشعر فى ذلك فان القلم كالخادم للسيف ، جعل الضرب بالسيف كالكتابة به ، وهذا من قول البحترى

تَعْنُو لَهُ وُزَرَاءُ الْمُلْكِ خَاضِعَةً ... وَعَادَةُ السَّيْفِ أَنْ يَسْتَخْدِمَ الْقَلَمَا

(٤) هذا جواب منه للاقلام . يقول ـ لها ـ : أسمعتنى قولك والذى أشرت به على هو الدواء الذى يشفى مابى فان تركت مشورتك ولم أفطن لها صار دائى هو قلة الفهم لا ما أظنه من قلة انصاف الناس وعدم تقديرهم اياى (٥) هذا تأكيد لما أشارت به الاقلام عليه من استعمال السيف يقول : من طلب حاجته بغير الهندى ـ السيف ـ أجاب سائله عن قوله هل أدركت حاجتك بقوله لم أدرك أو لم أصل أو لم أظفر ونحو ذلك . قال ابن جنى جعل هل ولم اسمين فجرهما وهل حرف استفهام ولم حرف نفى قال ويجوز أن تكون الكسرة فى لم كسرة الساكن اذا احتيج الى تحريكه للقافية

تَوَهَّمَ الْقَوْمُ أَنَّ الْعَجْزَ قَرَّبَنَا ... وَفِي التَّقَرُّبِ مَا يَدْعُو الى التُّهَمِ (١)

وَلَمْ تَزَلْ قِلَّةُ الإِنْصَافِ قَاطِعَةً ... بَيْنَ الرِّجَالِ وَلَوْ كَانُوا ذَوِي رَحِمِ (٢)

فَلَا زِيَارَةَ إِلَّا أَنْ تَزُورَهُمُ ... أَيْدٍ نَشَأْنَ مَعَ الْمَصْقُولَةِ الْخُذُمِ (٣)

مِنْ كُلِّ قَاضِيَةٍ بِالْمَوْتِ شَفْرَتُهُ ... مَا بَيْنَ مُنْتَقِمٍ مِنْهُ وَمُنْتَقِمِ (٤)

صُنَّا قَوَائِمَهَا عَنْهُمْ فَمَا وَقَعَتْ

مَوَاقِعَ اللُّؤْمِ فِي الْأَيْدِي وَلَا الْكَزَمِ (٥)

هَوِّنْ عَلَى بَصَرٍ مَا شَقَّ مَنْظَرُهُ ... فَإِنَّمَا يَقَظَاتُ الْعَيْنِ كَالْحُلُمِ (٦)

---

(١) يقول : ان القوم الذين قصدناهم بالمديح توهموا أن العجز عن طلب الرزق قربنا اليهم ، ثم قال : ولهم الحق فى أن يتوهموا ذلك لان بعض التقرب قد يدعو الى التهمة لأنك اذا تقربت الى انسان توهمك عاجزا محتاجا اليه (٢) الانصاف اعطاء الحق قال ابن الاعرابى أنصف اذا أخذ الحق وأعطى قال وتفسيره أن تعطيه من نفسك النصف أى تعطيه من الحق كالذى تستحق لنفسك يقول : ان ترك الانصاف يدعو الى التقاطع بين الناس ولو كانوا أقارب ، وهذا من قول الآخر

اذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ ... على طَرَفِ الْهِجْرَانِ إِنْ كَانَ يَعْقِلُ

(٣) الخذم أى القواطع يعنى السيوف يقول : فلا أزورهم بعد ذلك الا بأيد قد الفت القتال ونشأت فى صحبة السيوف ، يعنى اذا لم ينصفوا فأنى لا أزورهم الا محاربا

(٤) من كل بيان للمصقولة الخذم وشفرته أى حده فاعل قاضية . يقول : من كل سيف تقضى شفرته بالموت بين الفريقين الظالم والمظلوم (٥) قوائمها مقابضها واللؤم خسة الاصل ضد الكرم . والكزم قصر اليد وناقة كزماء قصر خطامها . يقول : صنا قوائم السيوف فما وقعت الا فى أيدينا التى لا لؤم فيها ولا قصر ، يعنى أنهم لا يحسنون العمل بالسيوف ونحن اربابها نشأت أيدينا معها . والمعنى أنهم لم يسلبونا سيوفنا فتقع فى أيديهم التى هي مواقع اللؤم والقصر عن بلوغ الحاجة (٦) ما شق منظره ما صعبت رؤيته . يقول : هون على العين ما شق عليها النظر اليه مما تراه من المكاره وهبك تراه فى الحلم لأن ما تراه فى اليقظة شبيه بما تراه فى المنام لانهما يمكثان قليلا

وَلاَ تَشَكَّ إِلَى خَلْقٍ فَتُشْمِتَهُ
شَكْوَى الْجَرِيحِ إِلَى الغِرْبَانِ والرَّخَمِ (١)

وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ للنَّاسِ تَسْتُرُهُ وَلاَ يَغُرُّكَ مِنْهُمْ ثَغْرُ مُبْتَسِمِ (٢)

غَاضَ الوَفَاءُ فَمَا تَلْقَاهُ فِى عِدَةٍ وَأَعْوَزَ الصِّدْقُ فِى الأَخْبَارِ وَالْقَسَمِ (٣)

سُبْحَانَ خَالِقِ نَفْسِى كَيْفَ لَذَّتُهَا فِيمَا النُّفُوسُ تَرَاهُ غَايَةَ الأَلَمِ (٤)

الدَّهْرُ يَعْجَبُ مِنْ حَمْلِى نَوَائِبَهُ وَصَبْرِ جِسْمِى عَلَى أَحْدَاثِهِ الْحُطَمِ (٥)

وَقْتٌ يَضِيعُ وَعُمْرٌ لَيْتَ مُدَّتَهُ فِى غَيْرِ أُمَّتِهِ مِنْ سَالِفِ الأُمَمِ (٦)

ثم يزولان فكأنهما لم يكونا . وروى منظره بفتح الراء فيكون المراد الشيء الذى يشق البصر ويفتحه باقتضائه النظر اليه والضمير على هذا للبصر وعلى الرواية الاولى لما

(١) يقول: لا تشك الي أحد ما ينزل بساحتك من ضر وشدة فتشمته بشكواك فتكون شكواك كشكوى الجريح الى الطير التي ترقب أن يموت فتأكله ، وعبارة التبريزى: الناس بعضهم أعداء بعض فمن شكى حاله اليهم فهو كمثل جريح اجتمعت عليه الطير لتأكل لحمه فهو يشكو الى من ليس عنده رحمة لان الغربان — جمع غراب — والرخم — جمع رخمة طائر من الجوارح الخسيسة — انما يجتمعان حول الجريح ليأكلا لحمه

(٢) يقول : أحذر الناس واستر حذرك منهم ولا تغتر بابتسامهم اليك فانهم يضمرون فى قلوبهم مالا يبدون لك من الغدر والخداع (٣) غاض قل ونقص . وأعوز الشيء عز فلا يكاد يوجد . يقول : لا ترى الوفاء فى عدة أى اذا وعدك أحد بشيء لم يف به ولا يوجد الصدق فى أخبار ولا قسم أي اذا أخبرك أحد بشيء لم يصدق فيه واذا حلف لم يصدق (٤) يتعجب من أن الله سبحانه جعل لذته فى جوب المفاوز والتمرس بالمهالك واقتحامها وهو غاية ألم النفوس (٥) الحطم جمع حطوم وبفتح الطاء جمع الحطمة أى التى تحطم من ألمت به وصبر جسمى يروى وصبر نفسى (٦) وقت أى لي وقت فهو مبتدأ محذوف الخبر أو تقول ان التقدير هو وقت فيكون وقت خبر مبتدا محذوف يقول: لى وقت أوهو وقت يضيع فى مخالطة أهل هذا الدهر ومصاحبتهم لأنهم سفلة أنذال يضيع الوقت بصحبتهم ، وليت مدة عمرى كانت فى أمة أخرى من الأمم السالفة التى

أَتَى الزَّمَانَ بَنُوهُ فِى شَبِيبَتِهِ فَسَرَّهُمْ وَأَتَيْنَاهُ عَلَى الهَرَمِ (١)

وقال يمدح عضد الدولة وقد نثر عليهم الورد وهم قيام بين يديه حتى غرقوا فيه

قَدْ صَدَقَ الوَرْدُ فِى الَّذِى زَعَمَا أَنَّكَ صَيَّرْتَ نَثْرَهُ دِيَمَا (٢)

كَأَنَّمَا مَائِجُ الهَوَاءِ بِهِ بَحْرٌ حَوَى مِثْلَ مَائِهِ عَنَمَا (٣)

نَاثِرُهُ نَاثِرُ السُّيُوفِ دَمًا وَكُلَّ قَوْلٍ يَقُولُهُ حِكَمَا (٤)

وَالخَيْلِ قَدْ فَصَّلَ الضِّيَاعَ بِهَا وَالنِّعَمَ السَّابِغَاتِ وَالنِّقَمَا (٥)

تقدر الرجل حق قدره ، يشكو من أهل دهره ويتأسف على ضياع وقته فى معاشرتهم

(١) يقول : ان بنى الزمان من الأمم السالفة جاؤا فى حدثان الدهر وجدته فسرهم وأتاهم بما يفرحون ونحن أتيناه وقد هرم وخرف فلم نجد عنده ما يسرنا ، وقد أخذ أبو الفتح البستى هذا المعنى وجنس اللفظ فقال

لاغروَ إنْ لم نجد فى الدهر مخترفًا فقد أتيناهُ بعدَ الشيب والخرف

وقد نظر المتنبى فى بيته إلى قول من قال

ونحنُ فى عَدَمٍ إذْ دَهرُنا جَذَعٌ فالآن أمسى وقد أودَى بهِ الخرَفُ

(٢) نثره أى منثوره أى مانثر منه . والديم جمع الديمة وهى المطر الدائم فى سكون يريد أن الورد لكثرة مانثر عليهم كأنه يقول لهم قد صيرنى الأمير مطرا يقول قد صدق الورد فيما قاله لأنا نراه كذلك (٣) مائج يروي مازج . والعنم شجر له ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب . يقول : كأن الهواء وهو مائج بهذا الورد عند نثره بحر من العنم ، يريد كثرة الورد فى الهواء حتى صار كأنه بحر قد حوى العنم مثل مائه كثرة

(٤) يقول : ان الذى نثر هذا الورد هو الذى ينثر السيوف أى يفرقها فى أعدائه وهى دم أى متلطخة بالدم فكأنها دم ، وينثر كل قول يقوله وهو حكم أى إذا قال قولا قال حكمة ، هذا ومن نصب كل فعلى انه معطوف على المعنى كما تقول هذا ضارب زيد وعمرا ومنه قوله تعالى وجاعل الليل سكنا والشمس على معنى وجعل الشمس

(٥) الخيل عطف على السيوف . قال الواحدى : والسابغات التامات ويقال فصل

فَلْيُرِنَا الْوَرْدُ إِنْ شَكَا يَدَهُ ... أَحْسَنَ مِنْهُ مِنْ جُودِهَا سَلِمَا (١)

وَقُلْ لَهُ لَسْتَ خَيْرَ مَا نَثَرَتْ ... وَإِنَّمَا عَوَّذَتْ بِكَ الْكَرَمَا (٢)

خَوْفًا مِنَ الْعَيْنِ أَنْ يُصَابَ بِهَا ... أَصَابَ عَيْنًا بِهَا يُصَابُ عَمَى (٣)

العقد اذا نظم فيه أنواع الحرز فجعل كل نوع مع نوع ثم فصل بين الأنواع بذهب أو شيء آخر ، هذا هو الأصل فى تفصيل العقود ثم يسمى نظم العقد تفصيلا فيقال عقد مفصل إذا كان منظوما ومنه قول امرىء القيس

تَعَرُّضَ أَثْنَاءِ الوِشَاحِ المُفَصَّلِ

والمعنى أنه جمع هذه الاشياء بالخيل أى تمكن من جمعها بالخيل وجعل جمعها تفصيلا لأنها أنواع فجعل ذلك كتفصيل العقد يقول : انه ينثر الخيل أى يفرقها فى الغارة ، ثم ذكر أنه جمع بها هذه الاشياء التى ذكرها من النعم لاوليائه والنقم لاعدائه . انتهى كلام الواحدى : ويؤخذ من كلامه أن النعم عنده عطف على الخيل ولكن الأوجه جعلها عطفا على السيوف أى والذى ينثر الخيل أى يفرقها فى الضياع فينظمها بها والذى ينثر النعم على أوليائه والنقم على أعدائه (١) أحسن منه مفعول ثان ليرنا والضمير فى منه للورد يقول : ان يده تنثر ماهو أحسن من الورد — يريد الدنانير والدراهم — فان كان الورد يشكو يده لانها نثرته فليرنا شيأ أحسن منه سلم من جود يده (٢) عوذه رقاه رقية تدفع عنه السوء يقول : قل للورد لست أفضل ما نثرت يد هذا الملك وانما خشيت أن تصيبه أعين الناس حين يرون سعة بذله بذلك فنثرك وقاية لكرمه من أعينهم إذا رأوه يجود بما لا قيمة له (٣) بها يصاب رواها ابن جنى بها يعان من قولهم عين الرجل فهو معين ومعيون اذا أصابته العين . وقوله أصاب عينا إلى آخره دعاء وعمى فاعل أصاب يقول : أعمى الله عينا يصاب بها